رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشيخ عبد الله النوري

سألوني في التفسير

١٩٨٦

منشورات ذات السلاسل
الكويت

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سألوني في التفسير

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سألوني في التفسير

تأليف المرحوم
الشيخ عبد الله النوري

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

حقوق الطبع محفوظة

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

ذات السلاسل
للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت - الرقاب - مجمع الارقان برج ١٥
الدور السابع شقة ١٥
تلفون الادارة: ٢٤٦٦٢٦٦ - ٢٤٦٦٢٥٥
صندوق بريد: ١٢٠٤١ الشامية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تعتز شركة ذات السلاسل للطباعة والنشر أن تصدر هذا الكتاب وتقدمه للقراء لا لسبب إلا لأن فضيلة الشيخ المرحوم عبد الله النوري قد جمع فيه من علمه الذي أعطاه الله ما ينفع الناس وينير لهم سبلهم بما يوضح لهم أمور عقيدتهم وإسلامهم.

هذا الكتاب هو مجموعة تدور حول تفسير معاني الآيات وحول بعض المناسبات الإسلامية كان قد ألقاها من ميكروفون الإذاعة والتلفزيون.

وعلى غير عادته التي درج القراء على معرفته من خلالها، وهي الإجابة على أسئلة الناس ومحاولة وضع الحلول لمشكلاتهم، فقد ركّز فضيلة الشيخ عبد الله النوري رحمه الله على شرح وتوضيح الكثير من أمور العقيدة والدين، وتسليط الأضواء على الكثير من الأمور التي كان يراها تخفى على بعض الناس ليعرفوا من خلالها ما يفيدهم من علمه الذي وهبه الله تعالى له ليخدم به الناس.

وهذا الكتاب نضعه بين يدي القراء ونحن على ثقة بأننا نقدم لهم كنزاً ثميناً من العلم والمعرفة، غير هادفين من وراء ذلك منفعة عارضة، اللهم إلا خدمة القراء وإحياء ذكرى رجل عاش بيننا وأعطانا الكثير مما وهبه الله، فلا أقل من الوفاء له أن نجمع ما ألقاه من أحديث حول معاني الآيات

والمناسبات الإسلامية، لعل في ذلك ما يكون سبباً في نزول الرحمة على روحه والمغفرة له عند الله غير مبتغين إلا الثواب والأجر الحسن.

والله ولي التوفيق.

د. عبد العزيز المنصور

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أحاديث

أولاً: تفسير معاني الآيات
ثانيًا: في المناسبات الإسلاميَّة

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أولاً : تفسير معاني الآيات

قرآن الفجر (١)

«إن قرآن الفجر كان مشهوداً»

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد،

فقد طلب إليَّ المسؤولون في الإذاعة وعلى رأسهم السيد الوكيل المساعد عبد العزيز محمد جعفر أحاديث لرمضان بعنوان (قرآن الفجر) تذاع هذه الأحاديث وقت الإمساك.

واستجابة لطلبهم قررت أن أبدأ هذه الأحاديث بتفسير الآيات الكريمة من ٧٨ إلى ٨٢ من سورة الإسراء مبتدئاً هذا اليوم بتفسير الآيتين الكريمتين ٧٨ و ٧٩ ثم أواصل الأحاديث بتفسير سورة الفاتحة وآيات أو سور اعتاد المصلون قراءتها في صلواتهم.

وبعد الاتكال على الله أستفتح بقراءة الآيتين:

أعوذ بالله، بسم الله..

«أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً. ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً».

الله عزّ وجلّ يأمر نبيه، والأمر للنبي أمر أمته. يقول له: أقم الصلاة..

والصلاة صلة بين العبد وربه أو عروج بالعبد إلى ربه كما أخبرنا بذلك نبينا المصطفى ﷺ حين قال لنا: «أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد»[1].

أقم الصلاة، والإقامة معناها: الإتمام. أي أدها تامة الأركان مستوفية الشروط والآداب، ذلك أن الصلاة عماد الدين من أقامها أقام دينه، ومن تركها فلا دين له.

وكما قلت لكم الأمر للنبي أمر لأمته. والقرآن الكريم عندما يخص النبي ﷺ بذكره في بعض الأوامر يعني بذلك اهتمام المأمور به. فقول الله لنبيه أقم الصلاة لأن الصلاة مهمة وهي دليل إيمان الإنسان، لأن النبي ﷺ قال لنا: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»[2].

أقم الصلاة لدلوك الشمس، ودلوك الشمس زوالها عن كبد السماء إلى غسق الليل. والغسق ظلمة..

والصلاة كتاب موقوت.. أعني فرض محدد بأوقات معينة والوقت شرط من شروط الصلاة، فإذا دخل الوقت وجبت صلاته، فللظهر وقت محدد له مبدؤه وله منتهاه. يبدأ بدلوك الشمس أي بزوالها، حتى يصير ظل كل شيء مثليه ثم يدخل وقت العصر الذي ينتهي بغروب الشمس ثم يبدأ وقت المغرب الذي ينتهي بغياب الشفق الأحمر. وقد يبقى الشفق الأبيض كما في أوروبا وقت الصيف ولا يعني بقاء هذا الشفق دوام وقت المغرب.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وقرآن الفجر ﴾ ومعنى ذلك: وأقم قرآن الفجر. والمفسرون يقولون المراد بهذه الكلمة صلاة الفجر، أقم صلاة الفجر، صلاة الصبح، ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾. مشهوداً من الملائكة حرس الليل، وحرس النهار كما أخبرنا بذلك الصادق صلوات الله وسلامه عليه بقوله: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الليل وصلاة العصر، ثم يعرج الذين يأتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم

(١) حديث. (٢) حديث.

بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون» رواه البخاري ومسلم[1].

فقرآن الفجر مشهود من الملائكة حرس الليل وحرس النهار.

ومن يوفق لصلاة الفجر، ومن يتعبد في السحر يدرك السر ويشعر باللذة، يشعر بأنها صلاة مشهودة ودرجة مرفوعة.

ومن يقرأ القرآن قبل صلاة الفجر بتأمل وتدبر يشعر باللذة ويدرك السر ويشعر بأنه مشهود. يستمع هو إلى نفسه ويشعر لأنه مسموع موفق.

«ومن الليل فتهجد بالقرآن والصلاة نافلة». ومعنى النافلة صلاة زائدة عن الفرائض المطلوبة. صلاة ركعتين أو أربعا أو أكثر من ذلك تعرج بها وأنت ساجد إلى ربك. تدعوه وأنت قريب منه قائلاً: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب. اللهم اجعلني من عبادك الصالحين. «رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي. ربنا وتقبل دعاء. ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب».

«عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً».

والمقام المحمود: هو المكان المرموق، والمركز المعلوم... مقام الشفاعةالتي ترجوها في ظل هذا الدين، دين محمد ﷺ، والذي نرجو ونقول بعد كل أذان نسمعه اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، أنك لا تخلف الميعاد.

ذلك هو مقام الشفاعة فما أحوجنا إلى هذه الشفاعة التي يتمناها كل مسلم مؤمن مصدق.

أيها الأخوة:

هذا هو الطريق وهذا هو زاد الطريق..

فاستعدوا بالزاد لسلوك الطريق..

قرآن الفجر (٢)

أعوذ بالله.. «وقل رب ادخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً، وقل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً، وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً».

الحياة كلها رحلة، تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت.. أولها وآخرها وما بين الأول والآخر.

والمسلم يسأل الله السلام في هذه الحياة، يدعو الله بصدق المدخل وصدق المخرج، كناية عن صدق هذه الرحلة.. رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق، دعاء يعلمه الله جلّ جلاله نبيه ﷺ فإذا قاله الرسول كان على أتباع هذا الرسول أن يتأسوا به فيتبعوا سنّته، ويدعوا بدعائه (رب أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق) وللصدق ثبات واطمئنان، وفيه نظافة أخلاق وإخلاص (واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) السلطان القوة والهيبة التي بها يستعلي سلطان الحق على الباطل، وسلطان التوحيد على الشرك.

﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾.

كلمة قالها رسول الله ﷺ حين فتح الله له مكة فكسر الأصنام، وأزال سلطان الشرك.

الحق هو الإسلام. أو كل ما هو حق. والباطل هو الشرك أو كل ما هو متنافي مع الحق. والحق هو العدل، والباطل هو الظلم، الحق هو الإلفة والوحدة، والباطل التنازع والاختلاف.

الحق هو المحبة.. والبَاطل هو البغضاء.. الحق هـو الإصلاح، والباطل هو الإفساد.

وأوامر الإسلام كلها حق.. والإسلام لا يأمر إلا بالمعروف ولا ينهي الإسلام إلا عن منكر.. والمنكر باطل.. والباطل من شأنه الزهوق وعدم الثبات.

والباطل دائماً ينتفخ ولكنه لا يدوم لأنه باطل. ومن طبيعة الباطل أن يتوارى وأن يزهق كشعلة الهشيم، لها لهب يرتفع في الفضاء عالياً ثم لا يلبث أن ينطفيء كالزبد، يطفو على الماء ثم يذهب جفاء كما قال الله جلّ جلاله.

﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ (سورة الرعـد/١٧).

كذلك الباطل كان زهوقاً..

ونصير الباطل هالك.. لأن الله وعد، ووعد الله صدق.. وسلطان الله أقوى.. ﴿ومن أوفى بعهده من الله، ومن أصدق من الله حديثاً؟ ﴾ إن الله يقول: ﴿ إن الباطل كان زهوقاً ﴾.

﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ شفاء من كل داء، لأن القرآن رحمة.

والقرآن كلام الله، فهو طمأنينة، وهو أمان.. أمان لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان.

شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة.. فالقلق مرض، والحيرة نصب، والوسوسة داء.

وفي القرآن شفاء من هذه الأدواء.

شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد، ونزغات الشيطان، يعصم العقل من الشطط، يعصمه من الزلل.

في القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات. وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها فتعيش في ظل القرآن.. ظل نظامه الاجتماعي، وظل عدالته الشاملة، وظل أمنه..: ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ لأن الظالمين لا ينتفعون بما فيه من شفاء ورحمة، فالظالم في عناده وفي كبريائه، يعيش في الظلام والفساد فهو خائب خاسر.

هذا مع المؤمن الذي يتوجه إلى الله بقلب خالٍ من الشك والكبر والحسد والبغضاء، حب الرئاسة الكاذبة والخيلاء.. أما من كان قلبه مريضاً بهذه الأمراض فإنه لا يزداد إلا خسارا..

قرآن الفجر (٣)

ـ أول سورة الفاتحة ـ

بسم الله الرحمن الرحيم. **نقرأ سورة الفاتحة كلها** ـ ومن أسماء هذه السورة الكريمة: السبع المثاني. أم الكتاب. أم القرآن. الفاتحة. الحمد.

تقرأ في كل ركعة من كل صلاة. يرددها المسلم المصلي في اليوم (١٧) مرة في أدنى حد. وإذا صلى السنّن ضاعف هذا العدد. وقد يرغب المسلم فيقف بين يدي ربه متنقلاً فلا يقف عند حد في صلاته فيردد الفاتحة لأنه «لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب» رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت.

«كنا خلف رسول الله ﷺ في صلاة الفجر فقرأ رسول الله ﷺ فنقلت عليه القراءة فلما فرغ قال: لعلكم تقرأون خلف إمامكم؟ قلنا: نعم.. نفعل هذا يا رسول الله قال ﷺ: لا تفعلوا إلا بأم الكتاب ـ (فاتحة الكتاب) ـ فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها». أبو داود عن عبادة.

والإسلام فرض هذه السورة لتقرأ في كل ركعة من ركعات الصلاة لما فيها من توجيهات ومشاعر.

تبدأ السورة بآية البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) واختلف الفقهاء في هذه الآية.. هل هي آية من الفاتحة؟ أم أنها آية من كل سورة؟ أم هي آية من القرآن تفتتح بها السورة؟؟.

وأنا أرجح أنها آية من الفاتحة من آياتها السبع.

ومن الأدب، ومن السنة النبوية أن يبدأ الإنسان كل عمل من أعماله (بسم الله..) فهو الحق الواجب الوجود الذي يستمد منه كل موجود وجوده، ويبدأ منه كل مبدوء بدأه، فباسمه يستعان، وباسمه يبدأ المتحرك حركته. والرسول ﷺ قال لأمته: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع»[1].

والله اسم ربنا الأعظم، وقد تنزه هذا الاسم العظيم أن يسمى به غيره ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ﴾ (سورة مريم: ٦٥).

ووصف سبحانه نفسه بالرحمن الرحيم. والرحمن الذي عمت رحمته الإنسان والحيوان والبر والفاجر والمسلم والكافر في هذه الدنيا يرزقهم ويمدهم بأسباب الحياة وأسباب النعمة وهو وصف مختص بالله وحده لا يطلق على أحد سواه.

رب رحمة وإحسان يقبل من أقبل عليه ويهدي من أناب إليه ويتوب على من تاب.

والرحيم الذي كملت رحمته ووسعت كل شيء فلا ينسى خلقه ولا يغفل عنهم طرفة عين.

وفي الصفتين مجتمعتين كل معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها.

كثير من الناس يذنب ويقول إن الله غفور رحيم، رحمة الله واسعة ولكنه قال جلّ شأنه: ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ﴾. (سورة الأعراف: ١٥٦، ١٥٧).

قال: ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة

الله. إلى أن قال: وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا إليه ﴾. (سورة الزمر/ ٥٣، ٥٤).

وقال: ﴿ نبىء عبادي إني أنا الغفور الرحيم، وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ (سورة الحجر: ٤٩، ٥٠.

والرحمة عند البشر ألم في النفس شفاؤه الإحسان.

الآية الثانية (الحمد لله رب العالمين)

والحمد هو الثناء بالجميل. والحمد لله هو لذاته تبارك وتعالى. والحمد لله شعور يفيض به قلب المؤمن بمجرد ذكر الله. وإذا قال المؤمن الحمد لله كتبت له حسنة.

حديث: عن ابن عمر (أن رسول الله ﷺ حدثهم أن عبداً من عباده قال: (يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك) فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها. فقال الله لهما: اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها).

رب العالمين معنى الرب: المالك المتصرف. فهو جلّ جلاله خلق الكون ولم يتركه وإنما تصرف فيه: يصلح ويرعى ويربي وكل الخلائق والعوالم تحفظ وتتعهد برعاية الله رب العالمين.. والصلة بين الخالق والخلائق دائمة ممتدة قائمة أبداً.

وبذكر الله رب العالمين حرر الإسلام العقيدة بعد أن كانت مثقلة تتخبط في ظلمات من الأوهام والأساطير يختلط فيها الحق بالباطل والصحيح بالزائف والأسطورة بالفلسفة والدين بالخرافة. فجاء الإسلام وحدد التصور الذي يستقر عليه الضمير الإنساني في أمر الله وصفاته بأنه فوق كل شيء وليس كمثله شيء أحد.. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد.

توحيد كامل شامل لا تشوبه شائبة من قريب ولا من بعيد.

قرآن الفجر (٤)

تفسير الفاتحة (الحلقة الثانية)

الرحمن الرحيم: صفتان استغرقتا كل معاني الرحمة التي تقوم على الطمأنينة وتنبض بالمودة، لا حاجة به إليهم وإنما هي لعموم رحمته وشمول إحسانه ﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ (سورة الذاريات: ٥٧) حديث: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»[١].

والله جلّ جلاله لا يطارد عباده مطاردة الخصوم كما يتصوره الناس في بعض الأديان. وإنما هو جل شأنه كما قال الإسلام: رب رحمة وإحسان يقبل من أقبل عليه ويهدي من أناب إليه ويتوب على من تاب.

مالك يوم الدين: والاعتقاد بيوم الدين ركن من أركان الإيمان، وكلية من كليات العقيدة الإسلامية.

ويوم الدين هو يوم الجزاء ويوم الصاخة والطامة ويوم النشور ويوم الحشر ويوم الحاقة ويوم القارعة واليوم الآخر ويوم الحساب والآزفة وهو اليوم الذي يجزى فيه كل امرىء بما عمل فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فناج ناجح وأما أوتيّ كتابه بشماله فخائب خاسر، وما أشبهه بيوم الامتحان.. ومن اعتقد باليوم الآخر ليس كمن أنكره لا في خلق ولا سلوك ولا عمل، فهما صنفان

(١) حديث.

من الناس متباينان لا يلتقيان في الدنيا في عمل ولا في الأرض في جزاء.

سئل عليه الصلاة والسلام: كيف يحاسب الله الناس؟ قال: كما يرزقون[1].

وقد يعجل الله الجزاء في الدنيا. وقد أخبرنا رسول الله ﷺ عمَّن يصل رحمه بأنه يزاد في عمره ويبارك له في رزقه.. وأخبرنا أن عاق والديه تعجل له عقوبته في الدنيا. وأن كثيراًمن الباغين الظالمين يعيشون في عذاب من ضمائرهم وخوفاً على حياتهم. وإن المسرفين المنهمكين في شهواتهم أفلسوا ومرضوا وذاقوا من المنغصات ما أشقى أواخر حياتهم، وأن كل أمة انحرفت عن صراط الله المستقيم ولم تراعِ سنّنه في خليقته أحل الله بها ما تستحق من جزاء كالفقر والذلة والخوف والتَفكك وعدم الاستقرار وقد يصيبهم النقص في الأموال، والنقص في عافية الأبدان وقد يسلط الله عليهم من لا يرحم.

وفي الحديث: «يا معشر المهاجرين خصال خمس إن ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن. لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم من غيرهم فأخذ بعض ما كان في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عزّ وجلّ ويتحرّوا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم فيهم» رواه ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر[2].

حديث:

«ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله» أحمد بن أبي مسعود[3].

---

(١) حديث.

(٢) حديث.

(٣) حديث.

وقد رأينا كثيراً ممن عجل الله عليهم العقوبة في الدنيا: من آكلى أموال اليتامى، وعاقي الوالدين، والظالمين، والمغتصبين، وأكلة الربا، والزناة، واللواطية، رأيناهم في عذاب من الأمراض، وعذاب من توبيخ الضمير.

ورأينا كثيراً: بارك الله لهم في الحياة، والصحة، وحسن السمعة، والذكر الطيب، لأنهم عملوا صالحاً وفعلوا الخير. وما عند الله خير وأبقى.. وهذا مصداق قوله تعالى:

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (سورة الطلاق/ ٢، ٣).

﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً ﴾ (سورة الجن/ ١٦، ١٧).

﴿ ولـو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ (سورة الأعراف: ٩٦).

﴿ كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين ﴾ (سورة يونس: ١٠٣.

﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ (سورة الروم: ٤٧).

قرآن الفجر (٥)

تفسير الفاتحة الحلقة الثالثة

إياك نعبد وإياك نستعين:

والعبادة: هي الطاعة مع غاية الخضوع. والعبادة لا تكون إلا لله وحده.. فالصلاة مثلاً توجه القلب إلى الله تعالى، وتذكر بخشيته، وتشعر بعظم سلطانه، ومن لا يكون في صلاته هكذا لا ينتهي عن الفحشاء والمنكر. (ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً).

وموقف المسلم مع ربه موقف محبة، وتعرف، فقد عرفناه رب العالمين وعرفنا بأنه الرحمن الرحيم.

مالك يوم الدين.. خلق لنا ما في الأرض جميعاً وسخره لنا.. وأمرنا أن نشكره، وأن نستعمل كل ما أعطانا في طاعته.

إذن فلا عبادة إلا لله وحده، ولا استعانة إلا به. وليتحرر المسلم تحرراً مطلقاً من كل عبودية إلا لله وحده الذي لا شريك له. والمسلم لا يكون ذليلاً لغير دينه الذي تعبد به ربه فلا يذل لغريب عنه، ولا لقوة من قوى الطبيعة، ولا لأساطير وأوهام وخرافات، ولا لشريك، ولا لواسطة: (هو اجتباكم.. ولا تهنوا) لأن كل قوة مصدرها قوة الله وإذا عرفنا ذلك عرفنا أن هذا المعبود وحده هو المعين وحده وكما نخصه بالعبادة فلا نستعين إلا به.

وتعساً لأولئك الذين يستعينون بالمقبورين: من أنبياء، وأولياء، وصلحاء، أو ملائكة، أو شياطين، وينذرون لهم وهم مخلوقون مثلهم، محتاجون إلى الرحمة والعون. فالزارع مثلاً: يحرث، ثم يعزق، ثم يسمد، ثم يروي، ثم يبذر، وفي كل عمل من هذه الأعمال يستعين بالله وحده على توفيقه في عمله. وعلى منع الآفات والجوائح السماوية والأرضية.

والتلميذ يغدو إلى المدرسة ويروح منها ويدرس، ويكتب، ويذاكر، مستعيناً في جميع أعماله بالله ليأخذ بيده يوم الامتحان إلى النجاح. ومثلهما التاجر يحذق في اختيار الأصناف، ويمهر في الدعاية والترويج مستعيناً بالله متوكلاً عليه، أما أولئك الذين يستعينون بغير الله على شفاء أمراضهم، ونماء حرثهم، وتيسير أمورهم وهلاك أعدائهم، فهم مشركون ناكبون عن الصراط.

وطلب المعونة لا يكون إلا بعد عمل يبذل فيه المرء طاقته في تهيئة الأسباب ثم يطلب المعونة على إتمامه وكماله.

حديث: مسلم عن أبي ذر (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل في البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه).

حديث: الترمذي عن ابن عباس: (ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن.. احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك.. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف).

قرآن الفجر (٦)

(بقية الفاتحة)

﴿ **اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين،** ﴾.

ومعنى الآية: وفقنا إلى معرفة الطريق المستقيم الواصل.. ووفقنا للاستقامة عليه بعد معرفته.

وكما يجب علينا أن نستعين بالله في جميع شؤوننا يجب علينا أن نطلب منه الهداية والتوفيق للحق. والسلامة من الأمراض الخلقية والأسقام النفسانية، والأوبئة الاجتماعية. فالهداية ضمان السعادة في الدنيا والآخرة عن يقين.

والقرآن كتاب الله أنزله لخلقه لينظم علاقات الخلق بخالقهم. وعلاقاتهم بأنفسهم، وببعضهم البعض، فإذا انتظمت كانت الهداية. كما قال الله تعالى:

﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٣).

﴿ إن هذا القرآن يهدي التي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ (سورة الإسراء/ ٩).

وكلمة أنا مسلم لا تكفي للنجاة ولا للحياة. كلمة الشهادة مجردة من كل عمل لا تكفي. والعبادة من دون معاملة لا تكفي. والمعاملات دون عبادات وعقيدة لا تكفي.

وحاتم الطائي شهد له الرسول ﷺ بأنه كان يحب مكارم الأخلاق، ولكنه كافر، وقال ﷺ في حقه لابنته سفانة: (كان أبوك يحب مكارم الأخلاق ولو كان مؤمناً لترحمنا له)[1].

والصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وهو طريق بين طريقين من سلك أحدهما غوى. وهو طريق كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

قال عليه الصلاة والسلام: «تركت فيكم أمرين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا..»[2].

والصراط المستقيم: طريق وسط، لا جبن ولا تهور، لا إسراف ولا تقتير، لا تبلد ولا إسراع.. اعتدال لا إفراط ولا تفريط.

طريق المغضوب عليهم: وهم قوم تعلموا العلم ولم يعملوا به. أمروا بالخير وجانبوه. نهوا عن المنكر وعملوه. عرفوا الحق وأعرضوا عنه ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ﴾ (سورة طه/ ١٢٤).

والضالون: قوم جهلة، أتباع كل ناعق، اتبعوا قوماً أضلوهم أو اتبعوا رؤوساً جهالاً كمن أنبأنا عنهم النبي ﷺ: - «فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[3].

أو قوم تعبدوا الله بما لم يشرعه فضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

---

(١) حديث.
(٢) حديث.
(٣) حديث.

حديث: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضواً عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[1].

حديث: «أطيعوني ما كنت بين أظهركم وعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه»[2].

وختاماً لسورة الفاتحة أقول وبالله التوفيق:

ومن حرم نفسه من المباحات والطيبات من الرزق فليس على الصراط المستقيم. ومن تحلل من جميع الواجبات واستباح الفواحش والمحرمات فليس على الصراط المستقيم.

﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنفياً وما كان من المشركين ﴾ (سورة الأنعام/ ١٦١).

حديث: «إن النبي ﷺ وافى بأذرعات سبع قوافل ليهود قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة. فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله، فقال لهم الرسول ﷺ سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع»[3].

حديث مسلم: (من صلى صلاة ولم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج خداج غير تمام)، فقيل لأبي هريرة إننا نكون خلف الإمام فقال رضي الله عنه إقرأها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عزّوجلّ: ﴿قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ولعبد ما سأل﴾ فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي، وإذا قال العبد الرحمن الرحيم، قال الله أثنى عليّ عبدي، وإذا

(١) حديث.
(٢) حديث.
(٣) حديث.

قال العبد مالك يوم الدين قال الله مجدني عبدي، وإذا قال العبد إياك نعبد وإياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل وإذا قال العبد إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)[1].

حديث: »إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[2].

وكلمة آمين سنّة للمأموم والإمام يقولانها بعد سكتة ومعناها استجب.

قرآن الفجر (٧)

تفسير سورة الناس

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (تقرأ السورة).

نجد فيها صفات وصف الله بها نفسه فيها معنى الحماية التي تليق بمن هذه صفاته أن يستعاذ به.

رب الناس: الإله المستعلي، المستولي.
ملك الناس: الذي بيده مبدأهم ومنتهاهم. والملك معناه المتسلط.
إله الناس: المعبود بحق الذي لا يجوز أن يعبد سواه.

في هذه السورة توجيه من الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ ابتداء وللمؤمنين من بعده أن يعوذوا بكنف الله رب الناس، المربي، الموجه، الراعي، الحارس، الحامي، وأن يلوذوا بحماه من كل مخوف: خاف أو ظاهر، مجهول أو معلوم على وجه الإجمال أو على وجه التفصيل.

فكأنه جلّ جلاله يقول لنبيه ﷺ ولأمته: تعالوا إلى هنا، تعالوا إلى الحمى، تعالوا، إلى المأمن، ففي حمى الله تعالى أمن وطمأنينة وسلام.

حديث: مسلم عن عقبة بن عامر: «ألم ترَ آيات أنزلت عليّ هذه الليلة لم يرَ مثلهن قط: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس»[1] «الشيطان

(١) حديث.

جاثم على قلب بن آدم فإذا ذكر الله خشي وإذا غفل وسوس»[1].

وفي هذه السورة الاستعاذة برب الناس ملك الناس إلّه الناس والمستعاذ منه شر الوسواس الخناس من الجنة والناس.

والله جلّ شأنه يوجه النبي ﷺ وأمته إلى العياذ به والالتجاء إليه مع استحضار معاني صفاته فهو رب الناس مع أنه رب كل شيء وملك الناس وهو ملك كل شيء، وهو إلّه الناس وإلّه كل شيء ولكنه خصهم لكي يجعلهم يحسون بالقربى في موقف العياذ والاحتماء ويشعرون بأنهم لا قبل لهم بدفع الشر إلا بعون من الرب الملك الإلّه، والوسواس هو من اتصف بالوسوسة والوسوسة هي الصوت الخفي، ووسوسة الشيطان حديث شر لا خير فيه يلقيه الشيطان في فكر الإنسان، وكم في البشر من شياطين تُحَسِّن القبيح!؟ والخناس المستخفي فهو خانس يُظْهر أنه من أهل الخير ولكن الشر في ثيابه يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، يوقعك في الشر من حيث لا تعلم ويأكل مالك عن طيب خاطر منك.

والجِنَّة توسوس.. ومن الجنة الشياطين نحس في نفوسنا اندفاعاً إلى الشر لا ندري مصدره، ونحن نعلم أن إبليس أعلنها حرباً على آدم وبنيه منذ بدء الخليقة كبرياء وحقداً وحسداً للإنسان ولا يحرس الإنسان من الشيطان إلا الإيمان وذكر الله والصلاة والاستعاذة بالله وكلها أسلحة يتحصن بها الإنسان ضد عدوه الشيطان، وإذا غفل الإنسان سلاحه استرقه الشيطان.

وفي سورة (ص) نجد تحذيراً من الرب جلّ جلاله يحذر بني آدم من الشيطان الرجيم: ﴿ إذ قال ربكَ للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين.. إلى أن قال: يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين؟ قال: أنا خير منه... ﴾.

(١) حديث.

ثم يقول إبليس: ﴿ فانظرني إلى يوم يبعثون ﴾. ثم يقول: ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين.. ﴾.

ويقول الله جلّ جلاله: ﴿ والحق والحق أقول: لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾.

وحكمة ذلك خفية لا يعلمها إلا الله وحده.

حديث: عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإذ غفل وسوس»[1].

أما الناس ففيهم من هو أشد وسوسة من الشيطان:

١ ـ رفيق السوء يتدسس بالشر إلى قلب رفيقه وعقله من حيث لا يحتسب. الرفيق مأمون والصديق مصدق.

٢ ـ النمام الواشي يزين الكلام ويزحلقه وكأنه الحق وكأنه الصدق يصل إلى العقل دون أن يشعر الإنسان.

٣ ـ بيّاع الشهوات ويقال عنهم إنهم يندسون إلى منافذ الحواس حتى يصلوا إلى الغريزة ولا يقدر أحد على دفعهم إلا بمعونة الله.

٤ ـ والحاشية حاشية الشر تكون مع كل ذي سلطان توسوس له حتى يكون جباراً في الأرض مفسداً للصالح، مهلكاً للحرث والنسل.

وعشرات غيرهم من الموسوسين الخناسين الذين يعرفون كيف ينصبون الشباك وكيف يصطادون الضعاف، وكيف يصلون إلى منافذ القلوب وهم في الناس أكثر شراً من الجنة.

والله عزّ وجلّ دل هذا الإنسان الضعيف على سلاح قوي يدفع به عن نفسه شر الوسواس الخناس. ذلك هو أن يستعيذ به.

---

(١) حديث.

قرآن الفجر (٨)

(تفسير سورة الفلق)

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد﴾.

ومعنى أعوذ: ألجأ وأستعيذ، والفلق الصبح، والفلق المخلوقات، فالأرض تنفلق بالنبات، والجبال تنفلق بعيون الماء.. والسحب تنفلق بالماء، والأرحام تنفلق بالمواليد.

إن الله فالق الحب والنوى وهو جلّ شأنه فالق الإصباح.

المعنى: أعوذ بالخالق من شر كل مخلوق إطلاقاً وإجمالاً.

وللمخلوقات في بعض الأحيان شرور، كما أن لها في أحيان أخرى خيرات، ومنافع، وإننا هنا نعوذ بالله من شرها ليبقي لنا نفعها، والله الذي نستعيذ به من شرها قادر على توجيهها، أو تدبير حالات تدفع عنا شرها وتبقي لنا خيرها.

ثم خصص مما خلق أصنافاً هي أكثر أذى وأوقع شراً.

﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾. والغاسق إذا وقب هو الليل حين يتدفق فيغمر الأرض وكل ما عليها بظلامه، والليل إذا غمر ظلامه مخوف، يبعث على

الرهبة، وستار يختفي في ظلامه ذوو الإجرام، كمتلصص فاتك، يقتحم، وعدو مخادع يتمكن، إلاّ أنه ستار لا يأمن الإنسان فيه على نفسه من وحش مفترس، أو حشرة سامة، وهو وقت تتسرب فيه الهواجس والهموم والأشجان التي تخنق المشاعر والوجدان.

﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾: والنفاثات في العقد هم الذين يحاولون فك الروابط بين المتحابين من أرحام وأصدقاء وأزواج. والروابط هي العقد، وسميت من ذلك عقدة النكاح، أي الرابطة التي تربط بين الزوجين على ما في كتاب الله وسنّة رسوله.

والنميمة تحول ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة، بالوسائل التي تشبه أن تكون ضرباً من السحر.

والنمام دائماً يأتيك بكلام يشبه الصدق كما **يفعل** الساحر المشعوذ فيخدع الحواس ويؤثر بالأعصاب، وهذا هو السحر كما صوره لنا القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام في سورة طه: ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا حبالهم.. ﴾ الخ ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾.

فالساحر لا يغير من طبيعة الأشياء، ولا ينشىء حقيقة جديدة لها، ولكنه يأخذ بحواس المسحور فيخيل له ما يريده الساحر.

وقصة لبيد بن الأعصم اليهودي قصة مشكوك فيها لأن سورة الفلق مكية.

والنبي معصوم. وعلينا أن نأخذ بنص القرآن ونفوض الأمر في غيره إلى الله.

وتتضمن قصة لبيد أن بعض اليهود سحر النبي ﷺ فمرض ثلاث ليالٍ واشتد عليه ذلك **حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله**. ثم أتاه

جبريل فأخبره بالسحر وبموضعه الذي وضع فيه وتلا عليه المعوذتين، وجيء بالسحر وقرأ المعوذتين فكأنما نشط من عقال.

هذه رواية مدسوسة. أين هذه الحكاية من قول الله عزّ وجلّ: ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾؟

كيف نصدق إنساناً يخيل إليه أنه فعل الشيء وهو لم يفعله؟

اللهم إني أعوذ بك من مفتريات اليهود الذين لا يزالون يمكرون بالإسلام ليشككوا المسلمين بنبيهم الذي عصمه الله من كيد الناس وكفاه شر المستهزئين.

ثم ما هو السحر؟ هل للسحر وجود؟

إن كان للسحر وجود فإنه لا يؤثر إلا بذوي العقول الضعيفة.

اللهم إني أؤمن بك وبنبيك وبأنك عصمته من الناس، ومن شر المستهزئين.

اللهم إني أؤمن بأن السحر خيال، وأنه لا يؤثر إلا بضعاف العقول لأنك قلت وقولك الحق: ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ (سورة البقرة/ ١٠٢). وأن الساحر لا يستطيع أن يضر أحداً ولكنه يضر نفسه لأنك قلت وقولك الحق: ﴿ ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴾ (سورة البقرة/ ١٠٢).

﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ والحسد: انفعال نفسي إزاء بعض من أنعم الله عليهم في تمني زوال هذه النعمة سواء اتبع الحاسد هذا الانفعال بسعي منه لإزالة النعمة تحت تأثير الغيظ والحقد، أو وقف عند حد الانفعال، فإن شراً يمكن أن يعقب هذا الانفعال، لأن الحاسد لا يرضى إلا بزوال النعمة عن المحسود.

والله جلّ شأنه برحمته وفضله وجه رسول الله ﷺ وأمة رسوله إلى

الاستعاذة به من هذه الشرور، ولا شك أن من استعاذوا به عن عقيدة وفق توجيهه أعاذهم وحماهم وردَّ عنهم كيد الكائدين وأذى الأشرار.

حديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»[1].

حديث: عن عقبة بن عامر قال: «بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين المحفة والأبوار إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بالمعوذتين ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما. قال عقبة وسمعته يؤمنا بهما في الصلاة»[2].

حديث: عن عائشة قالت كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات»[3].

---

(١) حديث.
(٢) حديث.
(٣) حديث.

قرآن الفجر (٩)

تفسير سورة الإخلاص

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد ﴾.

قال علماء التفسير: إن علوم القرآن أو إن القرآن كله يحتوي على: التوحيد، والتشريع، والتهذيب.

فالتوحيد: عبادة الله، والتشريع تنظيم الحياة الاجتماعية، والتهذيب تنظيم الحياة الفردية..

وهذه السورة القصيرة جامعة للتوحيد كله. لهذا كانت تعدل ثلث القرآن.

حديث: إن رجلاً سمع رجلاً يقرأ (قل هو الله أحد) يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر له ذلك، وكان الرجل يتقالها، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن».

والأحدية في الإسلام عقيدة في الضمير، وتفسير للوجود، ونهج للحياة.

وأحد: غير واحد، لأن كلمة أحد أدق، فواحد قد يوجد معه واحد آخر، أما أحد فلا يفتقر إلى شيء لأنه ليس كمثله شيء.

الله أحد: ليس في الوجود حقيقة إلا حقيقته، وليس وجودٍ إلا وجوده، فلهذا كانت العبادة له وحده لا شريك له. والاتجاه له وحده لا شريك له، في السراء والضراء، في النعماء والبأساء، فما جدوى التوجه إلى غيره. والتلقي عنه وحده، تلقي العقيدة والتصور، والقيم، والشرائع، والقوانين، والأوضاع، والنظم. فهو المشرع وحده ويجب أن تكون شريعته وحدها هي التي تحكم الحياة.

«الله الصمد» الذي يقصده العباد، ويتوجهون إليه بقضاء ما أهمهم، لأنه لا يقضي أمر إلا بإذنه. فكما أنه أحد في ألوهيته، فكذلك هو أحد مقصود في قضاء الحاجات، مجيب وحده لأصحابها، يقضي في كل أمر بإذنه، ولا يقضي أحد معه، يقول: ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ (سورة عافر: ٦٠) فليس ثمة واسطة ولا شفيع.

﴿لم يلد ولم يولد﴾ لأنه أحد. والولادة تقتضي المجانسة وهي على الله محال. وصفته جل جلاله الكمال المطلق في جميع الأحوال ﴿ فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون. أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون. ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ (سورة الصافات: ١٤٩ - ١٥٢).

﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ لم يوجد له مماثل ولا مكافىء لا في حقيقة الوجود، ولا في حقيقة الفاعلية، ولا في أية صفة من الصفات الذاتية، فهو جل جلاله أحد ليس له ند، ولا مماثل، وليس ثمة ازدواج طبيعية كما يقول الفرس.

فهذه السورة سميت سورة الإخلاص لأنها نفت الشرك عن الله بجميع أنواعه.

حديث مسلم عن أبي هريرة: (احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد، فخرج نبي الله ﷺ فقرأ قل هو الله أحد. ثم دخل فقال

بعضنا لبعض إني أرى هذا خبراً جاء من السماء فذاك الذي أدخله. ثم خرج نبي الله فقال: إني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا أنها ثلث القرآن)[1].

حديث مسلم عن أنس قال أنس: (كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قبا فكان كلما أمّهم في الصلاة قرأ بقل هو الله أحد ثم يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلّمه أصحابه إما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بسورة أخرى، فقال ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بها فعلت وإن كرهتم تركت، وكانوا يرونه أفضلهم، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: يا فلان ما يمنعك مما يأمرك به أصحابك، وما يحملك أن تقرأ هذه السورة في كل ركعة؟ فقال يا رسول الله إني أحبها فقال إن حبها أدخلك الجنة)[2].

حديث النسائي عن معاذ بن عبد الله عن أبيه قال معاذ بن عبد الله عن أبيه (أصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله ﷺ ليصلي بنا، فخرج فقال قل: قلت: ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثا يكفيك كل شيء)[3].

وهذه السورة مع وجازتها ردت على مشركي العرب، وعلى النصارى واليهود كما مر وأبطلت مذهب المانوية القائلين بالنور والظلمة، وعلى النصارى القائلين بالتثليث، وأبطلت مذهب الصائبة الذين يعبدون النجوم والأفلاك، وردت على مشركي العرب الذين زعموا أن غيره يقصد عند الحوائج، وأن له شريكا تعالى الله عن ذلك كله.

وتسمى هذه السورة سورة الإخلاص. لأنها تضمنت إثبات وحدانية الله، وأنه لا شريك له، وأنه هو المقصود وحده في قضاء الحوائج، وأنه لم يلد ولم يولد، وأنه لا مثيل له ولا نظير، وهذا يقتضي الإخلاص في عبادة الله وحده أو الاتجاه إليه وحده.

---

(١) حديث.

(٢) حديث.

قرآن الفجر (١٠)

تفسير سورة المسد

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى ناراً ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد ﴾.

أبو لهب عبد العزي بن عبد المطلب عم النبي ﷺ.

وامرأته أم جميل واسمها أروى بنت حرب ابن أبي أمية أخت أبي سفيان.

ولقد اتخذ أبو لهب موقفه من عداوة الرسول ﷺ منذ اليوم الأول للدعوة.

حديث البخاري عن ابن عباس (خرج رسول الله ﷺ إلى البطحاء وقصد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم.. ما جربنا عليك كذباً. قال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تباً لك فأنزل الله ﴿ تبت يدا أبي لهب إلخ ﴾.

قال ابن إسحاق: (حدثني حسين بن عبدالله بن عبيد الله بن عباس قال: سمعت ربيعة ابن عباد الديلي يقول: إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى

رسول الله ﷺ يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول، وضيء الوجه ذو جوبة، يقف رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول: «يا بني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان. هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيس إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه، فقلت لأبي: من هذا؟ قال عمه أبو لهب» ورواه الإمام أحمد والطبراني بهذا اللفظ.

كان أبو لهب قد خطب بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم لولديه: عتبة ومعتب قبل البعثة ولما بعث ﷺ أمرهما بتطليقهما.

لم يقصر أبو لهب وزوجته في إيذاء النبي ﷺ وقد أثاراها حرباً شعواء على الدعوة لا هوادة فيها ولا هدنة.

أجمع بنو هاشم بقيادة أبي طالب على حماية النبي ﷺ تلبية لدافع العصبية القبلية، لكن أبا لهب خـرج عليهم وحالف قريشاً ضدهم.

﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ التباب: الهلاك والبوار. تبت دعاء بالتباب، وتب تقرير لوقوع الدعاء.

في كلمات قليلة يصدر الدعاء ويتحقق ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾. لم يغن عنه ماله الكثير ولا سعيه المتواصل فقد تبت يداه وتب هو وهلك. وذلك في الدنيا.

أما في الآخرة فإنه ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾ تصويراً للنار المتقدة الشديدة الحرارة.

وستصلاها معه امرأته حمالة الحطب، التي تحمل الشر وتسعى بالأذية والوقيعة بين الناس.

لم تكن امرأة أبي لهب تحمل الحطب، لكنها كانت تكلف نفسها مشقة الإفساد بين الناس، وإيقاد نيران العداوة بينهم كمن يحمل الحطب لإيقاد النار.

وقد حملت يوماً حزمة من شوك لتلقيها في طريق النبي ﷺ بقصد إيذائه، وكانت حمالة الحطب امرأة أبي لهب معجبة بنفسها وبزوجها، وكيف لا وهي بنت حرب ابن أبي أمية وأخت أبي سفيان وزوجة أبي لهب ابن عبد المطلب.

يرسم لها القرآن هذه الصورة المزرية صورة حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد (من ليف).

وانتشر الخبر في مكة كلها وانزعجت أم جميل وأخذت تبحث عن رسول الله ﷺ لتنتقم منه، وجاءت يوماً إلى الحرم والرسول وأبو بكر جالسان وبيدها فهر يملأ الكف لتضرب به النبي ﷺ وقد أخذ الله بصرها عنه فلم تر غير أبي بكر.

وقد سجلت هذه السورة في كتاب الله الخالد. سجلتها صفحات الوجود بكلمات تنطق بغضب الله على أبي لهب وامرأته جزاء الكيد لدعوة الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه.

عندما فتح النبي ﷺ مكة طلب من العباس عمه أن يحضر له عتبة ومعتب ابني أبي لهب ولم يكونا قد أسلما قال العباس قلت تنحيا ممن تنحى، قال اعتني بهما فركبت إليهما فأقبلا مسرعين وأسلما وبايعا قال ﷺ: واني استوهبت ابني عمي هذين من ربي فوهبهما لي وقد شهدا حنيناً مع رسول الله ﷺ.

قرآن الفجر (١١)

تفسير سورة النصر

سورة النصر مدنية. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾.

في أسباب نزول هذه السورة وردت روايات منها رواية الإمام أحمد أن النبي ﷺ في آخر عمره كان يكثر من قول: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» وقال إن ربي أخبرني أني سأرى علامة في أمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان تواباً، فقد رأيتها ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح إلخ.. ﴾.

والمراد بالفتح فتح مكة والعرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة أي تستنتج، تقول إن ظهر على قومه فهو نبي.

وبعد الفتح بسنتين أسلمت الجزيرة كلها.

أما رواية البخاري الذي ذكر بها أن عمر كان يدخل ابن عباس معه وفي مجلسه أشياخ بدر، فاعترضوا عليه، فسألهم عن سبب نزول هذه السورة، فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح علينا مكة ونصرنا، وسكت بعضهم، فتوجه لابن عباس وقال له: أكذلك تقول يا ابن عباس، فقال: لا هو أجل رسول الله ﷺ، علمه له: قال إذا جاء نصر الله والفتح

فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان تواباً. فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم إلا ما تقول.

نصر الله يجيء به الله في الوقت الذي يقدره، وفي الصورة التي يريدها، وليس لأحد فيه يد، لا للنبي ولا أصحابه، وإنما هو أمر الله يحققه بهم أو بدونهم، وحسبهم منه أن يجريه الله على أيديهم، ويقيمهم عليه أمناء وحراساً هذا هو حظهم من نصر الله ومن الفتح، ومن دخول الناس في دين الله أفواجاً.

والله جلّ شأنه أكرم نبيه وأصحاب نبيه بأن حقق نصره على أيديهم، فعليهم إذن أن يقابلوا هذا الإكرام بالاتجاه إلى الكريم بالتسبيح، وبالحمد، وبالاستغفار في لحظة الانتصار.

التسبيح والتحميد على ما أولاهم من منّة بأن جعلهم أمناء على دعوته، وحراساً على دينه، وفتح على رسوله، ودخول الناس في الدين أفواجاً.

والاستغفار من زهو قد يأتي بعد النصر، أو فرحة في الظفر بعد طول العناء، أو من شيء يساور القلب في فترة الكفاح الطويل، والشدة الطاغية، أو من استبطاء لوعد الله بالنصر، الاستغفار من التقصير في حمد الله، لأن جهد الإنسان ضعيف، ونعم الله دائمة كثيرة لا تحصى.

والله جلّ شأنه تواب، كثير القبول لتوبة عباده، فهو يحب التوابين، ويفرح بتوبة العبد إذا تاب. والقرآن بأدبه يريد للبشرية أن ترتفع بالإيمان بالله، ويريدها أن تشرق به، وأن تشف وترفرف، حتى تبلغ من العظمة والقوة والإنطلاق درجات الكمال.

قيل إن هذه السورة هي آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت في منى قبل وفاته ﷺ بـ (٩٠) يوماً.

ونزلت آية ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ بنفس التاريخ.

ثم آية الكلالة نزلت قبل وفاته ﷺ بخمسين يوماً: ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾.

ثم آية لقد جاءكم رسول من أنفسكم فعاش ﷺ بعدها خمسة وثلاثين يوماً.

وآخر ما نزل في القرآن هي الآية: ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ (سورة البقرة/ ٢٨١) فعاش بعدها واحداً وعشرين يوماً.

وهنا أحب أن أذكر بعض صفات الأنبياء كما ذكرها القرآن.

يوسف عليه السلام عندما وصل إليه إخوته وأبواه ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال: يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً، وقد أحسن بي إذا أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ﴾ (سورة يوسف/ ١٠٠) فلم تأخذه فرحة الانتقام ولا زهوة النصر ولا الكرسي ولا ذلة إخوته، بل قال: ﴿ إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ﴾ (سورة يوسف/ ١٠٠).

وفي هذه اللحظة تصفو النفس وترجع إلى الفاعل الأول ويوسف جالس على كرسيه في أبهة سلطانه، ويقول: ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ﴾ (سورة يوسف/١٠١).

وسليمان وقد وهبه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وقد سخر له الريح والشياطين والجن والأنس والطير. وقد رأى عرش ملكة سبأ حاضراً بين يديه قبل أن يرتد إليه طرفه ﴿ فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ (سورة النمل/ ٤٠).

وهكذا كل الصالحين لا تبطرهم النعمة ولا تنسيهم فضل المنعم عليهم.

قرآن الفجر (١٢)

تفسير سورة الكافرون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين﴾.

ما كان العرب يجحدون أو ينكرون الله، ولكنهم لا يعرفونه بحقيقته التي وصف بها نفسه بأنه أحد صمد، فكانوا يشركون به الأصنام والأنصاب، يتمثلون بها الصالحين أو الملائكة، كانوا يعترفون بأن الله خالق السموات والأرض، مسخر الشمس والقمر، منزل المطر ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله﴾ (سورة العنكبوت/ ٦١، ٦٣).

كانوا يحلفون بالله، كانوا يدعون الله، ويقولون اللهم.

ولكنهم مع إيمانهم بالله يشركون ويجعلون للآلهة الباطلة نصيباً في زرعهم وأنعامهم.

كانوا يعتقدون أنهم على دين إبراهيم، وأنهم أهدى من اليهود والنصارى، لأن اليهود قالوا عزيز ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله ونسوا أنهم يقولون الملائكة بنات الله، والأصنام قرابة الله.

ولكن ليس في الشرك خيار لأن الشرك أمة واحدة والكفر ملة واحدة وكلهم يظن نفسه أنه خير من جماعته.

كانوا يحاولون صرف النبي ﷺ عن دعوته، بأن يجمعوا إليه مالاً إن كان يريد مالاً حتى يكون أكثرهم مالاً، أو يقيموه عليهم رئيساً إن كان يطمع في الرياسة، أو يزوجوه أجمل بناتهم وأكرمهن نسباً إن كان يرغب في ذلك، أو يجاملهم بالسجود لآلهتهم، ولكنه ﷺ قال كلمته التي كانت تعني تسامياً عن هذه المطالب الرخيصة والأعراض عنها:

«والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته».

﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ (سورة الزمر/ ٦٤).

وبعث الله محمداً بالحنيفية الغراء الخالصة من شوائب الشرك، وحاول المشركون أن يتخذ معهم خطة وسطاً بينه وبينهم فيسجد لآلهتهم ويسجدوا لإلهه، وأن يسكت عن عيب أصنامهم وعيب عبادتهم ويتركوه في دعوته، ويلتقوا معه في نصف الطريق. ولكن الرسول ﷺ قال لهم: معاذ الله أن تشرك به غيره.

ثم أنزلت عليه السورة فقرأها عليهم فأيسوا منه عند ذلك وطفقوا يؤذونه ويؤذون أصحابه حتى كانت الهجرة.

في السورة أمر من الله حاسم، لأن عقيدة محمد ﷺ أمر من الله وحده، ليس لأحد فيه أمر.

والكافرون هنا هم المشركون أهل مكة الذين يعبدون الأحجار والأصنام والتماثيل المصنوعة من الحجارة والطين والخشب والمعدن ووصفهم بالكفر إشارة إلى أنهم من الذين استبد بهم العناد، وركبهم الضلال، فانتقلوا من الشرك إلى الكفر الصريح.

ومن معجزات القرآن الكريم أن من خاطبه بالكفر مات على الكفر ومن وعده بالعذاب والنار مات على الكفر أيضاً.

أيها الكافرون: ناداهم بحقيقتهم، ووصفهم بصفتهم، ومعنى ذلك ليس بين الإيمان والكفر التقاء.

لا أعبد ما تعبدون: عبادتي غير عبادتكم، ومعبودي غير معبودكم، فمعبودي لا مثل له ولا ند، ولا صاحبة ولا ولد، وأنتم تعبدون من يتخذ الشفعاء والولد، ومن يتجلى في صورة فبين ما تعبدون وما أعبد فارق كبير وبون شاسع.

ولا أنتم عابدون ما أعبد: ولا أنتم عابدون ما أعبد: تأكيد للآيتين الأوليين لا أنا عابد عبادتكم ولا أنتم عابدون عبادتي، حتى لا تبقى مظنة ولا شبهة ولا مجال لمظنة أو شبهة، بعد التوكيد المكرر، ثم هددهم بأن لكم جزاؤكم على أعمالكم ولي جزائي على عملي، اختلاف لا تشابه فيه، وانفصال لا اتصال معه، وتمييز لا اختلاط فيه، لكم دينكم ولي ديني. أنا هنا وأنتم هناك، لا معبر ولا جسر ولا طريق، تمييز واضح ومفاصلة كاملة شاملة ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ (سورة الشورى/ ١٥).

إن الجاهلية جاهلية، والإسلام إسلام، والفارق بينهما بعيد والسبيل هو الخروج من الجاهلية بجملتها إلى الإسلام بجملته. السلامة هو الانسلاخ من الجاهلية بكل ما فيها والهجرة إلى الإسلام بكل ما فيه لا ترقيع ولا إنصاف حلول ولا التقاء في منتصف الطريق، ومهما تزينت الجاهلية بزي الإسلام أو تسمت باسمه فهي جاهلية والإسلام منها بريء ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾.

قرآن الفجر (١٣)

تفسير سورة الكوثر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر ﴾.

هذه السورة خالصة لرسول الله ﷺ مثل الضحى والشرح فيها وصف ما منح الله رسوله ﷺ من الخير والبركة، ثم يوجهه إلى طريق الشكر.

كذلك تمثل حقيقة الهدى والإيمان بكثرة وفيض وامتداد. وحقيقة الضلال والكفران بقلة وانحسار وانبتار.

كان سفهاء قريش يتابعون الرسول ﷺ ودعوته بالكيد والمكر وإظهار السخرية والاستهزاء ليصرفوا الناس عن الاستماع للحق الذي جاء به من عند الله كانوا يقولون عنه أنه أبتر يشيرون إلى أنه لا ابن له، والبيئة العربية تتكاثر بالأبناء وتعيب على من لم يولد له ذكر، وهذه الوخزة تجد من يهش لها من أعداء الرسول ﷺ.

ولكن هذه السورة نزلت لتمسح على قلبه ﷺ وتقرر حقيقة الخير الذي اختاره له ربه وحقيقة البتر المقدر لأعدائه قال الله تعالى: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾.

كان المشركون حينما يرون النبي ﷺ والمسلمين في قلة من العدد وقلة

من المال يستخفون بهم ويهونون من شأنهم، ظانين أن الحق والخير إنما يكون مع المال والغناء وكثرة العدد.

فالله عزّ وجلّ قال لنبيه: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ والكوثر الخير الكثير النبوة والدين الحق، إرسالك للناس كافة، جعل دينك خاتم الأديان، جعلك خاتم الأنبياء، رسالتك نهاية الرسالات، دينك الذي بعثت به جمع فيه بين خيري الدنيا والآخرة. جمع فيه الحسن والمال من كل ناحية ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ القرآن الهدى، النور، العلم، سعادة الدنيا والآخرة. لك ولأصحابك ولأمتك، إلى يوم القيامة.

الكوثر االخير الكثير المفرط في الكثرة، المواهب الكثيرة التي يعجز عن بلوغها العد. خير مطلق غير محدود، خير أنت واجده في النبوة، في هذا الاتصال بالحق الكبير، وأي شيء أكبر من الاتصال بالله. وأي شيء يفقده من وجد الله.

وأحد هذا الكوثر في القرآن كتاب الله، وسورة واحدة من هذا القرآن كوثر لا نهاية لكثرته. واجده في الملأ الأعلى الذي يصلي عليك، ويصلي على من يصلي عليك في الأرض.

واجده في هذا الأذان الذي ينادي المنادي فيه باسم الله وإلى الله ويقترن فيه اسم محمد باسم الله. هذا الخير الكثير واجده في سنته الممتدة عبر القرون في أرجاء هذه الأرض الواسعة وفي الملايين بعد الملايين السائرة على أثره، وملايين الملايين من الألسنة الهاتفة باسمه، والقلوب المحبة لسيرته وذكره، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

واجده في الخير الكثير الذي فاض على البشرية في جميع أحوالها وأجيالها بسببه وعن طريقه.

واجده في مظاهر شتى لا حد لمدلولها ولا إحصاء لفوارقها.

قالوا إن الكوثر نهر في الجنة أو حوض أعطاه الله رسوله ﷺ في طول

شهر وعرض شهر ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ولكن ابن عباس رضي الله عنهما قال، بأن هذا النهر هو من بين الخير الكثير الذي أوتيه رسول الله ﷺ فهو كوثر من الكوثر.

قال الله تعالى: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ إنا منحناك من الفضائل ما لا سبيل إلى عده وإحصائه. ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ وجه المولى جلّ اسمه نبيه محمداً ﷺ إلى كيفية شكره بأن يتجرد لله وحده في العبادة والاتجاه في الصلاة وفي ذبح النسك. ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ﴾ (سورة الأنعام/ ١٦٢، ١٦٣).

وكان من تمام نعم الله على عبده محمد ﷺ أن يصبح عدوه مقهوراً مبتوراً. فقال: ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ ليس محمد هو الأبتر وإنما الذي يكره محمداً أو يعيبه أو يهجوه هو الأبتر. وقد صدق الله فيهم وعده فمن كان منهم مذكوراً بقي له سوء الذكر ومن لا ذكر له انقطع وانطوى ذكره بينما ذكر محمد ﷺ يمتد ويعلو وسيعلو ذكره ما بقيت على الأرض حياة.

قرآن الفجر (١٤)

تفسير سورة الماعون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، فويل للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراؤون، ويمنعون الماعون ﴾.

الدين الإسلامي ليس دين مظاهر وطقوس، ولا تغني فيه مظاهر العبادات والشعائر ما لم تكن صادرة عن إخلاص لله.

كذلك ليس هذا الدين أجزاء وتفاريق يؤدي الإنسان منها ما يشاء ويترك ما يشاء، إنما هو منهج كامل في عباداته ومعاملاته، في تكاليفه الفردية والاجتماعية، كلها تعود بالخير على البشر، وكلها غاية تتطهر معها القلوب، وتصلح بها الحياة، وحقيقة الإيمان حين تستقر في القلب تتحرك من فورها، لكي تحقق ذاتها في عمل صالح تستجيب له الجوارح، فإذا لم يظهر لها أثر فهذا دليل على عدم وجودها.

قد يقول الإنسان بلسانه أنه مسلم وأنه مصدق بهذا الدين وقضاياه، وقد يصلي، وقد يؤدي شعائر أخرى غير الصلاة ولكن حقيقة الإيمان وحقيقة التصديق بالدين تظل بعيدة عنه، ويظل بعيد عنها، لأن هذه الحقيقة علامات تدل على وجودها وتحققها.

وقديماً قال آباؤنا وأجدادنا: العبادة غير العادة.

وما لم توجد هذه العلامات فلا إيمان ولا تصديق. لأن الإيمان الحق هو قول باللسان، وتصديق بالقلب.

﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾ سؤال ينتظر من يسمعه الجواب: إلى أين؟ وإلى من يتجه؟ ومن هو هذا الذي يكذب بالدين؟ إن كنت لا تعرفه بذاته فاعرفه بصفاته.

﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾ يدفعه دفعاً وبعنف، ويزجره زجراً يهين اليتيم ويؤذيه.

﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ لا يوصي برعايته ولا يحث غيره على إطعامه، إن حقيقة التصديق بالدين ليست كلمة تقال باللسان، وإنما هي تحول بالقلب يدفع المصدق بالدين إلى فعل الخير إلى البر بإخوانه من البشر المحتاجين إلى الرعاية والحماية. والله عزّ وجلّ لا يريد منا كلمات أو حركات وإنما يريد منا أعمالاً تصدق هذه الحركات فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً. والدين المعاملة ومن غش فليس منا.

﴿فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ يؤدون الصلاة ولكن دون أن يكون لها أثر في نفوسهم. يؤدونها حركات لا تعيش معها قلوبهم ولا تعيش بها قلوبهم ولا يتدبرون حقيقة ما فيها من قراءات ودعوات وتسبيحات. حركات اعتادها. وكلمات حفظها، لا تدرك نفسه معناها، ولا تصل إلى معرفة ثمراتها.

والذين هم يراؤون إنهم يصلون رياء للناس لا إخلاصاً لله، وإنهم يفعلون ما يفعلون ليراهم الناس دون أن تستشعر قلوبهم فعل الخير.

ويمنعون الماعون، لا ينهضون بباعث الرحمة إلى سد حاجة المعوزين وتوفير ما يكفل راحتهم وأمنهم وطمأنينتهم. إنهم لو كانوا يقيمون الصلاة حقاً

ما منعوا العون عن عباده فهذا هو محك العبادة الصالحة المرتضاة عند الله، المقبولة ممن أرادها.

وهكذا نجد أنفسنا أمام حقيقة هذه العقيدة، عقيدة الإسلام وأمام طبيعة هذا الدين نجد نصاً قرآنياً ينذر مصلين بالويل لأنهم لم يقيموا الصلاة حقاً وإنما أدوا حركات لا روح فيها أدوها رياء فلم تترك أثراً لها في قلوبهم وأعمالهم.

هل للمسلمين الذين يزعمون أنهم آمنوا بما نزل على محمد أن يقيسوا أحوالهم وما يجدونه من أنفسهم ليعرفوا هل هم من المصدقين بالدين أو من المكذبين أمام اليتامى والمعوزين. ثم ليقلعوا عن الغرور برسوم هذه الصلاة التي لا أثر لها في نفوسهم أو هذا الجوع الذي يسمونه صياماً والذي لا أثر له إلا في عبوس وجوههم وبذاءة ألسنتهم، وضياع أوقاتهم في النوم نهاراً وفي اللهو والبطالة ليلاً، وليرجعوا إلى الحق من دينهم فيقيموا الصلاة بخشوع للعلي الأعلى حتى تناهم عن الفحشاء والمنكر وسوء الخلق.

قرآن الفجر (١٥)

تفسير سورة قريش

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿لإيلاف قريش إيلافهم، رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾.

سورة قريش أو سورة الإيلاف.

والإيلاف كلمة مأخوذة من ألف إلفاً. أو آلف إيلافاً إذا عكف عليه واستأنس به ولم ينفر منه.

كلنا يعرف أن مكة وما حواليها بلاد قاحلة لا نبات فيها ولا زرع: ﴿ربنا أني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾ (سورة إبراهيم/ ٣٧).

وهذا الوضع جعل سكانها يفكرون في أمر معاشهم، فكانوا تجاراً يتاجرون مع جيرانهم في الشمال والجنوب، فرحلوا إلى اليمن شتاء وإلى الشام صيفاً. ولأنهم أهل بيت الله وجيرانه كان الناس يحترمونهم ويكرمونهم ويعاملونهم معاملة حسنة، بذلك زادت منافعهم، واتسعت تجارتهم، وكثر ربحهم، وعقدوا المعاهدات والمحالفات التجارية مع جيرانهم.

وقد ألفت قريش رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام.

تتاجر بهما فتأتي إلى مكة بمنتجات الهند من اليمن وتجلب من الشام الحاصلات الزراعية إلى مكة الوادي الجدب غير ذي الزرع حتى ألفت نفوسهم هاتين الرحلتين الآمنتين الرابحتين فصارتا عادةً وإلفاً.

وكان العرب يحترمون قريشاً في أسفارهم لأنهم جيران بيت الله، وسكان حرمه، وولاة الكعبة، فيذهبون آمنين في رحلتيهم، ويعودون منهما سالمين لا يمسهم أحد بسوء على ما كان من فوضى ضاربة في تلك الطرق. فكان احترام البيت واحترام أهله وجيرانه حزماً من القوة المعنوية التي تحتمي بها قريش في أسفارها، ولهذا ألفتها نفوسهم وتعلقت بالرحيل استدراراً للرزق. ولا ننسى دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام وهو يرفع القواعد من البيت مع ابنه إسماعيل فجعل هذا البيت آمناً، وجعله عتيقاً من كل سوء: من سلطة المتسلطين، وجبروت الجبارين حتى حين انحرف الناس وأشركوا وعبدوا الأصنام كان من يأوي إليه آمناً والمخافة من حوله في كل مكان. هذه الحال كفلت لجيرة هذا البيت الأمن والسلامة في جميع أنحاء الجزيرة العربية عند جميع القبائل العربية مع ما تحمله قوافلهم من بضائع مغرية، وجعلت لقريش بصفة خاصة ميزة ظاهرة، وفتحت أمامها أبواب الرزق الواسع المكفول في أمان وسلام وطمأنينة، وهذا كله من تسخير الله رب هذا البيت الذي حفظ حرمته، وزادها في نفوس العرب، ورد عنها كيد الكائدين، واعتداء الباغين. من أجل هذا الإيلاف الذي ألفوه والأمن الذي أعطوه.

فليعبدوا رب هذا البيت الذي بسببه مكن منزلتهم في قلوب الناس، إذ لولاه ما طعموا وأرضهم قفرة ليست بذات زرع ولا ضرع، وما هم بأهل صناعة مشهورة حتى يأتي الناس إليهم.

ورب هذا البيت أطعمهم من جوع فوسع لهم الرزق ومهد لهم سبل الكسب وطرق التحصيل، ومنع عنهم التعدي والتطاول على أموالهم ولولا ذلك لعاشوا في ضنك عيش وجوع.

تذكير يستجيش الحياة في النفوس ويثير الخجل في القلوب وما كانت

قريش تجهل قيمة البيت وأثر حرمته في حياتها. وما كانت في ساعة الشدة والكريمة تلجأ لغير رب هذا البيت وحده.

﴿وآمنهم من خوف﴾: آمن طريقهم، وأورثهم القبول عند الناس، وإذا كانوا يعرفون أن هذا كله من فضل رب هذا البيت، فلم يتوسلون إليه بتعظيم غيره؟ ولم يتقربون إليه بعبادة سواه؟ مع أنه لا فضل لأحد سواه عليهم، فهو وحده المنعم عليهم بنعمة الرزق، ونعمة الأمن، وكفاية الحاجة. يذكرهم الله جلَّ شأنه بهذه المنن ليستحيوا مما هم فيه من عبادة غير الله معه، وهو رب هذا البيت الذي يعيشون في جواره آمنين طاعمين ويسيرون باسمه مرعيين ويعودون إليه سالمين.

قرآن الفجر (١٦)

تفسير سورة الفيل

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم في تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾.

قصة أبرهة وعزمه على هدم الكعبة مشهورة، واختلاف الروايات فيها كثيرة. ذلك أن أبرهة عامل ملك الحبشة على اليمن أراد أن يصرف أهل اليمن عن حج الكعبة فبنى كعبة في صنعاء باسم ملك الحبشة فخمة على جانب كبير من الأبهة فلم ينصرف عرب اليمن إليها فصح عزم أبرهة على هدم الكعبة وقاد لذلك جيشاً جراراً تصاحبه الفيلة، وفي مقدمتها الفيل المشهور، فوقف في طريق أبرهة ذو نفر عربي من ملوك اليمن لكن أبرهة كسره وأسره.

ثم وقف له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتين من العرب فهزمهم وأسر نفيلاً، فكان نفيل بعد هذا الأسر ذليلاً لأبرهة.

ثم مر بالطائف فلم يجد من قاومه حتى وصل إلى مكة، واستاق نعمها، وفيها مائتا بعير لعبد المطلب، فهمت قريش بقتاله، لكن عبد المطلب قال لهم لا طاقة لكم به فاتركوه.

وبعث أبرهة رسولاً يسأل عن سيد مكة، ويقول إنه إن كان لا يريد

حربه فليكلمه، فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه.

وانطلق مع الرسول إلى أبرهة. وكان عبد المطلب وسيماً جميلاً عظيماً، وقيل كان أوسم الناس وأجملهم، فلما رآه أبرهة أجله وجلس معه على البساط.

ثم قال له ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن يرد الملك علي مائتي بعير كان قد أصابها لي. فقال الملك: أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك جئت لهدمه؟

قال عبد المطلب: أنا رب الإبل، وللبيت رب يحميه، وسيمنعه، قال أبرهة: ما كان ليمتنع مني. قال: أنت وذاك.. فرد أبرهة إبله عليه.

وانصرف عبد المطلب إلى مكة يأمر قريشاً بالخروج منها والتحرز في شعف الجبال، ثم أخذ بحلقة باب البيت يدعو الله ويقول:

لا هم أن العبد يمنع رحله فامنع رحالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبداً محالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك

.. ثم وجه أبرهة جيشه وفيله إلى مكة، فبرك الفيل، وجهدوا في حمله على اقتحامها فلم يفلحوا.

ولا ننسى حادث القصواء ناقة رسول الله ﷺ حين بركت وقوله ﷺ: «ما خلأت القصواء وما كان ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل). إن الله حبس الفيل عن مكة لأمر يريده.

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾؟ استفهام بينه إلى عظمة الحادث، والحادث معروف للعرب يؤرخون به ومولد رسول الله ﷺ كان عام الفيل ذاته.

ألم تعلم بقصة متواترة مستفيضة أصبح العالم بها يساوي في قوته وجلاله العالم بحقيقة الرؤية والمشاهدة..

﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾: أضل مكرهم فلم يبلغ هدفه وغايته، والله على كل شيء قدير، فقد ضيع تدبيرهم، وخيب سعيهم.

يذكر الله قريشاً بنعمته عليهم في حماية هذا البيت في الوقت الذي عجزوا هم عن الوقوف في وجه المعتدين.

﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾. يفصل الله تعالى كيف أبطل هذا الكيد. أرسل عليهم طيراً أبابيل لم ير العرب مثله من قبل، أرسله جماعات يتلو بعضها بعضاً، تحمل معها حجارة يابسة وملوثة بطين، ترمي بها أولئك الباغين، حتى جعلتهم كالعصف. والعصف هو ما يبقى من الزرع بعد الحصاد، تعصف به الرياح وتأكله الماشية.. ووصفهم بالعصف المأكول. الممضوغ المطحون أو أنه عصف سوس.

صورة حسية للتمزيق البدني الذي أصيب به أولئك الباغون.

وأما أبرهة فقد أصيب بما أصيب به قومه لكنه عاش حتى رأى هلاكهم كلهم بعينه ثم انشق صدره عن قلبه وهلك.

قرآن الفجر (١٧)

تفسير سورة الهمزة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ويل لكل همزة لمزه. الذي جمع مالاً وعدده. يحسب أن ماله أخلده. كلا لينبذن في الحطمة. وما أدراك ما الحطمة. نار الله الموقدة. التي تطلع على الأفئدة. إنها عليهم مؤصدة. في عمد ممددة﴾.

هذه السورة تعطينا صورة للَّئيم الحقير، الصغير النفس الذي يُؤتي المال فتسيطر نفسه به يشعر أن المال هو القيمة العليا للحياة فلا أقدار للمعاني، ولا أقدار للحقائق، ولا أقدار للناس وإنما المال وحده له تلك الأقدار كلها ومن ملك المال هانت أمامه الكرامات والأقدار بلا حساب.

وما أكثر هؤلاء في الناس في كل زمان وفي كل مكان، بل في كل بيئة.

صورة لئيمة حقيرة من صور النفوس البشرية يحسب أن المال إله قادر، وبه هو يقدر على كل شيء، وربما ظن أنه يستطيع دفع الموت، وتخليد الحياة، ويعدد المال بهوس أو يستلذ تعداده، يستهين بأقدار الناس وكراماتهم، بلمزهم وهمزهم يعيبهم بلسانه ويسخر منهم بحركاته.. قد خلا من الإيمان قلبه، وعرت من المروءة نفسه، والإسلام نهى أمته عن السخرية واللمز والعيب حتى الظن.

﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ وقد تقدم تفسير الويل في سورة أرأيت أو أنه السخط والعذاب من الله لكل همزة، مبالغة من هماز، طعان في الناس، أكال لحومهم، ومؤذ لهم إن غابوا وإن حضروا، وكذا معنى اللمزة. ويل عذاب شديد لا يدرك كنهه ولا تعرف حقيقته كل همزة لمزة.

﴿الذي جمع مالاً وعدده﴾: أطغاه غناه وجمعه المال وشغفه بعدده وإحصائه لأنه يرى أن لا عز له إلاَّ به ولا شرف له بغيره.

﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ يظن أن المال أعطاه الأمان فهو خالد في الدنيا ونسي أن الله أعدَّ له عذاباً يليق به.

﴿كلا لينبذن في الحطمة﴾: سيطرح طرح الإهانة والتحقير الردي المهل في الحطمة النار التي تحطم كل ما يلقى إليها فتحطم كيانه وكبرياءه وغروره.

﴿وما أدراك ما الحطمة﴾؟ علمك لا يحيط بها ولا يقف على حقيقتها.. نعم لا يعلم من شأنها إلاَّ الذي أعدها لمستحقيها.

الحطمة هي ﴿نار الله الموقدة﴾ التي أعدها الله فهي تنسب إليه. ناراً لا تخمد أبداً، فهي ملتهبة التهاباً لا يدرك حقيقته إلاَّ من خلقها ثم وصفها بأوصاف تخالف نيران الدنيا. فهي ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ تدخل في الأجواف حتى تصل إلى القلوب، والقلب أشد أجزاء البدن تألماً فإذا وصلته النار فقد بلغ العذاب بالإنسان الغاية، وهي بعد كل ذلك مسلطة على كل إنسان بجرمه فهي تطلع على ما في القلوب من عصيان وطاعة من خبث وطيبة.

﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ مطبقة كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها.

﴿في عمد ممددة﴾ أطباق محكم فلا خلاص منه لأن الخلاص ميئوس منه لأنهم سيشدون إلى أعمدة طويلة لا يستطيعون معها الحركة أو أن الأبواب ستطبق عليهم وتوضع وراءها أعمدة لا يستطيعون لها فكاكاً.

وقد كان النبي ﷺ وصحابته يواجهون حالة واقعية من بعض المشركين الذين أوتوا المال فأطغاهم غناهم فأنزل الله على نبيه هذه السورة حفظاً لنفوسهم من أن تتسرب إليها مهانة الإهانة وليشعرهم أن الله جلَّ شأنه يرى ما يقع لهم وسيعاقب عليه وسيرد كيد اللئيم إلى نحره.

قيل إن السورة نزلت في الوليد بن المغيرة. وقيل في أبي ابن خلف، وقيل أنها مرسلة للعموم ولكل من كان همزة لمزة.

قرآن الفجر (١٨)

تفسير سورة العصر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

سورة قصيرة قليلة الكلمات، كبيرة المعنى.. يتمثل فيها منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام، تضع دستوراً للمجتمع في كلمات قصار، وتصف الأمة المسلمة: حقيقتها ووظيفتها. منهج لا ينتهي أبد الآبدين. في كل عصر، وفي كل زمان، منهج دائم أبدي، إيمان، وعمل صالح، وتواصى بالحق، وتواصى بالصبر.

فما هو الإيمان؟ تعريف الإيمان الفقهي، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله.

ومعناه: اتصال هذا الكائن الصغير المخلوق الفاني بالخالق الأزلي الباقي: بالعبادة والتعبد لإله واحد، يرفع الإنسانية عن العبودية لسواه، ويقيم في نفسه المساواة مع جميع العباد، فلا يذل لأحد، ولا يحني رأسه لغير الواحد القهار، ومن هنا كان ـ الانطلاق التحرري الحقيقي للإنسان، إذ أنه ليس في الوجود إلاَّ قوة واحدة، وإلاَّ معبود واحد.

والاستقامة بعد ذلك عن المنهج الذي يريده هذا المعبود الواحد هو:

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ (سورة فصلت/ ٣٠).

إيمان ينبعث عن دوافع، ويتجه إلى هدف، فلا يكون الخير فلتة طارئة، ولا نزوة عارضة، ولا حادث وينقطع.

والإيمان هو أصل الحياة، ينبثق عنه كل فرع من فروع الخير، وتتعلق به كل ثمرة من ثماره. فالذين كفروا ولم يؤمنوا ﴿أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء﴾ (سورة إبراهيم/ ١٨).

وفي موضع آخر ﴿أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ (سورة النور/ ٣٩).

الإيمان دليل على صحة الفطرة، وسلامة التكوين الإنساني، فالإنسان الذي يعيش في هذا الكون لا بد وأن يتجاوب مع من حوله (المؤمن ألف مألوف) وينتهي هذا التجاوب إلى الإيمان بمن أوجد هذا الكون، وإلاَّ كان هذا الإنسان مختلاً أو ناقصاً، وحينئذ يكون في خسر.

والمؤمن الذي يجد حلاوة الإيمان يعيش في سعة وسعادة وارتفاع وجمال، ويرى عيشة غيره من غير المؤمنين ضيقة شقية، هابطة، شوهاء، إن المؤمن يرى الخسران في غير الإيمان، وعمل الصالحات والتواصي بالحق وبالصبر.

والعصر مخلوق من مخلوقات الله، فيه أحداث وعبر، فيه ليل ونهار، سراء وضراء، صحة وسقم، غنى وفقر، راحة وتعب، حزن وفرح، سعادة وشقاء، حياة وموت.. إلى نحو ذلك مما يسترشد به العاقل أن للكون خالقاً مدبراً.

أما الكافر فينسب هذه الأحداث للدهر فيقولون: بلاوي الزمان، قسوة الحياة، نوائب الدهر.

ولكن الله عز وجل هدانا بالإسلام، وعلمنا أن العصر أو الدهر مخلوق، والخالق هو الله، وليس للدهر من سبب، ولا من فعل والإنسان مخلوق صغير من مخلوقات الله، فضله عليها بعقله ولسانه، فأعماله مصدر شقائه وسعادته، وليس للزمان فيها فعل، فهو دائماً في خسر لأن حيوانيته تقوده إلى الخسر، إلاَّ الذين آمنوا. أما المذنب فهو الذي جحد معروف خالقه عليه وجحوده جريمة.

﴿إلاَّ الذين آمنوا﴾. هذه هي الصفة الأولى من صفات الناجين من الخسران. ومن هم الذين آمنوا؟.

إن الله يصف الذين آمنوا في كتابه، ونكتفي من هذه الأوصاف بصفتين:

١ ـ ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة. ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ (سورة الأنفال/ ٢ ـ ٤).

٢ ـ ﴿قد أفلح المؤمنون. الذي هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون، إلاَّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنَّهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ (سورة المؤمنون/ ١ ـ ١١).

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا. . . ﴾ إلى آخر الآية. (سورة الحجرات/١٥).

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي

القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء (شدة الفقرة) والضراء (شدة المرض) وحين البأس (الحرب) أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ (سورة البقرة/ ١٧٧).

قرآن الفجر (١٩)

تفسير بقية سورة العصر

١ ـ حديث: مسلم عن علي أنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي ﷺ إليَّ، أنه لا يحبني إلاَّ مؤمن ولا يُبْغِضُني إلاَّ منافق.

٢ ـ حديث الترمذي والنسائي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم).

٣ ـ حديث مسلم عن العباس، (ذاق طعم الإيمانِ من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً).

٤ ـ حديث مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلاَّ كان من أصحاب النار).

٥ ـ حديث الترمذي عن علي عن النبي ﷺ قال: (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأني رسول الله، بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر).

٦ ـ حديث عن أنس عن النبي ﷺ: (آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار).

﴿وعملوا الصالحات﴾. وعمل الصالحات يوصل إلى كل خير ويسعد العاملين بها في الحياة الدنيا وينجيهم في الأخرى، ودليل ذلك في كتاب الله تعالى! ـ

١ ـ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ (سورة يونس/ ٩، ١٠).

٢ ـ ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (سورة النور/ ٥٥).

٣ ـ ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (سورة النحل/ ٩٧).

٤ ـ ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ (سورة طه/ ١٢٣).

أما الشقاء ففي المعاصي، وهذا ما أيده كتاب الله.

١ ـ ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (سورة الأعراف/ ٩٢).

٢ ـ ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلاَّ قليلاً﴾ (سورة القصص/ ٥٨).

٣ ـ ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (سورة النحل/ ١١٢).

٤ ـ ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟ قال: كذلك أتتك آياتنا

فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (سورة طه/ ١٢٤ ـ ١٢٦).

والمسلمون أعرضوا فكانوا أبعد أهل الأرض عن الخير لأنهم أشد الناس إعراضاً عن منهج الله وذكره الذي اختاره لهم.

﴿وتواصوا بالحق﴾: أي أوصى بعضهم بعضاً بالحق والحق هو الأمر الثابت الذي لا سبيل إلى إنكاره، والتواصي بالحق ضرورة لأن النهوض بالحق عسير والمعوقات عن الحق كثيرة: هوى النفس، تصورات البيئة، منطق المصلحة، طغيان الطغاة، ظلم الظلمة، جور الجائرين، قوة المحتاجين، قوة الحمية العاطفة والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، وتواصي بالحق، وأمة هذا عملها تعاون أفرادها على البر والتقوى أمة ناجحة، وهذا هو الدين والدين لا يقوم إلاَّ في حراسة جماعة متعاونة متواصية متكافلة متضامنة متضامة.

﴿وتواصوا بالصبر﴾: الصبر على البلايا يتلقاها بالرضى ظاهراً وباطناً، والصبر عن المعاصي التي تميل إليها نفس، والصبر على الطاعات التي يشق عليه أداؤها.

لا بد من الصبر على جهاد النفس وجهاد الغير، لا بد من الصبر على تبجح الباطل وتنفج الشر، لا بد من الصبر في البأساء والضراء وحين البأس، لا بد من الصبر على طول الطريق، وبطء المرحلة، وانطماس المعالم.

والصبر غير الاستسلام والوقوف عند الأمر الواقع لا. الإسلام نهى عن الاستسلام وقال: ﴿ولا تهنوا..﴾ (سورة آل عمران/ ١٣٩). ولكن قال: ﴿اعملوا فسيرى الله عملكم﴾ (سورة التوبة/ ١٠٥). وقال اعملوا وكل ميسر لما خلق له.

وبعد، فجميع الناس في خسران، إلاَّ من اتصفوا بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. جماعة آمنوا بالله ورسله، أحبوا الخير وعملوه لله ونصحوا لله ورسوله وتعاونوا

مع غيرهم على نصرة الحق وتواصلوا به، وصبروا على ما أوذوا حين جاءهم نصر الله.

وننظر اليوم إلى عالمنا فنرى الخسران يحيط بنا من جميع جهاتنا بلا استثناء لأننا أعرضنا ونسينا.

قرآن الفجر (٢٠)

تفسير سورة التكاثر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ ألهكم التكاثر. حتى زرتم المقابر. كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون. كلا لو تعلمون علم اليقين. لترون الجحيم. ثم لترونها عين اليقين. ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾.

سؤال رهيب كأنما هو صوت نذير، يصيح بقوم غافلين سادرين، أو سكارى مخمورين، يقول أيها اللاهون، أيها الغافلون، أيها المتكاثرون بالأموال والأولاد، وأعراض الحياة الدنيا، ستفارقون، أيها المتفاخرون، سترحلون عما تتفاخرون به إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيها ولا تفاخر.

وسبب النزول أن قبيلتين من الأنصار هما بنو حارثة وبنو الحرث تفاخروا وتكاثروا، حتى قالت إحداهما أفيكم مثل فلان ومثل فلان، وقالت الأخرى مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور، يتفاخرون ويتكاثرون فنزلت هذه السورة تقول لهم أشغلكم التكاثر والتفاخر، بكثرة الأنصار والأشياع عن الجد في العمل، لهوتم بالقول عن الفعل.

التكاثر يلهي الناس عن الحق في كل حال، ويصرف وجوههم عن الحق إلى الباطل، وهو أن يطمع كل واحد أن يكون أكثر من الآخر مالاً، أو عدد رجال، ليعلو عليه أو يستخدمه في سلطانه، أو يذله بقدر إمكانه.

ويعجبني هذان الحديثان رواهما مسلم والإمام أحمد «يقول ابن آدم مالي مالي وليس لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس».

وروى الثاني أحمد والبخاري ومسلم عن أنس وابن عباس:

«لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى إليه ثانياً ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»..

ثم يقرع قلوبهم بهول ما سيلاقون بقوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون﴾ تعلمون عاقبة ما أنتم عليه من أباطيل قد يفكك الجمع ويولد الضغينة والأحقاد ثم يكرر هذا الزجر وهذا الوعيد فيقول:

﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ زيادة في الوعيد وتلويحاً بما سيكون وراء هذا التكاثر من أمر ثقيل هم عنه غافلون.

﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ علماً يكشف هذا الأمر ليبين الحقيقة الهائلة التي سينتهون إليها بعد هذا اللهو. ﴿لترون الجحيم﴾ سيتذوقون عذابها.

﴿ثم لترونها عين اليقين﴾.. تأكيداً لما سبق لترونها وتذوقون عذابها لا بالتهديد وإنما باليقين يؤكد الحقيقة ويعمق وقعها الرهيب في القلوب حتى ينتبه الغافل ويتلفت السادر ويخاف المطمئن.

ثم لتسألن يومئذ عن النعيم: ستسألون عنه: هل أديتم حق الله فيه، هل راعيتم حدود أحكامه في التمتع به.

قيل إن عمر رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ أي نعيم نسأل عنه يا رسول الله وقد أخرجنا من ديارنا وأموالنا، فقال ﷺ ظلال المساكن والأشجار والأخبية التي تقيكم الحر والبرد والماء البارد في اليوم الحار.

حياة هي أيام معدودة تنتهي بأجلها المسمى ثم تنطفي ومضتها وتنطوي

صفحتها ثم يمتد الزمن بعد ذلك وتمد الأثقال ثم إذا هو ذكرٌ بالخير أو بالشر أو نسيان ثم بعد ذلك كله بعث وحساب ﴿ فأما من ثقلت موازينه، فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه، فأمه هاوية، وما أدراك ماهية، نار حامية ﴾ (سورة القارعة/ ٦، ١١).

وأخيراً فإن معنى السورة الإجمالي يُرْتَدَع به عن كل عمل ينشأ عنه التدابر والتقاطع.

ارتدعوا عن كل عمل يشغلكم بما لا ينفعكم في دنياكم وآخرتكم حتى لا تندموا يوم لا ينفعكم الندم.

فإن الإنسان مسؤول عن كل عمل يعمله، ودينكم دين الإسلام يريدكم أن تعيشوا بسلام حتى تكونوا قدوة لغيركم.

قرآن الفجر (٢١)

تفسير سورة القارعة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿ القارعة ما القارعة، وما أدراك ما القارعة، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش. فأما من ثقلت موازينه، فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه، فأمه هاوية. وما أدراك ما هيه، نار حامية ﴾.

القارعة: القيامة. العهن: الصوف. وتكون الجبال كالعهن المنفوش. والقارعة والحاقة والطامة والصاخة والغاشية أسماء ليوم القيامة.

والقارعة يوم الفزع الأكبر الذي يفزع الناس بهوله الشديد ويصك آذانهم بصوته المزعج. والقارعة ذلك اليوم الذي يختل فيه النظام فتصطك فيه الإجرام العلوية بالسفلية ويقرع فيها أعداء الله بالعذاب وبالخزي وبالنكال، تلك هي القارعة وتلك هي الحاقة والصاخة والطامة ولا أحد يخبر عنها إلا خالقها: الله.

القيامة شديدة الهول، تقرع قلوب الناس بشدتها ولا يحيط علم الإنسان بوصفها، والمشهد المعروض لها في هذه السورة مشهد هول يحيط بالناس وبالجبال فالناس حيارى قد طارت قلوبهم فهم في اضطراب وضعف

وذلة وكأنهم الفراش المنتشر كل واحد منهم في حيرة لا يملك لنفسه وجهة يتجه إليها ولا يعرف له هدفاً.

وهذه الجبال التي كانت راسخة وثابتة سوف تدك وتفتت حتى تصبح كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح ويعبث به الهواء وتتطاير شعراته مع النسمات..

مشهد ترتجف منه الأوصال.. وتذهل منه العقول وتطير له القلوب فلا يلبث الإنسان أن يتلفت يبحث عن شيء يتشبث به فإذا كل شيء من حوله قد صار هباء وحتى الجبال.

ثم يلتفت فإذا الميزان قد نصب ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ﴾ ميزان لا تعلم ما صفته وما شكله نؤمن به ونكل أمره إلى الله فهو من الأمور الغيبية كالقيامة والجن والملائكة.

وخفة الوزن وثقله: قيم لها عند الله اعتبار، وقيم ليس لها عنده اعتبار. فالذين آمنوا وعملوا الصالحات تثقل موازينهم باعتبار مالك الملك جلّ شأنه ثم يساقون إلى نعيم إلى الجنة إلى الرضى والنعيم إلى االمتعة واللذة التي لا تنتهي.

وأما أولئك الذين خفت موازينهم لنقص حسناتهم وقلة فضائلهم وكثرة ما ارتكبوا من السيئات فمرجعهم الهاوية، والهاوية الحفرة العميقة يرمى فيها منكوساً على أم رأسه.

وما أدراك ماهيه، سؤال تخويف..

نار حامية.. عند الأم الأَمْن والراحة ولكن هذه الأُم عندها العذاب الطويل.. والألم الدائم ﴿ يا مالك ليقض علينا ربك ﴾ (سورة الزخرف/ ٧٧).

﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم ﴾ (سورة النساء/ ٥٦).. ﴿ وسيق

الذين كفروا ﴾ (سورةي الزمر/ ٧١). . ﴿ وسيق الذين اتقوا ﴾ (سورة الزمر/ ٧٣). .

هناك استقبال إهانة وتحقير وتأنيب وتبكيت. .

وهنا استقبال ترحيب وثناء وتحيات كانوا طيبين وجاؤوا طيبين والجنة طيبة ولا يدخلها إلا الطيبون.

قرآن الفجر (٢٢)

تفسير سورة العاديات

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ والعاديات ضبحاً، فالموريات قدحاً، فالمغيرات صبحاً، فأثرن به نقعاً، فوسطن به جمعاً، إن الإنسان لربه لكنود، وإنه على ذلك لشهيد، وإنه لحب الخير لشديد، أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾.

والعاديات: هي الخيل الجارية بسرعة، والضبح: صوت يخرج من جوفها عند الجري.

والموريات قدحاً: بحوافرها وهي تعدو، فإذا أصَاب الحافر حصاة قدحت. تغير صباحاً وتثير بغارتها نقعاً. والنقع هو الغبار، ثم تتوسط جيش العدو فتشتته على غير انتظار.

والإنسان كنود، كافر بالنعمة، جاحد لها، وهو يشهد على هذا الخلق الذي هو صفة له متى فقد إيمانه بربه، وهو شديد الحب للمال.

فإذا بعثر ما في القبور من عظام بالية، ونبشت الحياة هذه القبور، ثم بعد ذلك أعطي كل كتابه فرأى ما فيه حتى ما كان يكتمه في صدره. علم بعد ذلك كله أن الله عزّ وجلّ خبير.

يقسم الله تعالى بمخلوق من مخلوقاته، هي الخيل العادية، تجري مسرعة وهي ضابحة بأصواتها، قادحة النار من شدة جريها بحوافرها، فتفاجىء الأعداء مع الصباح وعلى غرة، مثيرة النقع والغبار، وتدخل وسطهم بغبارها، فتشتتهم على غير انتظار، ثم تتوسط صفوفهم على غرة، وتوقع بينهم الفوضى والاضطراب.

يقسم الله أن الإنسان جاحد نعمة ربه عليه، ناكر جزيل فضله، كنود وجحود في مظاهر تبدو منه في أفعاله وفي أقواله، وأنه على ذلك لشهيد، لأنه يمنع الخير عن عباد الله، يحب المال. ويحب أن يُحْمَدَ بما لم يفعل، وسينطق بالحق على نفسه يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم، حيث لا جدال ولا محال.

وإنه لحب الخير لشديد. يحب الخير كما يتصوره هو: المال، والسلطة، والجاه، وأعراض الدنيا، ويبخل بها بخلاً شديداً على المحتاجين. وهذه فطرة الإنسان، وهذا طبعه، ما لم يخالطه الإيمان فيغير من طبعه، ويهذب أخلاقه. والإنسان بغير إيمان حقير صغير.

أفلا يعلم ذلك الجاحد الناكر (وعلمه بذلك وحده يهز مشاعره) إذا بعثر ما في القبور بعثرة عنف، وخرجت الناس للحساب، وحصل ما في الصدور تحصيل عنف.

وظهرت الأسرار التي ضنت بها الصدور وخبأتها بعيداً بعيداً عن العيون والآذان، إن ربهم بهم يومئذ لخبير، فهو وحده خبير بهم، عليم بأحوالهم وأسرارهم، في كل وقت وفي كل حال وإنها لخبرة وراءها عاقبة ثم وراءها حساب وجزاء.

وهكذا بدأت الصورة بالغارة غارة خيل عادية ضابحة تقدح الشرر بحوافرها، تغير صباحاً لتباغت الأعداء بغارتها بغبارها بضبحها تدخل وسطهم فجأة وتأخذهم على غرة وتتركهم مذعورين، ثم كنود وجحود وأثرة وشح

وبعثرة قبور وظهور أسرار كانت مخبأة في االصدور ثم تنتهي الجولة إلى استقرار إلى نهاية مخيفة ولكنها مطمئنة تنتهي إلى الله وحده ﴿ إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾.

١١ ـ حديث روى ابن ماجة عن جابر عن النبي ﷺ: «إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله».

٢ ـ عـن أبي هريرة عنه ﷺ «ما أذن الله لشيء كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به».

(أذن: استمع استماع مجاز جلّ جلاله عن التشبيه).

٣ ـ ابن ماجة عن أبي ذر عنه ﷺ: «يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم أية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل خير من أن تصلي ألف ركعة».

حديث (١) مسلم عن جابر: اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن ـ سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم.

حديث (٢) البخاري عن سهل: إن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ ببردة منسوجة فقالت نسجتها بيدي لأكسوكها فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها فخرج إلينا وإنها إزاره فقال فلان: اكسنيها ما أحسنها، فقال ﷺ نعم فجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه فقال له القوم ما أحسنت لبسها النبي ﷺ محتاجاً إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد سائلاً فقال إني والله ما سألته لألبسها وإنما سألته لتكون كفني. قال سهل فكانت كفنه.

حديـث حـاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إني مجهود أي جائع فقال ﷺ: من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله. فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت:

لا.. إلا قوت صبياني. قال فعلليهم بشيء حتى يناموا فإذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج وأريه أننا نأكل معه. فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح وغدا على رسول الله ﷺ قال له: قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة.

قرآن الفجر (٢٣)

تفسير سورة الزلزلة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان مالها، يومئذ تحدث أخبارها، بأن ربك أوحى لها، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

الزلزلة أو الزلزال: اهتزاز الأرض اهتزازاً عنيفاً يغير من معالمها ويهدم ما عليها من قائم.

أثقال الأرض معادنها ونيرانها.

والزلزلة ورد ذكرها في القرآن كثيراً منها قوله:

١ ـ ﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ (سورة الحج/ ١، ٢).

٢ ـ ﴿ إذا رجت الأرض جاً، وبست الجبال بساً، فكانت هباء منبثاً ﴾ (سورة الواقعة/ ٤، ٦).

٣ ـ ﴿ يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، قلوب يومئذ واجفة،

أبصارها خاشعة، يقولون إننا لمردودون في الحافرة ﴾ (سورة النازعات/ ٦، ١٠).

٤ ـ ﴿ يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ (سورة عبس/ ٣٤، ٣٧).

أشتاتاً: متفرقين إلى النعيم أو إلى الجحيم.

الذرة الهباءة التي ترى في ضوء الشمس، أو هي الجزىء الذي لا يتجزأ.

إذا أذن الله، يوم القيامة ترتجف الأرض ارتجافاً، وتزلزل زلزالاً، وتنفض ما في جوفها نفضاً، وتخرج أثقالها أجساداً ومعادن، ممّا حملته زمناً طويلاً، ويخيل للناس أنهم يترنحون، والأرض تحتهم تهتز وتمور، فيحصل الدهش للإنسان ﴿ وقال الإنسان مالها ﴾.

سؤال مشدوه مبهوت ذاهل، رأى ما لم يعهد، وواجه ما لا يدرك، ما الذي حدث فرجّ الأرض رجاً، يحاول أن يتمسك بشيء فلا يجده.

﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ يوم يقع هذا الزلزال تحدث هذه الأرض أخبارها، وتصف حالها، وما جرى لها ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ أمرها أن تمور وترتجف وتتزلزل وتكون خراباً، أمر جبالها أن تدك دكاً وتتناثر فتكون سراباً، فأطاعت أمر ربها، فأذنت لربها وحقت، استمعت الأمر فأطاعت وانقادت.

وفي لمحة أو لحظة يصدر الناس من قبورهم أشتاتاً متفرقين ـ مختلفين، تشققت الأرض عنهم سراعاً مهطعين إلى الداع شاخصة أبصارهم ولكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه.

﴿ ليروا أعمالهم ﴾ وهنا الشدة وهنا الداهية فهم ذاهبون إلى الحساب الدقيق، إلى الحساب العسير، إلى السجلات التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة

إلا أحصتها، يواجهون بأعمالهم على رؤوس الأشهاد، عقوبة هائلة كبيرة، ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾ ومعنى المثقال الوزن.

والذرة شيء لا يرى بالعين المجردة. فما هو وزنه؟ وكيف يكون هذا الميزان الذي يزن الذرة؟ إنه ميزان لا شبيه له في الأرض، ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾.

فالخير تكافأ عليه، والشر تكافأ عليه لا يضيع قليله ولا كثيره. حديث عن ابن عباس: (يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام إلا وأنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي. فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم إلى قوله العزيز الحكيم) فيقال: (إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم).

حديث: عن أنس بن مالك: (أن رجلاً قال يا رسول الله قال الله تعالى: ﴿ الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم ﴾ أيحشر الكافر على وجهه؟ قال ﷺ أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر أن يمشيه على وجهه قال قتادة حين بلغه: بلى وعزة ربنا).

حديث عن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ: «يبعث الله يوم القيامة ناساً في صور الذر يطؤهم الناس بأقدامهم فيقال ما هؤلاء في صور الذر فيقال هؤلاء المتكبرون في الدنيا».

قرآن الفجر (٢٤)

تفسير سورة القدر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾.

ليلة القدر: التقدير والتدبير، وهي الليلة المباركة التي جاء ذكرها في سورة الدخان، ليلة بدء نزول القرآن.

﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم، أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين، رحمة من ربك إنه هو السميع العليم ﴾ (سورة الدخان/ ٣، ٦) وهي لا شك ليلة من ليالي رمضان. كما ذكر الله في سورة البقرة ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾.

والليلة عظيمة عظمها المولى جلّ شأنه بقوله: ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴾ واختارها لبدء نزول القرآن. أفاض فيها النور على الوجود كله، أسبغ فيها السلام الذي فاض من روح الله على الحياة الإنسانية بما شرع في هذا القرآن من عقيدة وشريعة وآداب يحيا بها من استجاب لها الحياة الطيبة.

ولقد فرق فيها من كل أمر حكيم.. وليلة القدر ليلة بدء الاتصال المطلق بين السماء والأرض. وقدرت فيها الأقدار، أقدار ليلة الحدث العظيم

الذي لم تشهد الأرض مثل عظمته وفي دلالته وفي آثاره في حياة البشرية كلها. وهي أكبر من أقدار الأفراد، أقدار أمم ودول وشعوب، أقدار حقائق وأوضاع وقلوب.

تنزل الملائكة والروح (جبريل عليه السلام) فيها بإذن ربهم في موكب ليس هو كمواكب الملوك التي نراها ونعرفها وإنما هو موكب تنزل بأمر الله لينشر السلام والسعادة على المؤمنين الصالحين المستجيبين من عباد الله لأمر الله جلّ جلاله، سلام هي: سلام الفرد، وسلام الضمير، وسلام العائلة، وسلام المجتمع، وسلام الدولة، سلام للجميع إذا عمل الجميع بأمر الله.

ونحن المؤمنين مأمورون أن لا ننسى ليلة القدر ولا نغفل ذكراها وقد جعل لنا نبينا محمد ﷺ سبيلاً هنا لإحيائها فقال: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان». ق وحم عن عائشة وحديث: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» ق.

والإسلام كما قلنا عقيدة إيمان احتساب وليس شكليات أو رهبنة أو مظاهر، الإسلام تجرد وإخلاص لله عزّ وجلّ وليس هو أوهام أو أساطير وخرافات يشيعها المخرفون في العامة من الناس.

الإسلام يأمرنا أن نربط بين ذكرى هذه الليلة وبين القيام فيها إيماناً واحتساباً والتماساً لمغفرة الله وعفوه.

والصحيح المشهر أن ليلة القدر خاصة بهذه الأمة. وأنها باقية إلى يوم القيامة.

حديث روى الإمام مالك عن النبي ﷺ أنه أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه ليلة القدر خيراً من ألف شهر.

حديث عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ أرى رؤياكم

قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر وغيرهما.

وأكثر العلماء قالوا إنها ليلة (٢٧) وبعضهم أنها ليلة (٢٣) والله أعلم.

واسمها ليلة القدر، سماها خالقها جلّ شأنه وأنزل باسمها قرآناً يتلى، وسماها ليلة مباركة. والقدر معناه التقدير والتدبير ومعناه القيمة والمقام، وليلة القدر جديرة بكل ذلك.. فيها سطع نور الهداية الإلٰهية على قلب محمد ﷺ رسوله رحمة بعباده يبشرهم وينذرهم ويهديهم ويجعل منهم أمة تقود إلى الخير وتحرر من عبودية وتجمع بعد فرقه، وتعلم من جهل، وتلم من شتات.

وليلة القدر كانت ولا شك في رمضان، وثبت في السنة أنها في الثلث الأخير منه لأن بعثة النبي ﷺ كانت في رمضان، ويوم الفرقان كان في رمضان وفي شهر رمضان أنزل القرآن.

وما أدراك ما ليلة القدر: أي أن علمك لا يبلغ غاية فضلها ومنتهى علو قدرها، وإنما يعلم ذلك علام الغيوب. فرق فيها من كل أمر حكيم. قدرت فيها أقدار أمم ودول وشعوب. أقدار حقائق وأوضاع، وضعت فيها قيماً وأسساً وموازين. ليلة القدر خير من ألف شهر.

نعم.. هي الليلة التي وضع فيها الحجر الأساسي لهذا الدين الذي جاء لخير البشرية والذي ختم نبيه الأنبياء، وختمت به الأديان الصالح لكل زمان ومكان، هي خير من ألف شهر تخبط فيه الناس في ظلام الشرك وضلال الوثنية. والله تعالى يفضل ما يشاء على ما يشاء من زمان ومكان لمعنى من المعاني أو حدث من الأحداث.

والمسلمون مأمورون بأمر النبي ﷺ أن لا ينسوا ليلة القدر، ففي أحاديث وردت أمر فيها ﷺ تحروا ـ التمسوها.. (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه). ولكن الناس منذ أغفلوا هذه الأوامر فقدوا

آلاء الله ونعمه عليهم فقدوا السلام سلام الضمير وسلام البيت وسلام المجتمع. نعم لقد فقد الناس السلام الذي كان يفيض على الأرواح والقلوب نعمة وطمأنينة وقناعة ورضى وبرداً ورفرفة بالأرواح إلى عليين.

تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر: موكب جميل (لا كليلكة فيه) ولا موسيقى ولا فوضى. مهرجان ملائكي فيه جبريل الروح الأمين يرفرف على الوجود وعلى الأرواح السارية والأعين الساهرة في طاعة ربها.

في نزول الملائكة شأن من شؤون الله لا نبحث عن كيفيته وإنما نؤمن به، دون أن نعرف تفاصيله أو أسراره، فما عرف العالم بعد علمه المادي بشتى وسائله إلا النزر اليسير.

وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً..

والإسلام ليس شكليات ظاهرة وإنما هو دين قلوب، فلهذا كان حث النبي ﷺ على قيام هذه الليلة (إيماناً واحتساباً) تجرداً لله وخلوصاً له.

والإسلام دائماً يربط بين العبادة وحقائق العقيدة فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى.

سلام هي حتى مطلع الفجر، هي ليلة كلها سلامة وأمن كلها خير وبركة من أولها إلى آخرها إلى طلوع الفجر وانبثاق النهار الجديد.

وكيف لا تكون كذلك وفيها فرج الله الكرب عن نبيه وفتح له سبل الهداية والإرشاد وأكرمه بأن أنزل عليه الدستور الشامل لخير البشرية إلى يوم القيامة.

قرآن الفجر (٢٥)

تفسير سورة البينة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة، رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة، فيها كتب قيمة، وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلاَّ من بعد ما جاءتهم البينة﴾.

منفكين: راجعين عما هم فيه، متحولين عن شرهم وفسادهم.

كانت الأرض في حاجة ماسة إلى رسالة جديدة، كان الفساد قد عم حيث لا يرتجى صلاح مصلح إلاَّ برسالة من السماء، بمنهج جديد، وحركة جديدة، وكان الكفر قد تطرق إلى عقائد أهلها جميعاً حتى أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية ثم حرفوها، لن ينفكوا عن هذا الكفر أو يتحولوا عنه إلاَّ برسالة سماوية، يكون الرسول ذاته بينة واضحة فارقة فاصلة، يتلو صحفاً مطهرة من الشرك والكفر، فيها كتب قيمة.

ومعنى الكتاب هنا: الموضوع.

وجاءت الرسالة في وقتها، وبعث محمد ﷺ في وقته، وجاءت الصحف صحف القرآن لتحدث في الأرض حدثاً لا تصلح هذه الأرض إلاَّ به.

كان الإنسان نسي خالقه فنسى مصيره، وفقد رشده ـ فقد إدراكه ـ فلا يميز بين خير وشر، ولا بين حسن وقبيح والفساد عم، ورجال الدين انسحبوا إلى الأديرة والكنائس والخلوات، فراراً بدينهم وفراراً من تكاليف الحياة، ومن بقي منهم وافق الملوك على ما يريدون وأعانهم على ظلمهم وإثمهم، وأصبحت الديانات فريسة العابثين واللاعبين، فقالت اليهود يد الله مغلولة، وقالوا العزير ابن الله، وقالت النصارى أن الله ثالث ثلاثة وقالوا المسيح ابن الله، وقالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، والعرب عبدوا الأصنام وعبدوا النجوم والكواكب وسجدوا للنصب.

﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلاَّ من بعد ما جاءتهم البينة﴾ فتفرق اليهود إلى طوائف ثم تفرقوا بعد ذلك إلى يهود ونصارى مع أن المسيح عليه السلام هو من بني إسرائيل جاء مصدقاً للتوراة، ثم تفرق النصارى إلى فرق متعددة، كل هذه الخلافات حصلت بين أهل الكتاب جميعاً، وبين أيديهم التوراة والإنجيل وفيهما البينة، فلم يكن ينقصهم علم ولا بيان، وإنما كانوا محترفين مع الهوى والشهوات.

حديث عن معاوية قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا أن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملَّة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة. أحمد وأبو داود وزاد وأنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء، كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلاَّ دخله.

روى عن غُضَيْف بن الحارث الثمالي قال بعث إليَّ عبد الملك بن مروان فقال: يا أبا سليمان إنا قد جمعنا الناس على أمرين، فقال ما هما، قال: رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة، والقصص بعد الصبح والعصر، فقال أما أنهما أمثل بدعتكم عندي، ولست بمجيبكم إلى شيء منهما. قال ولم؟ قال: لأن النبي ﷺ قال: ما أحدث قوم بدعة إلاَّ رفع مثلها في السنة.

فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة، رواه أحمد والبزاز.

حديث عن حذيفة عنه ﷺ: «لا يقبل الله لصاحب بدعة صوماً ولا صلاة ولا حجاً ولا عمرة ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلاً (فرضاً ولا نفلاً) يخرج من السلام كما يخرج الشعر من العجين. بن ماجة.

حديث برزة عنه ﷺ: ﴿إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى﴾ رواه أحمد.

قرآن الفجر (٢٦)

تفسير بقية سورة البينة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وما أمروا إلَّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة، إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشيّ ربه﴾.

حنفاء: مستقيمين على الحق، مائلين عن الضلال إلى الهدى، القيمة: الأمة المستقيمة على الحق. عبادة الله وحده، إخلاص الدين له، ميل عن الشرك وأهله، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، ﴿ذلك دين القيمة﴾ العقيدة الخالصة في الضمير، وعبادة الله تترجم عن هذه العقيدة. وإنفاق المال في سبيل الله يزكي النفس من الشح وتوصل إلى الفلاح، فمن حقق هذه الأوامر فقد حقق الإيمان كما أمر به أهل الكتاب وكما هو في دين الله الذي بعث به الأنبياء، دين واحد لا غموض فيه ولا تعقيد.

جاءت الأنبياء من قبل بالبينة، ثم جاءت البينة في بعثة رسول لله محمد ﷺ وقدم لهم العقيدة الواضحة البسيطة الميسرة. جاء ﷺ بالرسالة

الأخيرة الجامعة الشاملة الكاملة وقد شاء الله تعالى أن يختم بها الرسالات إلى الأرض، فإما إيمان به النجاة، وإما كفر به الهلاك.

﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية﴾.

حكم قاطع لا جدال فيه، وصلاح في بعض أعمالهم لا يفيدهم شيئاً ما دام قائماً على غير إيمان بهذه الرسالة الخاتمة، وهذا النبي الخاتم.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ حكم قاطع أيضاً لا مجال فيه، ولكن فيه شرط: إيمان وعمل صالح لا إيمان كلمات، لا خطبة ترتجل وتقال أو قصيدة تنشد في محل، إيمان لا كلمات يتشدق بها الناطق بها، إيمان له أثره في واقع الحياة، عمل صالح: صالحات في العبادة وفي الخلق وفي العمل وفي المعاملة فمتى جمع هذه الصفات فهو من خير البرية.

حديث: (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلاَّ بعداً).

وخير البرية ﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ قرار نافذ المفعول، لا استئناف فيه ولا تمييز.

جنات دائمة في نعيمها أبدية الإقامة، آمنة من الفناء، لا يعكرها قلق ولا ينقصها، تجري من تحتها الأنهار وتلقي عليها النداوة والحياة والجمال.

هؤلاء (رضي الله عنهم) ورضى الله أعلى من كل نعيم وهو الغاية التي يطلبها المتقون. (ورضوا عنه) رضوا عن إنعامه عليهم، عن هدايتهم، رضى يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾ وخشية الله تتوقف على صلة القلوب بالله. ودليلها الابتعاد عن نواهيه وعن كل انحراف وإنما هو عمل لله وحده.

حديث عن أنس عنه ﷺ «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض» ابن ماجة والحاكم.

حديث: (عن معاذ بن جبل أنه قال حين بعث إلى اليمن يا رسول الله أوصني قال ﷺ أخلص دينك يكفك العمل القليل) الحاكم.

حديث عن ثوبان قال سمعت رسول الله ﷺ: «طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تتجلى عنهم كل فتنة ظلماء».

حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة.

١ ـ كان لي أبوان.

٢ ـ كانت لي ابنة عم ١٢٠ دينار كان لي أجراء، أعطيتهم إلاَّ واحداً. . . .

والسورة جاءت بحقائق أربعة: الأولى لم يكن الذين كفروا. . . . إلى كتب قيمة.

الحقيقة الثانية: وما تفرق الذين. . . إلى جاءتهم البينة.

الحقيقة الثالثة: وما أمروا إلاَّ ليعبدوا الله. . . إلى وذلك دين القيمة. .

الحقيقة الرابعة: إن شر البرية الذين كفروا. . . وخير البرية الذين آمنوا وعملوا الصالحات. . إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين إلى آخر الآيات الثلاث.

قرآن الفجر (٢٧)

تفسير سورة العلق

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ما معناه قالت: أول ما بدىء رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلَّا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه ـ فيتعبد فيه ـ الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فاجأه الوحي، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه. فقال: اقرأ قال رسول الله ﷺ: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطني ـ ضمني إليه ـ حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارىء، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

معنى هذا أن هذه الآيات الخمس أول آيات نزلت من القرآن تبدأ باسم الله، توجه محمداً ﷺ إلى أن يقرأ باسم الله ﴿اقرأ باسم ربك﴾ وتبدأ من

صفات الرب بالصفة التي بها الخلق والبدء، خلق جميع الكائنات، ثم تخصص خلق الإنسان، هذا الإنسان العاقل، من علق، جرثومة صغيرة علقت ببويضة المرأة في جدار الرحم فصارتا نقطة دم جامدة. من ذلك المنشأ الصغير الساذج التكوين خلق الإنسان، ورفعه إلى درجة هي فوق كل الحيوان، ومن ذلك العلق، خلق كل حيوان لكنه كرم الإنسان بالعقل، فهو يعلم فيتعلم. ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾. الزائد في كرمه، فهو أكرم من كل كريم، فهو الأكرم الذي فاق كرمه على جميع الكرماء.

وهنا يبرز كرم الخلق جلَّ شأنه بحقيقة التعليم، تعليم الإنسان بالقلم، فالقلم هو الأساس الأول للعلم، وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان، والله جلَّ شأنه وهو العليم بهذه الحقيقة نبه إليها في أول لحظة من لحظات الرسالة، في أول سورة نزلت من سور القرآن، على النبي الأمي الذي ما كتب بالقلم، فهو إذن وحي ورسالة.

ومصدر التعليم هو الله وحده يستمد منه الإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم، وكل ما تفتح له من أسرار، أسرار نفسه، أسرار هذه الحياة، أسرار هذا الوجود، أسرار الكون، كل ذلك من توفيق الله، من ذلك المصدر الوحيد، الذي ليس هناك سواه، هو الله الذي خلق والذي علم ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾. وللعلم فضله، والعلماء يخشون الله تعالى أكثر من غيرهم لأنهم عرفوه أكثر من غيرهم»، ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذي لا يعلمون﴾؟ (سورة الزمر/٩) لا.. لا يستوي عالم وجاهل، فبينهما فرق عظيم، والله جلّ شأنه ضرب الأمثال للناس كثيراً في كتابه العزيز وقال: ﴿وما يعقلها إلَّا العالمون﴾ (سورة العنكبوت/ ٤٣).

حديث عن معاوية «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله». رواه د ت ق.

حديث عن أبي واقد الليثي: (بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد

والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد قال فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه (أي لم يزاحم فلن يعاقبه الله). وأما الآخر فأعرض الله عنه» ق ت ن.

حديث عن أبي أمامة الباهلي قال ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير» ت.

قرآن الفجر (٢٨)

تفسير بقية سورة العلق

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿كلا إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى، إن إلى ربك الرجعى، أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى، أرأيت إن كان على الهدى، أو أمر بالتقوى، أرأيت إن كذب وتولى، ألم يعلم بأن الله يرى﴾.

في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال لو فعله لأخذته الملائكة).

وعن ابن عباس قال: (كان النبي ﷺ يصلي فجاء أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا فزبره النبي ﷺ فقال أبو جهل إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني فأنزل الله ﴿فليدع ناديه، سندع الزبانية﴾ قال ابن عباس: «فوالله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله» الترمذي.

إن الذي أعطى هذا الإنسان فأغناه هو الله. كما أنه هو الذي خلقه وكرمه وعلمه ولكن من لا يعصمه إيمانه لا يشكر حين يستغني ولا يعرف مصدر النعمة التي أغنته فهو يطغى ويفجر ويتكبر ويبغى. من حيث كان عليه أن يعرف ويشكر. ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً...﴾ (سورة المدثر/ ١١).

ثم يأتي التهديد اللاذع ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ فأين مفر هذا الذي استغنى فطغى وتكبر.

أرأيت رجلاً يصلي فيأتيه طاغية ينهاه، أرأيته إن كان على الهدى ثم ينهاه وهو على الهدى، وأمر بالتقوى، ثم يضيف هذا المتكبر فعلة أخرى أشد نكراً من الأولى ﴿أرأيت إن كذب وتولى﴾ ينهي العبد المؤمن إذا صلَّى وهو على الهدى وأمر بالتقوى. يرى هذا ويعلم بأن الله يرى ثم يجيء التهديد الحاسم مكشوفاً بقوة ﴿كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة، فليدع ناديه، سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾.

لئن لم ينته. تهديد في وقته ووعيد شديد نسفع نأخذ بشدة وعنف والناصية الجبهة ومقدم الرأس التي يرفعها المتكبر حين يتشامخ ناصية كاذبة خاطئة أهل للسفع والصرع والذم والإهانة فليدع ناديه الذي يعتز به من أهله وصحبه، أما نحن سندع الزبانية، أصحاب جهنم الملائكة الشداد الغلاظ، والمعركة معروفة المصير والنتيجة.

ثم في آخر السورة نبيه الحبيب الطائع يوجهه للثبات على إيمانه وطاعاته.

﴿كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾.

وهذه السورة وإن كانت نزلت في أبي جهل والنبي ﷺ كما ذكرنا، لكن دلالتها عامة فهي لكل مؤمن طائع عابد داع لله، وكل طاغ باغ معاند مكابر ينهي عباد الله عن الصلاة يختال بقوته ويطغى بغناه، والتوجيه الرباني الأخير ﴿كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾.

حديث عن معدان بن أبي طلحة رضي الله عنه قال لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة فقال سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «عليك بكثرة السجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلَّا رفعك الله بها درجة وحط بها عنك خطيئة». مسلم و ت و ن و هـ.

حديث عن عبادة بن الصامن أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسجد لله سجدة إلاَّ كتب الله له بها حسنة ومحا عنه بها سيئة ورفع له بها درجة فاستكثروا من السجود» هـ.

حديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا من الدعاء» م.

حديث «الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر» طس.

قرآن الفجر (٢٩)

تفسير سورة التين

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿والتين والزيتون. وطور سينين. وهذا البلد الأمين. لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين، إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون، فما يكذبك بعد بالدين، أليس الله بأحكم الحاكمين﴾.

التين والزيتون موضعان في فلسطين، أحدهما يسمى طور تينا والثاني طور زيتا، وطور سينين هو طور سينا والبلد الأمين مكة، واختلاف الأقوال في التين والزيتون.

أقسم الله بهذه الأماكن التي شرفها بإنزال وحيه فيها على أنبيائه ومنهم موسى وعيسى ومحمد ﷺ أجمعين، وذكر هذه الأماكن لما لها من علاقة بمبعث الأنبياء أو نشأة الإنسان.

والله الذي أحسن كل شيء خلقه خصص الإنسان بأن خلقه في أحسن تقويم، وأكمل صورة خلقه فسواه فعدله وخصه دون سائر الحيوان بالعقل والتفكير. والإنسان مخلوق من نفس المادة التي خلق منها الحيوان لكن عناية الله تجلت في خلقه وتركيبه سواء في تكوينه الجسماني البالغ الدقة والتعقيد أو في تكوينه العقلي أو تكوينه الروحي. **كلمة عن الدم وعن بعض الأعضاء.**

والإنسان مهيأ روحياً لأن يبلغ من الرفعة مدى يفوق مقام الملائكة المقربين، بينما هو مهيأ لأن ينتكس ويهوي إلى الدرك الأسفل حيث تكون البهائم أرفع منه لأن البهيمة ملهمة ولها فطرة لا تتعداها، والإنسان الذي خلق في أحسن تقويم ربه، مرتكس في هواه وغيه والبهيمة لا تملك ذلك.

لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم فطرة واستعداداً ثم رددناه أسفل سافلين، حين ينحرف عن الفطرة السليمة والطريق السوي الذي هداه الله إليه وبينه له: ﴿إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فهؤلاء كملوا فطرتهم وخلقهم السوي بالإيمان والعمل الصالح وارتقوا بهما إلى حياة الكمال والفضيلة ولهم بعد ذلك في دار الكمال ﴿أجر غير ممنون﴾ غير مقطوع دائم. أما أولئك الذين عملوا السيئات فيظلون ينحدرون بها حتى تستقر بهم في الدرك الأسفل في نار جهنم.

نهايتان طبيعيتان أما استقامة على الفطرة وتكميل لها بالإيمان ورفع بالعمل الصالح ثم وصول إلى النعيم. وأما انحراف عن الفطرة وارتكاس ثم خلود في الجحيم.

﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ بعد هذه الحقيقة ينادي خالق الإنسان عبده الإنسان: ما الذي يكذبك بالدين بيوم الجزاء بعد ما ظهر من قدرة الله.

أليس الله بأحكم الحاكمين، أليست حكمة الله بالغة في حكمه هذا على المؤمنين وغير المؤمنين.

حديث: روى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من قراء والتين والزيتون فقرأ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وإنا على ذلك من المشاهدين.

حديث: عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» ت ك.

حديث: عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد. وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها». د. ت هـ.

قرآن الفجر (٣٠)

تفسير سورة الشرح أو الإنشراح

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿ألم نشرح لك صدرك. ووضعنا عنك وزرك. الذي أنقض ظهرك. ورفعنا لك ذكرك﴾.

هذه الآيات توحي بأن ضائقة كانت في روح الرسول ﷺ من كيد الكفار له من المكر المضروب حول الدعوة من العقبات الوعرة في طريقها. توحي هذه السورة بما في صدر الرسول ﷺ من هموم ثقيلة. فكانت المناجاة الحلوة من رب كريم: ألم نشرح لك صدرك لهذه الدعوة، ألم نيسر لك أمرها. ألم نشرع لك طريقها ووضعنا عنك الحمل الثقيل حمل الهم الذي كان يسببه إعراض قريش عن إجابة دعوته فقد كان حريصاً على هدايتهم لكن الله شرح صدرك بتوفيقك وبالوحي الذي يكشف لك عن الحقيقة ويعينك على التسلل بدعوتك إلى النفوس السليمة ومداخل القلوب المنفتحة للخير.

﴿ورفعنا لك ذكرك﴾: رفعناه في الملأ الأعلى، رفعناه في اللوح المحفوظ، رفعناه في الأرض، رفعناه في هذا الوجود جميعاً، رفعناه فجعلنا اسمك مقروناً باسم الله تنطق به الأفواه. لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله تنطق ملايين الملايين على ممر القرون وتكرر الأجيال في كل مكان مع حب عميق

لك في القلوب واحترام وتعظيم وصلاة وتسليم. نعم رفعنا لك ذكرك رفعة لم ينلها أحد من قبل ولا من بعد ولن ينالها أحد في هذا الوجود. وإن العسر لا يخلو من يسر يصاحبه ويلازمه فحينما ثقل العبء عليك شرحنا لك صدرك فخف الهم ﴿فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا﴾ تكرار يدل أن الضيق كان شديداً عليه ﷺ وأنه كان في عسر ومشقة فلا بد أنه كان في أمر عظيم يثقل على نفسه ﷺ.

ثم يأتي التوجيه من الرب الكريم لعبده الرسول العظيم ﴿ فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب ﴾.

فإذا فرغت من شغلك مع الناس ومع شواغل الدعوة فتوجه إلى أن تنصب وتكد وتجهد لدنياك فإن العاقل المؤمن إذا فرغ من عمل وصله بآخر وتعب فيه حتى يصل إلى غايته التي يسعى إليها واطلب من الله التوفيق والنجاح، تطلع وتوجه إلى ربك وارغب، ارفع طلبك إليه فهو وحده الذي يمدك باليسر بعد العسر، وبالفرج بعد الضيق.

روى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ألم نشرح لك صدرك للإسلام، فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً، قال ابن عيينة أي مع العسر يسر آخر كقوله هل تربصون بنا إلاَّ إحدى الحسنيين ولن يغلب عسر يسرين.

حديث: «عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (قال لي رسول الله ﷺ وهو على المنبر اقرأ عليَّ قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال ﷺ: «إني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت سورة النساء حتى أتيت هذه الآية فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً، قال حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان» ق الآية (٤١) من سورة النساء.

حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لأبي بن

كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن قال عبدالله آللّه سماني لك قال ﷺ نعم. . قال وقد ذكرت عند رب العالمين، قال ﷺ نعم فذرفت عيناه» وفي رواية إن الله أمرني أن أقرأ ﴿لم يكن الذين كفروا قال فسماني؟ قال نعم فبكى﴾ ق.

قرآن الفجر (٣١)

تفسير سورة الضحى

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى، وللآخرة خير لك من الأولى﴾.

هذه السورة خالصة للنبي ﷺ كلها تسلية وترويح وتطمين. الطاف من القربى أنسام من الرحمة يقسم الله بهذين الوقتين الرائقين الضحى الرائق والليل الساجى وسجى معناه رق وسكن وصفا. ما تركك ربك من قبل ولا قلاك وما أخلاك من رحمته ورعايته وإيوائه فهو راعيك وكافلك لم يفض معين فضله عنك، ولا منعك من فيض عطائه، وآخرتك خير من أولاك، ومستقبلك خير من ماضيك.

إن ربك معك فأبشر بالتوفيق في دعوتك وإزاحة العقبات عن طريقك وأبشر بغلبة منهجك وظهور حقك.

انظر واقع حالك وماضي حياتك هل ودعك ربك وقلاك.

ولقد ولدت يتيماً فآواك، وعطف عليك القلوب، وكنت فقيراً فأغنى الله نفسك بالقناعة كما أغناك بالكسب:. ونشأت في الجاهلية المضطربة المخرفة فهداك الله إلى الحق بما أوحى إليك فلا تحزن فستكون النهاية خيراً من البداية وستتوالى عليك نعم الله من إعلاء كلمة ورفع ذكر، وبمناسبة ما

ذكره ربه من النعم المتوالية عليه وجهه ووجه أمته من ورائه إلى رعاية كل يتيم وكفاية كل سائل والتحدث بنعمة الله.

﴿فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث﴾.

نهى عن قهر اليتيم وكسر خاطره وإذلاله وأوجب رعايته وإكرامه وحفظ ماله. وأمر بالرفق بالسائل ومنع عن نهره وزجره، وتحدث بنعمة الله عليك وخاصة نعمة الهدى وكملها بالبر بعباد الله واجعل من مظهرك وتواضعك شكراً لربك واعترافاً بفضله عليك.

حديث: عن أبي أمامة رضي الله عنه: «من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلاَّ لله كان له في كل شعرة مرت عليها يده حسنات ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» وفرق بين إصبعيه السبابة والوسطى رواه أحمد وغيره.

حديث: عن أبي هريرة (أنا أول من يفتح باب الجنة إلاَّ أني أرى امرأة تبادرني فأقول لها: مالك من أنت فتقول أنا امرأة قعدت على أيتام لي) أبو يعلى.

حديث: عن عوف بن مالك الأشجعي: (أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة وأومأ بإصبعيه السبابة والوسطى امرأة آمت زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا) أبو داود.

حديث: أبي هريرة: (يقول العبد مالي مالي وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأمضى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس). مسلم.

حديث: عبدالله بن مسعود: (نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل). د و ت.

حديث عن مالك بن نضلة: (الأيدي ثلاثة فيد الله العليا ويد المعطي التي تليها ويد السائل السفلى فاعط الفضل ولا تعجز عن نفسك). د وابن حيان.

قوة الإيمان (٣٢)

قال الله تعالى: ـ ﴿قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ (سورة الحجرات/ ١٤)

ذلك أن القوة الإيمانية هي التي تدفع المؤمن إلى الحق في كل ما يفعل أو ما يقول.

وأكبر ما يحتاج إليه المسلمون في هذا الزمان هو تحريك هذه القوة الكامنة التي رانت عليها الغفلة والجهالة.. فأصبح الناس عمي البصائر، غلف الألباب.

الإيمان ضعف في الأمة هذا مما لا شك فيه.. الإيمان تراكم عليه الغبار.. غبار الجهالة.. وأحاطت به الأهواء الطاغية، المتناوشة من كل جانب، وهذا ما ليس فيه خلاف.

الإيمان فقد في الأمة وأصبح الناس في أوطانهم مسلمين بالاسم أو بالجنسية.

إن الإيمان قوة غلابة كبرى تملي كلمتها وتفرض إرادتها وتثبت حجتها وقوتها وصلاحيتها على مدى العصور.. وفي سائر المجتمعات والبلاد لا فرق فيها بين شرق وغرب.. وبين عرب وعجم وبين أمة إسلامية عريقة في الإسلام أو حديثة عهد في الإسلام.

إن قوة الإيمان كالنور يبدد الظلام مهما اشتد وأظلم وطبق الآفاق بظلمته.. يهدي الله بنوره من يشاء.

كان هذا الإيمان وراء كثير من الحركات الإسلامية في كثير من البلاد الإسلامية..

كان هذا الإيمان يقود المسلمين في حروبهم الدفاعية شمالاً وشرقاً وكان هذا الإيمان يمشي مع صلاح الدين وجنوده في حربهم ضد الصليبيين ومع قطز وجنوده في حربهم ضد التتار.

﴿يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (سورة محمد/ ٧).

وحتى يدفعوا عنهم الوعيد... وعيد الله القائل: ـ

﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ (سورة محمد/٣٨).

شروح الصدور (٣٣)

قرأت قول الله عز وجل في كتابه العزيز وهو يصف عباده المؤمنين في سورة الأنفال ٢ ـ ٤ : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾.

ثم قرأت قوله تعالى : ـ ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ (سورة الزمر/ ٢٣).

أنزل الله هذا الكتاب من السماء ذكراً تلقته القلوب الحية فتفتحت وانشرحت وتحركت فيها حركة الحياة.

مثلها كمثل ماء نزل من السماء فتلقته الأرض فتفتحت وتشققت وأزهرت وازدهرت فأنبتت زرعاً مختلفاً ألوانه.

الله جلَّ شأنه يشرح للإسلام قلوباً يعلم فيها الخير ويصلها بنوره فتشرق وتضيء بنور الإيمان. فسبحان الله خالق القلوب العليم بأسرارها إذا تليت عليها آيات الله زادتها إيماناً وتصديقاً.

تلقت آيات الله فانشرحت واستبشرت وأشرقت بنور الإيمان ﴿أفمن

شرح الله صدره للإيمان فهو على نور من ربه﴾ (سورة الزمر/ ٢٢). الإيمان بأحسن الحديث كتاب متشابه مثان تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم إنهم المؤمنون الذين إذا تليت عليهم آيات الله زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون. يعرفون هذه الآيات ويفقهون معانيها وأوامرها ونواهيها فإذا قرأوها وجلت قلوبهم فيغشاها من جلال الله ما يغشاها. ولا سيما إن كانت في هذه الآيات أوامر ونواه.. فتنفذ الأمر وتجتنب النهي مخافة من القائل ومهابة من الأمر إلى جانب تقصير المأمور فيقول: رب أعني على طاعتك وجنبني معاصيك..

يدعو الله فيطمئن إلى حسن إجابته وكريم عونه..

والقلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيماناً لأنه يدرك أن هذا القول قول الله القائل: ـ ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ (سورة النحل ٧٩).

والإيمان إذا حل في قلب المؤمن وجد في آيات الله لذة حين يقرأ. وحلاوة حين يسمع هذه الحلاوة وهذه اللذة تجعله يعيش مع القرآن في صباحه ومسائه. في فراغه وفي عمله.

كان سلفنا الصالح يعيشون هكذا مع القرآن الذي يتنزل عليهم فيسمعون آياته من رسول الله ﷺ فإذا تلاها عليهم زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون.. وهكذا عاش التابعون الذين سمعوا القرآن من أفواه أصحاب النبي ﷺ الذين إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون..

نعم.. على ربهم يتوكلون.. وحده لا يشركون معهم أحداً يستعينون به ويتوكلون عليه لا يرجون سواه ولا يقصدون إلاَّ إياه ولا يلوذون إلاَّ بحنانه، ولا يطلبون الحوائج إلاَّ منه ولا يرغبون إلاَّ إليه، ولا يخافون إلاَّ منه. ويؤمنون بأنه المتصرف في الملك لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب.

إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى

ربهم يتوكلون يوحدون الله ولا يتوكلون على أحد غيره ولا يطلبون العون والنصر إلاَّ منه..

والاتكال على الله وحده لا يمنع من اتخاذ الأسباب فالمؤمن يتخذ الأسباب من باب الإيمان بالله وطاعته فيما يأمر به من اتخاذها: ـ ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ (سورة الملك/ ١٥)، ﴿فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ (سورة الجمعة/ ١٠).

الأسباب لا النتائج، ولا علاقة بين السبب والنتيجة في عقل من توكل على الله، لأن اتخاذ السبب طاعة لله والنتيجة قدر من الله وفي كليهما توكل على الله، فالذي يتوكل على الله يعمل ويتخذ السبب.

ولنعد إلى حديثنا الأول (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه وويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين. الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء).

كلمات تشع بالنور.. بنور لم تمسسه نارٌ ولا تيار كهربائي إنه نور الله في كلام الله أشرق فتقبلها قلب المؤمن فاستضاء فويل لمن قسا قلبه، وصمت أذنه، وعميت بصيرته.. أما من اتقى الله وآمن فإنَّه يتلقى هذا الذكر في وجل ولكنه لا كالخوف من صاعقة أو عذاب شديد.

إنه وجل تهدأ إليه النفس وتلين له الجلود وتطمئن له القلوب وتأنس العقول، ويرتاح المتقي إلى ما فيه من ذكر فيأنس ويتذكر قول الله عز وجل: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (سورة الرعد/ ٢٨). ثم ينتبه قلبه فيتذكر الآية ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ (سورة الزمر/ ٢٣)، فيستعيذ بالله ويرفع يديه إلى السماء داعياً الله بقلب وجل: ﴿اللهم إني أعوذ بك من الضلال بعد الهدى ومن الجهل بعد العلم ومن الغواية بعد الرشد ومن فتنة المحيا والممات﴾.

الطيبات (٣٤)

﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ (الأعراف/ ٣٢).

الإسلام لا يصدم الفطرة البشرية ولا يقيدها.. بل يهذبها بأوامره ونواهيه عن أن تنطلق وراء شهواتها انطلاق الحيوان..

الإسلام بتهذيبه هذا لا يصادم الإنسانية عن أن تلتذ بغذاء أو تتزين بلباس أو تسعد بحياة بل يقودها إلى حياة صفو وهناءة وإسعاد معتدلة لا إفراط فيها ولا تفريط.

خلق الله الإنسان خليفة في أرضه لتصلح به الأرض وتعمر وبعد أن هبط فيها حرث وبذر وزرع وأنشأ الله من هذا الحرث والبذر جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه.. وقال لنا جلَّ جلاله: ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾ (سورة الأنعام/ ١٤١). وقال لنا أيضاً: ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾ (سورة المائدة/ ٨٨).

والإسلام دين الله الذي بعث به محمداً النبي الأمي الذي ختم برسالته الرسالات وختم ببعثته النبوات.. يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث أنزل عليه ربه قوله: ـ

﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم

إياه تعبدون﴾ (سورة البقرة/ ١٧٢). وأنزل عليه أيضاً: ـ ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه﴾ (سورة طه/ ٨١).

إذن فهناك أطعمة غير طيبة نهى الإسلام عنها.. إنها أطعمة معينة وأشربة معينة. ولذات معينة.. لا شك أنها تضر بالإنسان.. تضر بالصفو والإسعاد والهناءة التي أرادها الله الخالق لمخلوقه الإنسان.. كما نهاه عن طعام وشراب ولباس دفع ثمنه من كسب حرام..

والإسلام حين حرم المحرمات حرمها لحكمة معينة يعلمها الله جل شأنه..

حرم الإسلام الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوها من المأكولات وحرم الخمر وكل ما أسكر وخدر من المشروبات حفظاً لصحة جسم الإنسان وسلامة عقله.. وحرم القمار والمراهنة حفظاً للأخوة الإنسانية ولمكارم الأخلاق.

والمحرمات كلها معروفة مآكل ومشارب وغزائز ومعاملات..

إن الفطرة البشرية تطلب بغريزتها الإنسانية الأمن والعدل والسلام..

والإسلام بعدله وبسلامه يمكن لهذه المطالب تأسيساً وحماية وتمسكاً.. لهذا عاقب المفسدين في الأرض والعابثين بالأمن.. وحد لهذه العقوبات حدوداً نص عليها في كتابه العزيز..

ولا ننسى أن الله عز وجل أمر أن ندفع بالتي هي أحسن السيئة ووعد المصلحين بحفظهم من الهلاك وقال في محكم تنزيله: ـ

﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ (سورة هود/ ١١٧).

أما من لم يبال بأوامر ولم يحفظ حدوده وعاث في الأرض فساداً فالهلاك أقرب إليه من حبل الوريد.. ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة

مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (سورة النحل/ ١١٢).

والإسلام بعد ذلك كله أحل لنا لذيذ المأكل، ولذيذ المشرب ولكن نبهنا إلى أن الأنانية والاستئثار شيء قبيح ولكن الإيثار خلق كريم، ومدح أولئك الناس الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة..

إذن فليذكر المسلم بعد المغرب في كل يوم من أيام رمضان حين يأكل الطيبات أخاه وليستمع قول الله عز وجل: ـ

﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ (سورة الحج/ ٢٨).

والإسلام وضع تعاليمه ومكن لها وحث عليها وأمر بحمايتها ليظهر الإنسان المسلم بأبهى صوره.. ويحمل معه معاني كلمة الإسلام.

الصلات الإسلامية (٣٥)

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ـ

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاَّ وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ (سورة آل عمران/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

والإسلام جاء من أول يوم بالأخوة الإسلامية يستهدف أحكام الروابط بين المسلمين، ويشدد وثاقهم بالأخوة التي تعلو على كل أخوة.. فلا أجناس، ولا أوطان.. ولا قبائل..

﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ (سورة الحجرات/ ١٠). جملة جاءت تشمل كل المؤمنين على سطح هذه الأرض بكلام إلهي جليل.

إنها أخوة إسلامية ارتفعت على الصحبة والصداقة.. والأخوة والنسب..

وتتابعت آيات القرآن في مراحل دعوة رسول الله وهي تزيد في ثقة هذه الصلات الإسلامية بين المسلمين. ويهتف القرآن بهم قائلاً: ـ

﴿لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾ (سورة التوبة/ ٢٣).

فيقولون: ـ ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ (سورة الفرقان/ ١٨).

فيؤكد الكتاب الكريم هتافه لهم: ـ

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ (سورة التوبة/ ٧١).

ويثني القرآن الكريم على هذه الصلة المتينة بوصف أولئك الذين فضلوا أخوة الإسلام على كل أخوة.. فيقول: ـ

﴿والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ (سورة الحشر/ ٩).

ألف الله بين قلوبهم حتى آثروا بعضهم على بعض، وسجل القرآن الكريم هذه الألفة بقوله تعالى: ـ

﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم، لو أنفقت، ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم..﴾ سورة الأنفال/ ٦٢، ٦٣).

كتب أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان والذين اتبعوهم، كتبوا تاريخهم صحائف من نور.. أحبوا محمداً الرسول ﷺ الذي هدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام.. أطاعوا أوامره واجتنبوا نواهيه.. وأحسنوا القصد.. ووفقهم الله وأعزهم على من سواهم..

علموا أن الإسلام دين التوحيد.. توحيد الباري عز وجل فلا يعبد أحد سواه، ولا يقصد أحد سواه.. ولا يسأل أحد سواه..

عرفوا أن الذلة لله عزة.. وأن الاعتماد عليه نجاح، وأن الحاجة إليه غنى.. قضية لا تحتاج إلى بيان.. ولا تحتاج إلى برهان.

ربى الإسلام أولئك الرجال تربية صالحة طاهرة من كل دنس حتى

جعلت منهم رجال حكم، وأئمة هداية، ورواد إصلاح.. وموازين عدل، وينابيع حكمه..

إخوتي وأخواتي:

كان هذا ديننا وما يزال هو هو، وكان هؤلاء سلفنا.. لكني أقول ويا للأسف: خلف من بعدهم خلف انحرفوا عن الطريق وهم يعلمون أنهم انحرفوا.

صلاح القلوب (٣٦)

﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾ (سورة البقرة/ ١٠).

وكلمة قلب في الإنسان تشير إلى العقل.. فكلما قرأنا كلمة (قلب) شعرنا بأن المعنى يتجه إلى القلب. من ذلك قوله تعالى: ـ ﴿فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور﴾ أي العقول (سورة الحج/ ٤٦).

وقوله تعالى: ـ ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ (سورة البقرة/ ٧).

وهنا نفهم من كلمة قلب العقل. ختم الله عليه فلا يسمع ولا يبصر.

الرسول ﷺ. أخبرنا أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد. وإذا فسدت فسد سائر الجسد. وهذه المضغة هي القلب.

ولما كان الأمر كذلك فقد جاء الإسلام بكتابه العزيز ليصلح القلوب.

ففي سورة يونس قال الله تعالى: ـ ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾ (سورة يونس/ ٥٧).

وفي سورة الإسراء قال الله تعالى: ـ ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ (سورة الإسراء/ ٨٣).

وفي سورة فصلت يصف القرآن بأنه للذين آمنوا هدى وشفاء.

والقرآن شفاء لأمراض القلوب، أمراض الصدور، أمراض المجتمعات أمراض الأخلاق.

والإسلام جاء ليضع للناس مفاهيم الحياة منذ ولادة الإنسان حتى يموت فيعيش مع الإسلام في كل حياته، في منامه ويقظته في غدوه ورواحه، في سوقه وفي محرابه وفي وظيفته.. منفرداً أو مع الناس في مأكله ومشربه وملبسه وحتى في خلوته عند قضاء حاجته أو عند اغتساله.

إنّه لا دين كالإسلام يعيش مع المسلم في كل حياته، لأن الإسلام كما قلت صانع مفاهيم الحياة وهو الدين الذي قال للمؤمنين به ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (سورة الأنفال/ ٢٤).

والإسلام يريد من المسلم أن يعيش بعقله وإدراكه وجميع حواسه وذم الإسلام أولئك الذين لهم قلوب لا يعقلون بها وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها.. فالمؤمن لا يكون مغفلاً ولا كسولاً.

الإسلام يقول: (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) لأن الذي يلدغ من الجحر يكون حذراً يخاف من كل الجحور. فكيف يلدغ من نفس الجحر الذي لدغ فيه أولاً؟

ولا ننسى قول الله عز وجل لعباده: ـ ﴿خذوا حذركم﴾ (سورة النساء/ ٧١). ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم﴾ (سورة الأنفال/ ٦٠).

لأن معنى هاتين الآيتين الحذر..

وفي تنزيل صلاة الخوف أمرنا الله بالحذر فقال عز وجل: ـ

﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم..﴾ (سورة النساء/ ١٠٢).

معنى هذا أنه حتى في وقت العبادة يجب الحذر وترك الحذر غفلة..

والقلب متى كان سليماً كان الجسد سليماً..

أقول للمستمع الكريم: قيمة الإنسان قلبه.. واللسان ترجمان القلب.

وقد سمعنا حكمة نسبت إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «المرء بأصغريه قلبه ولسانه».

والشاعر يقول: ـ

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي أثـوابـه أسـد مـزيـر
ويعجبـك الـطريـر فتبتليـه فيخلف ظنك الرجل الطرير

فالعقل لب والجسد غلاف.. ولا قيمة لغلاف بلا لب وكم سمعنا كلمة فلان فارغ لأنه لا قلب له..

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ثانيًا

أحاديث في المناسبات الإسلاميَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

(العظمة في شخصية المصطفى ﷺ).

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ (سورة الأحزاب/ ٢١).

أيهاد السادة:

إننا كمسلمين يجب علينا أن نعتز بشخصية النبي محمد، لا باعتباره نبي الإسلام فقط، ولكن باعتباره مبعوثاً للناس كافة بشيراً ونذيراً، ليخرج الإنسانية كلها من الظلمات إلى النور، من الجهالة إلى المعرفة، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الظلم إلى العدل، ومن حياة البؤس والشقاء إلى الحياة السعيدة والعيش الكريم..

وحبنا لشخصية النبي ﷺ يحتم علينا أن نضعه في الإطار الذي صنعه الله له، دون مغالاة أو مبالغة، وحسبه من تعظيم الله له، أن كلفه بتبليغ رسالة خالدة خلود السماوات والأرض، عامةٍ للناس، لم تقيد بشعب ولا بإقليم ولا بحدود، وأيده بمعجزة باقية بقاء هذا العالم، هي القرآن، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وسيظل هذا الكتاب آية لتأييد رسالة الله التي جاء بها محمد من عند الله، حتى يرث الله الأرض ومن عليها..

أيها الأخوة:

إن في تاريخ رسول الله عبرة، وإن جميع أيامه عظمة.. وإننا نجتمع

اليوم في مكاننا هذا للذكرى، وإن الذكرى تنفع المتذكر، الذي يؤمن بالله، ويؤمن برسول الله، ويتخذ منه أسوة حسنة كما أراد الله. حتى إذا اطمأنت قلوبنا بهذه الذكرى، واهتزت هزة الإجلال لصاحبها الذي نحبه حب طاعة واقتداء، رجعنا إلى أنفسنا، ثم نظرنا إلى أخطائنا في بيوتنا، وأسواقنا، وعوائدنا، وأخلاقنا، وتربيتنا، وما أحدثناه من بدع في أفرادنا ومجتمعاتنا، رأينا أننا انحرفنا عن الطريق. فإذا علمنا أن لنا في رسول الله أسوة، علمنا أن من الواجب علينا أن نسعى إلى تصحيح هذه الأخطاء، وإكمال هذه النواقص، ومحو هذه البدع، ورجعنا إلى الأسوة الكاملة نتبع خطاها، ونستن سننها.

إنها ظلمات، ظلمات تحيط بنا من جميع جهاتنا، من فوقنا ومن تحتنا، ومن أمامنا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ظلمات بعضها فوق بعض، ولا يمحو هذه الظلمات إلاَّ النور، نور القرآن. فهل يا ترى يعود المسلمون إلى هذا النور؟ فيبددوا به تلك الظلمات، حتى نسير جميعاً في النور على الصراط المستقيم..

تـالله لا سعادة ولا هداية بغير نور، ولا نور إلاَّ القرآن..

وتذكروا أيها الأخوة قول النبي المصطفى ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وسنتي»[1].

أيها الأخوة:

واعتاد المسلمون في السنوات الأخيرة أن يحتفلوا في أول يوم من محرم، مبدأ كل عام هجري، بذكرى الهجرة، أو كما يسمونه أخيراً يوم الهجرة، أو عيد الهجرة.

وليعلم الأخوة أن الهجرة كانت في ربيع الأول في سنة ١٣ من البعثة.

---

(١) حديث.

وإنها لذكرى حبيبة إلى نفوسنا، عزيزة علينا، لأنها ذكرى العظمة والجهاد والصبر، والتضحية والمثل العليا..

أما العظمة: فعظمة محمد ﷺ لا يجرؤ أحد أن ينكرها، ولا أن ينكر ما وصف به من أخلاق سامية، ولا ما امتاز به من ملكات فاضلة، استقرت في نفسه، وصدرت عنها أفعاله وتصرفاته. هيأته، بل هيأه الله بها لأن يكون النبي الرسول، والزعيم القائد، كيف لا وهو القائل ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[1].

وإننا ـ معشر المسلمين ـ حيث ما ولينا وجوهنا شرقاً أو غرباً شمالاً أو جنوباً، نبحث عن قدوة نتأسى بها، أو عن مثال نقتدي به فلن نجد أفضل من محمد ﷺ. أسوة حسنة نتأسى بها. وديناً نتعبد لله به، أو خلقاً نصلح مجتمعنا به.

إنه عبدالله ورسوله، اصطفاه الله ليكون معلم البشرية وهاديها إلى النور في كل جوانب حياته الدينية والدنيوية.

* هو الزوج نقتدي به في حياتنا العائلية.

* هو الأب نقتدي بتعاليمه في تربية أبنائنا وحياتنا البيتية.

* هو القاضي نقتدي به في فصل قضايانا وفض خلافاتنا وحكوماتنا.

* هو القائد نقتدي به في دفاعنا عن حريتنا وعزتنا ومجدنا.

* هو المجاهد الذي نتأسى به في التضحية والتفاني في نصرة الحق.

* هو الراعي الذي نقتدي به في تدبير الرعية، وفي رعاية ما نحن مسؤولون عنه في حياتنا.

* هو المتعبد الذي نقتدي به في توجهنا لربنا وفي عباداتنا لخالقنا.

---

(١) حديث.

* هو روحانية صافية في مزاج بشري متكامل وطبيعة إنسانية مشرقة.

* هو بشر ولكنه شمل اتجاهات البشر كلها بطهارة وصفاء.

* هو الإنسان الذي ينبغي أن يهتدي به كل إنسان بقدر ما تطيقه النفس الإنسانية.

* هو المقياس الذي يجب على كل إنسان أن يقيس عليه حياته، ليعرف إلى أي مدى هو مصيب باقتدائه، وإلى أي مدى هو في اقتدائه مخطىء.

* هو الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

أيها الأخوة:

ـ وهذا كتاب الله بين أيدينا نقرأ فيه قوله تعالى: ـ

﴿إلاَّ تنصروه فقد نصره الله، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين، إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها، وجعل كلمةً الذين كفروا السفلى، وكلمةُ الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ (سورة التوبة/ ٤٠).

ـ ويهل علينا هلال المحرم أول شهر من العام الهجري، ونحن نقرأ هذه الآية الكريمة، ونقول لبعضنا: (كل عام وأنتم بخير). ونتذكر الهجرة النبوية الشريفة، ونتذكر التضحية الكبرى والجهاد المرير، ثم نتذكر ثلاثة أيام في حياة النبي ﷺ هي أصعب أيام مرت في حياته الشريفة.

ثلاثة أيام كانت أعظم أيامه ﷺ..

وحياة النبي ﷺ كلها أيام.. لكن تهزني مواقف رسول الله ﷺ أمام الحق في هذه الأيام الثلاثة. (اليوم الأول) صباح ليلة الإسراء والمعراج: وهو يقف وحده أمام جموع المستهزئين من المشركين والذين في قلوبهم مرض، والمرتابين ممن أسلموا فيضحك به أولئك، ويقف هؤلاء موقف الريبة

والهزء، ويلتفت هنا وهناك فيجد الحق معه، فيقف وقفة العظمة، لا يأبه لهذا ولا لذاك لأنه يعلم يقيناً أن الله هو الحق، وأنه مع الحق.

وأما (اليوم الثاني) فيوم الهجرة، يوم أصبح في الغار مع صاحبه وحيدين ليس معهما إلاّ عون الله، وقد بذلت قريش الثروة والغنى لمن يأتي به أو يدل عليه، ويرى هو وصاحبه الطلب يجولون حول الغار فيقول له صاحبه: لو طأطأ أحدهم رأسه لرآنا، فيقول العظيم قولته الخالدة: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ (سورة التوبة/ ٤٠).. يا أبا بكر.. ما ظنك باثنين الله ثالثهما) ويسجلها القرآن مقروءة باقية بقاء الزمن حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

أما اليوم الثالث أيها السادة: فيوم الخندق أو يوم الأحزاب، يوم أن جاءت قريش بخيلها ورجلها وحلفائها، تريد المدينة والقضاء على كلمة الحق فيها. وفي ذلك الوقت يتفق اليهود والمنافقون الذين يساكنون المسلمين في مدينتهم مع المشركين، فيجتمع العدو داخلاً وخارجاً ضد المسلمين.

ويسجل القرآن صبر النبي وعظمته بكتابه الخالد بقوله تعالى: ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ (سورة الأحزاب/ ١٠ ـ ١١).

أيها الأخوة المسلمون: وكلنا نعرف حادثة الهجرة وحوادثها، كما نعرف من سيرة المصطفى صلوات الله عليه الشيء الكثير، ولكننا ـ ويا للأسف ـ تغافلنا عما نعرف أو تناسيناه، وتعامينا عن طريق الحق، وطال الأمد على المسلمين، كما طال على غيرهم فقست قلوبهم وتجاهلوا ماضيهم، وجهلوا دينهم وأحكام دينهم، واستغل أعداء المسلمين هذا الجهل، فنبوا في وجهه في كل مكان وكل زمان، ولكن الإسلام جالدهم وهو أعزل.. إنّه الحق، وإن الله مع الحق..

وحارب عدو الإسلام دين الإسلام، كما حاربوا نبيه عندما بزغ نوره في

دنيا البشرية، وما زال ولن يزال يحاربه في كل مكان. لأن الإسلام دين يقف لهم في الطريق، يعوقهم عن الطغيان وعن التسلط والاستغلال.

إن أعداء الإسلام أطلقوا عليه حملات التشويه والخداع والتضليل.

وقال أعداء الإسلام: إنه يقسر الناس على أتباعه قسراً، ويحملهم عليه حملاً، وجهلوا أن لا إكراه في الدين، ونسوا قول الحق: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (سورة النحل/ ١٢٥).

وأخذوا على الإسلام أنه دين قصاص، وأنه يضرب على يد كل مستكبر، ويقطع يد كل طامع، ويقطع رأس كل معاند، ويقضي على كل طاغية، ويقطع دابر كل من يسعى في الأرض بالفساد.

ونسوا أن هذا هو العدل، وتعاملوا عن الحق وكأنهم لم يعلموا أن هذا هو السبيل الوحيد لنشر الأمن والسلام، لأن الفتنة أشد من القتل، والفساد في الأرض شر من الفتنة.

والإسلام في كل عصر من عصوره يعادي أشد العداء أسلوب القسر والإكراه في الدعوة لمن لم يعرف حقيقته، ويحصل على فكرة تامة عنه. ولكنه في الوقت نفسه يحارب الطغاة والجبارين والساعين في الأرض بالفساد. ويحارب الظلم والاستغلال والاستعمار والاستعباد، ويحارب أولئك الذين يقفون في طريق دعوته، ويصدون عن سبيل الله، فإذا وجد هؤلاء وأولئك جالدهم بالسيف عدلاً منه وإحساناً. . ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ (سورة الأنفال/ ٣٩).

أيها الأخوة:

إن خصائص الإسلام هي التي تحنق عليه أعداءه، الطامعين في الوطن الإسلامي، ولكن الذي لا شك فيه هو أن المستقبل لهذا الدين. .

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (سورة الصف/ ٨ ـ ٩).

أيها الأخوة:

وإن في ذكرى الهجرة دروساً وعبر، ذلك أن المبادىء مهما كانت كريمة، فلها أعداء، ولن تنتصر إلاَّ بجهاد شاق، وتضحية كبرى، وعلى قدر ما يكون الجهاد والتضحية يكون الفوز والنصر..

وما أحوج الشعوب الإسلامية في عصرنا هذا إلى الجهاد والتضحية لتسترد حريتها وكرامتها، ولتستكمل عزتها وتضامنها..

ولقد ترك رسول الله ﷺ فينا تراثاً ضخماً يمكننا أن نستفيد ونفيد دروساً نافعة، وعظات بالغة، وأن نهدي به ونهتدي إلى التي هي أقوم..

ذلك كتاب الله وسنة نبيه اللذين تمسك بهما الأولون فلم يضلوا.. ولو تمسكنا بهما كما تمسكوا، وعملنا بهما كما عملوا، لبنينا عالماً أفضل كما بنوا، وعشنا حياة أكرم كما عاشوا..

أيها الأخوة:

أرجو أن يكون حاضرنا امتداداً لماضينا الصالح المجيد..

وقد قرأنا في الأثر الطيب: «ولن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها». والله جلَّ جلاله يقول: ـ

﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ (سورة المائدة/ ١٦).

أيها المسلمون في كل مكان من الأرض:

ها نحن نحتفل بذكرى الهجرة كما احتفلنا قبل بذكرى المعراج وذكرى المولد وذكريات كثيرة غيرها.

نحتفل احتفال ذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين كما قال ذلك رب العزة.

احتفلنا بذكريات فهل تذكرنا؟ هل تعلمنا؟ هل تيقظنا؟ هل انتبهنا لما نحن فيه من ضلال وانحلال؟ هل اقتدينا بصاحب الذكرى وتأسينا به؟ هل دعونا الله أن يجعلنا ممن اهتدى بهديه واتبع سنته؟

وهذا المسجد الأقصى القبلة الأولى لنا ومسرى نبينا، اغتصبه أعداء الله وأعداء الإنسانية منا.

اغتصبه من ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله.

اغتصبوه لا بعددهم فعددنا مئة أضعاف عددهم.

واغتصبوه لا بعدتهم فعندنا من الأموال الأكثر، ولكن استغلوا تفرقتنا وتشتتنا واختلافنا، واستعبدونا بجهلنا وضلالنا وغرورنا.

صفات شائنة لا يرضاها إلاَّ من ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم.

صفات أذلتنا أما عدونا، ولو أننا آمنا كما أراد الله لنا، وعملنا كما فرض الله علينا، وتآلفنا كما أمرنا ربنا.. كنا أعزه، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.. عزة لا تذل، وقوة لا تندحر..

أيها الأخوة: المسجد الأقصى ينادي: هلموا إليَّ يا مسلمون فقد أذلني الكفر بعد العزة، وأهانني بعد الكرامة، ودنسني بعد الطهارة، وأخافني بعد الأمن..

أخوتي: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاَّ وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ (سورة آل عمران /١٠٢ ـ ١٠٣).

الإيمان اطمئنان لـذا يجب أن نربي أولادنـا على الإيمان

خلق الله الإنسان مؤمناً بما وراء المنظور: بما وراء المادة. ﴿فطرةَ اللَّهِ التي فَطَر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ (سورة الروم/ ٣٠). الإيمان موجود في كل إنسان، لا فرق بين متعلم وجاهل فهو يؤمن بأن وراء هذا الكون خالقاً له، إليه يلجأ المخلوق، يسأله الفرج من الكرب، والعزاء عند المصيبة، والصحة عند المرض.

والإيمان بالله عند المتعلم أصح منه عند غيره من الجاهلين. وصدق الله العظيم ﴿إنما يخشى اللَّه من عباده العلماء﴾ (سورة فاطر/ ٢٨).

لأن المتعلم يعرف الحقيقة. وكلما تقدم العلم بالإنسان تحققت عنده معرفة الله جلَّ شأنه. وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «رأس الحكمة مخافة الله، أو معرفة الله»[1].

ومخافة الله من تمام معرفته.

والإيمان بالله دليل على سلامة الروح، وصفاء النفس، وحسن الخلق، سواء في المسلمين وفي غير المسلمين.

لأن الإسلام إيمان بوحدانية الله أولاً، وبرسالة محمد ﷺ ثانياً.

---

(١) حديث.

والمؤمنون بوحدانية الله في العالم كثيرون، وكثير منهم كان في العرب قبل رسالة محمد ﷺ، منهم:

قس بن مساعدة الأيادي، وزيد بن نفيل عم عمر الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «إنه يبعث أمة وحده»[1].

والإيمان بالله عامل نفسي لسعادة الإنسان النفسية، فلا يفرح ذلك الفرح الطاغي إذا أصابه خير، بل يكون فرحه بشكر الله وحمده على ما أعطاه، بأن ما أصابه من حسنة فمن الله. وإن أصابه مكروه صبر، فلا يحزن على ما فاته من خير، بل يصبر مؤمناً بأن كل ما حصل له كان من عند الله، وأن الله أعد للصابرين أجراً عظيماً.

أما إذا ضاع الإيمان، فلا أمان من فرح طاغ، قد يذهب بالعقل، أو حزن طاغ قد يؤدي إلى الجنون أو الموت.

الإيمان بلسم شافٍ لجراح النفس. وإذا فقد الإنسان الإيمان فلا أمانة له في كل معاملاته: مع معامليه، مع أهله، مع أولاده، في وظيفته مع مراجعيه، مع نفسه التي هي أقرب إليه من كل أحد.

الإيمان حصن منيع يمنع عن المؤمن كل الزوابع النفسية، وهو ملجأ قوي ينعم فيه بالاستقرار النفسي إذا أحاطت به الكوارث، وجل من قال: ﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً، أو أراد بكم رحمة، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ (سورة الأحزاب/ ١٧).

ولقد رأينا كثيراً من دعاة الإلحاد يذكرون اسم الله دون قصد في أحاديثهم أو في سرحاتهم.. ذلك أن عقلهم الباطن مؤمن بالله... وذكرهم لله دليل على إيمانهم الخفي.

هذه مقدمة بدأت بها حديثي عن هبة الله عز وجل للزوجين.

---

(١) حديث.

﴿يهب لمن يشاء إناثاً، ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ (سورة الشورى/ ٤٩).

وإن ديننا الحنيف مع المسلم منذ تزوج أبواه على ما في كتاب الله وسنة رسوله، ثم تقبلاه مولوداً هدية من الله تعالى بحمده وشكره.

إذا كان واجباً على الأبوين أن يزودا هذا المخلوق الجديد الموهوب لهما، والذي كان ثمرة لزواجهما على ما في كتاب الله وسنة رسوله أن يزوداه بمختلف الخيرات أثناء سنواته التكوينية الأولى، وفي مقدمتها كلمات الذكر الإسلامية.

لأن للسنوات الأولى التي يقضيها الطفل بين أبويه أبلغ الأثر في تكوين شخصيته، بما تتضمنه من اتجاهات ومفاهيم وأساليب سلوكية.

فتربية الأبوين من أهم العوامل الثابتة في حياة الطفل. وإنها الحصن المنيع له إذا كانت حسنة من رفاق السوء في المدرسة وفي الطريق.

أما إذا كانت التربية سيئة أو تربية إهمال، فربما جرته إليهم وجرتهم إليه.

ويجب على الأبوين أن يشعرا ولدهما بإسلامه، فيعلمانه معنى الحلال والحرام. وأول ما يبدأ الطفل من حيوانيته (والإنسان حيوان) هو العدوان على حقوق الغير، إذا أحس بضعف هذا الغير. فإننا نرى الطفل الأكبر يعتدي على أخيه الأصغر، أو على من يقدر عليه ممن هو أقل قوة وأكثر ضعفاً.

لهذا ـ يجب على الأبوين منع الطفل من العدوان على غيره، وإفهامه أن الله لا يرضى بذلك، وأن ما لا يرضاه الله حرام، وأن الله يغضب من فعل الحرام. يمنعانه عن العدوان بالحسنى، يمنعانه عن فعل ما يضره باللين. وكذلك عليهما أن يمنعاه عن قول الكذب ويقومان بإنكار ما فعل.

فإذا بلغ الطفل السابعة من عمره (وهو السن الذي يسميه الفقهاء سن

التمييز) أخذ يستعرض نفسه (ذكراً كان أو أنثى) بصفة مستمرة، سراً وجهراً. فيكثر النظر إلى وجهه في المرآة ليقدر طوله وقوته ورجولته إن كان صبياً، وأنوثتها وجمالها إن كانت أنثى.

لهذا ـ كان واجباً على الأبوين أن يمتنعا في مثل هذه السن عن نعت ولديهما بالغباء، أو بالبلادة أو بالخور والضعف أو بالقبح، أو أن يقال له: فلان أحسن منك، أو فلانة أجمل منك.

فقد يؤثر هذا الوصف بالطفل، قد يؤثر على عقله الباطن، وتبقى العلة فيه كامنة، فيشعر بالنقص أمام غيره من الأطفال.

وهنا ـ قد يذل ويستوحش.

وقد جربنا، فكان لمثل هذه الكلمات أثارها السيئة في نفوس الكثيرين والكثيرات. ذل، انكماش نفسي، انعزال عن الآخرين، عقدة، وهي ما تسمى الآن عقدة نفسية.

على الأبوين أن يصفا ولدهما ذكراً كان أو أنثى بالذكاء، بالنباهة بالقوة، بحسن التصرف، بالعقل والإدراك، بالرجولة للإبن، بالجمال واللطف والحصانة للبنت.

وهكذا حتى ينشأ الولد، وقد رسخت في عقله الباطن هذه الصفات ولكن بلا غرور، ولا تدليل، ولا إسراف، ولا إعجاب.

لأن الغرور داء يجر إلى الأنانية أو إلى الحماقة.

والمغرور يرى نفسه أفضل من الآخرين، وأنه أسمى من أن يختلط بهم، وهنا تكون العزلة والانكماش.

بناتي.. أخواتي

شتان بين طفليـن:

طفل عاش في بحبوحة من الحب بين أبويه، يفتح عينه في الصباح ليزى السعادة على طلعتيهما، والبسمة على شفتيهما، فلا يسمع إلاَّ كلمات المجاملة وعبارات المحبة من كليهما لكليهما.

ويمسي ليغمض عينيه على مثل ما أصبح عليه: ود وتفاهم وثقة وتقدير ومحبة واحترام.

وطفل عاش مع الرعب والغيظ، وحرم من الأمن والعطف، فإذا أصبح بين أبوين متخاصمين، متشاتمين، وإذا أمسى بينهما متشاكسين متلاعنين.

وليس كالطفل في شدة إحساسه، يشعر من حيث لا تشعر.

ونرى النتيجة في هاتين الحالتين عند كبر الأولاد..

(وكل صغير يكبر).

فمن أمن في عهد الطفولة وعاشها رائقة له، هادئاً فيها، هانئاً بين أبويه، شب مسروراً آمناً في حياته، يتقبل عمله في كبره مطمئناً طول حياته.

ومن عاش طفولته في المشكلات محروماً من الهدوء، شب خائفاً خانعاً، فاشلاً، قلقاً.

أقول ذلك عن الأغلبية، ولا أحكم على الجميع فالشاذ كثير.

ولكني أنصح كل أبوين بالآتي:

١ ـ أن يبتعدا عن المشاجرة، والمخاصمة أمام أولادهما، فإن الخلاف بين الأبوين قلق للأطفال.

٢ ـ أن لا يفضلا ولداً على ولد، سواء بالكلمة أو بالعطية.

٣ ـ أن لا يحرما أولادهما من الحنان، فإنَّ الحرمان من حنان الوالدين عقدة تصاحب الطفل مدى حياته.

٤ ـ وظيفة الأم إرضاع طفلها، فلا تحرمي طفلك من درك ـ الذي خلقه

الله فيك له، والطفل الذي يرضع من ثدي أمه حنون.

٥ ـ جربي (وأقولها لكل أم) متى رأيت من طفلك قلقاً دون مرض، وهو في حجرك تحاولين إسكاته، جاملي أباه أمامه، أو ليجاملك هو بحركة تدل على المحبة والصفاء بينكما، فإن الطفل سيسكت وسيبتسم، اللهم إلاَّ إذا كان قلقه من مرض.

٦ ـ والولد ذكراً كان أم أنثى، هبة من الله ونعمة (كما قلنا) فكيف نشكر نعمة الله، إن لم نرعها، ورعاية النعمة كما علمنا ديننا شكر لها.

إذاً ـ فالواجب علينا أن لا نترك أولادنا للخدم. لأننا لا نأمن من هؤلاء الخدم على أولادنا.

إنَّ الطفل يشعر بلمسات أمه الحقيقية دون غيرها من الأمهات المأجورات، وإن تعدد الأمهات عند الطفل يؤثر في نفسه وفي عقله وفي سلوكه كما رأينا ذلك في الملاجىء.

وأن المرأة التي تترك أولادها في رعاية الخدم إنما ترمي مستقبلهم في الهاوية.

قد رأينا في المحاكم الفضائح من معاملات الخدم مع الأولاد. فضائح يندي لها الجبين. ومن تردد على المحاكم عرفها، ولا مجال لذكرها هنا.

والمرأة التي لا ترعى أولادها، ولا تعرف عنهم شيئاً أضاعت مستقبل وطنها، بل ومستقبل وقيم مجتمعها.

والخدم، وخصوصاً الذين يدينون بغير ديننا، يستغلون أطفالنا ليلقنوهم الكفر والإلحاد، (ومن شب على شيء شاب عليه).

الولد يتعلم من أمه لغة أمته، ويتعلم منها كيف يتحدث مع بني وطنه وقومه.

والأم الفاضلة الكريمة تزرع فضيلة الكرم في أبنائها وبناتها، فيشبون

محبين للفضيلة، ويتحاشون الرذيلة، وينفرون منها ومن أهلها. وصدق شوقي فيما قال رحمه الله:

الأم مدرسة.. إذا أعـددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وأختم حديثي هذا ـ بثناء النبي ﷺ، على نساء قريش، فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام.

«خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناهن على ولد في صغره، وأرعاهن على زوج في ذات يده»[1].

(١) حديث.

الدين الخلق

روحي الفداء لمن أخلاقه شهدت ... بأنه خير مولود من البشر
عمت فضائله كل العباد كما ... عم البرية نور الشمس والقمر
لو لم تؤيده آيٌ مبينة ... كانت بديهته تغني عن الخبر

عبدالله بن رواحه
ـ الصحابي الجليل ـ

ـ نفرح في مثل هذه الأيام من كل عام بذكرى حبيبة لنفس كل مسلم.. ويحتفل المسلمون في كل عالمهم بهذه الذكرى.. وتحتفل الكويت المسلمة بهذه الذكرى.. كما يحتفل كل المسلمين في كل أوطانهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم وجنسياتهم ولغاتهم.

وأسأل الله الكريم أن يجعل في هذه الاحتفالات ذكرى موعظة نافعة، والذكرى تنفع المؤمنين.

وقد تكلم الوعاظ والخطباء والشعراء المحتفلون في كل مكان من الوطن الإسلامي.. وكتب الكتاب، وقالوا في الموالد والبعثة الكثير من القول، ونصحوا وأفصحوا، وجزى الله من أحسن القصد ـ بقوله ـ خيراً. ووعى الكثيرون ما قيل، وجزى الله من سمع القول ـ فاتبع أحسنه ـ خيراً.

لهذا رأيت أيها الأخوة المسلمون أن أغير الحديث بهذه المناسبة.

فأحدثكم عن الدين الذي بعث به المصطفى، نبي الرحمة، فأشرق نوره بهذه البعثة، ليضيء به العالم كله مشرقاً ما دامت السماوات والأرض.

وأبدأ حديثي معكم بقول الله تعالى: في سورة (الأنفال): ـ

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (سورة الأنفال/ ٢٤).

وبقوله تعالى في سورة النحل: ـ

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (سورةالنحل/ ٩٧).

من هاتين الآيتين ومن غيرهما آيات كثيرة في الكتاب العزيز نفهم أن الإسلام حياة، بل هو الحياة كلها.. فهو مع المسلم في مسجده يتعبد ربه، ومعه في سوقه وعمله يكسب رزقه، ومعه في بيته بين أهله وأولاده، ومعه في فراشه، والإسلام مع الموظف في وظيفته، ومع القاضي في محكمته، ومع المدعي في مرافعته، ومع الشاهد عند أداء شهادته، والإسلام مع المسافر في ترحاله، ومع المقيم متى أقام، وهو مع المرأة في دارها، ومع الراعي في رعيته، وهو مع المسلم في كل شأن من شؤونه..

والقرآن كتاب الله للمسلمين لم يترك لهم مجالاً لكي يستوردوا مبادىء ونظماً يكيفون بها حياتهم، لأن لهم في كتابهم القرآن غنى عن استيراد أي نظام..

لا أقول هذا أيها الأخوة بدافع التعصب للإسلام.. ديني ودين آبائي وأمتي. لا والله! فالإسلام ليس بحاجة إلى تعصب متعصب أو نصرة نصير.

والمسلم لا يكون مسلماً حقاً إلاَّ إذا أقام إسلامه على الأسس الثلاثة التي هي: ـ الإيمان، والعمل والمعاملة. الأسس التي بني عليها الإسلام.

فالإيمان هو العقيدة، يؤمن بالله تعالى أنه أحد، ليس كمثله شيء،

قادر على كل شيء، كما وصف نفسه في كتابه العزيز. . وأن يؤمن بملائكة الله، وكتبه، ورسله، وأنهم بشر مثلنا، اختارهم من عباده البشر ليكونوا رسله إلى البشر: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلٰهكم إلٰه واحد﴾ (سورة الكهف/ ١١٠).

ويؤمن باليوم الآخر اليوم الذي يبعث الله فيه الأولين والآخرين، ليجازي فيه من أحسن ومن أساء، حتى يكونوا فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير.

والأساس الثاني العمل: وهو أداء المسلم ما افترض الله عليه من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وجهاد في سبيل الله بالمال والنفس والكلمة. . وأمر بمعروف، ونهي عن منكر.

أما ثالث الأسس فهي: المعاملة، وهي موضوع حديثي إليكم.

والمعاملة لا غنى للإنسان ـ كل إنسان ـ في كل يوم من أيام حياته عنها. بل في كل حركة من حركاته، وهي التي تربط الإنسان بالمجتمع. . تربط بين الزوجين، وبين الأب وأولاده، بين المدرس وتلامذته. . بين المخدوم وخدمه. . بين الرئيس مع مرؤوسيه. . والتاجر مع زبائنه وعملائه. .

والمعاملة أخلاق. . والنبي ﷺ العظيم الخلق الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق قال لأمته: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»[1].

بل قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا خلق له»[2].

والمعاملة التي نحن بصدد الحديث عنها. . صدق، ووفاء وعفو. . وأمانة. .

والرسول ﷺ الذي نعيش ذكراه وصف المنافق بصفات أربع: «إذا

---

(١) حديث.
(٢) حديث.

حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا أؤتمن خان»[1] والمنافق شر الناس.

وإذا استعرضنا حياة الإنسان وجدناه يبدأ إدراكه بالتلمذة، وسيكون وقتها أميناً على دروسه، فعليه أن يحفظ هذه الأمانة فيصدق في إجابته، ويفي بمواعيده، ويؤدي واجباته بأمانة خالية من شوائب الغش والتزوير وخصوصاً أيام الامتحان.

وقد يكون موظفاً.. والوظيفة أمانة، والمراجعون عملاء.. فعليه ـ إن كان مسلماً ـ أن يحفظ الأمانة، وأن يصدق مع العملاء، فلا يؤخر عمل اليوم إلى الغد.

وقد يكون تاجراً، والتجارة أمانة والرسول المصطفى ﷺ مدح التجار الذين «إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا اؤتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا»[2]..

وقال ﷺ: «التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء[3] وحسب التاجر الخائن ذماً قول الله تعالى: ﴿ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ (سورة المطففين/ ١ ـ ٣).

ولا تتم حياة المسلم وحياة المسلمة حتى يكون زوجاً أو تكون زوجة، لأن الزواج في الإسلام حياة، وحياة المسلم كلها عبادة..

والمسلم تزوج زوجته على ما في كتاب الله وسنة رسوله.. وأخذها بأمانة الله، فمتى قصر في حقها فقد خان الأمانة، ونقض العهد، ولا إيمان

---

(١) حديث.
(٢) حديث.
(٣) حديث.

لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له وخيار المسلمين خيارهم لنسائهم كما جاء في الحديث الشريف.

والمرأة المسلمة راعية في بيت زوجها وأمينة على نفسها وأولادها فمتى قصرت فقد خانت الأمانة.. والأولاد أمانة عند والديهم.

والرجل يشيخ أبواه فيكونان أمانة عنده: ﴿وقضى ربك ألاَّ تعبدوا إلاَّ إياه، وبالوالدين إحساناً﴾ (سورة الإسراء/ ٢٣).

ولا ننسى الصديقين المسلمين.. والصداقة عهد وحديث وتبادل مودة.. والصديقان إذا تحابا في الله كانا في ظل عرش الرحمن، يوم لا ظل إلاَّ ظله..

والوطن والأمة أمانة عند كل فرد من الأمة في الوطن.. على هذا الفرد أن يعمل لأمته ووطنه.. وحب الوطن من الإيمان.

والمسلم عزيز كما أراد الله أن يكون.. ونقرأ قول الله تعالى في كتابه العزيز: ـ ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ (سورة المنافقون/ ٨).

والإسلام لا يرضى للمسلم أن يذل لغير الله.. وهذه الآية الكريمة في سورة آل عمران تنهانا عن ذلك: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة آل عمران/ ١٣٩).

وآية أخرى في سورة محمد تنهانا أيضاً عن أن نفرط في عزتنا: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم﴾ (سورة محمد/ ٣٥). ولكن عدونا إذا جنح إلى السلم ذليلاً استجبنا له: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ (سورة الأنفال/ ٦١) بلا ذلة ولا التماس ولا هوان.

ومن عزة المسلم أن لا يفر أمام عدوه في قتال كما أمره ربه بذلك:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله لعلكم تفلحون﴾ (سورة الأنفال/ ٤٥).

لهذا كان علينا نحن المسلمين أن نبني هذه العزة بالتعاون فيما بيننا، فيكون بعضنا كالبنيان، وأن نمتثل أمر الله علينا: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (سورة المائدة/ ٢).

أن نطيع قوله لنا: ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (سورة العصر).

وأن نحذر مما حذرنا منه: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض، إلاَّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ (سورة الأنفال/ ٧٣).

علينا أيها الأخوة أن نكون أمة واحدة، فندافع عن وطننا الكبير في كل مكان، تكريماً لعزتنا أن تهان.

علينا أن ندافع عن مقدساتنا، عن المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، مسرى نبينا المصطفى الذي نعيش ذكراه. عن الأرض التي بارك الله فيها للعالمين.

وعلينا أن نعين إخواننا المجاهدين في سبيل الله لتحرير هذه الأرض المقدسة، أول قبلة صلَّى إليها المصطفى ﷺ، وثالث الحرم التي أمرنا بزيارتها واحترامها..

علينا أن نعينهم، وأن نتعبد الله في الجهاد معهم، ممتثلين أمر الله علينا:

﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنت تعلمون﴾ (سورة الصف/ ١٠ ـ ١١).

وتأكيداً لهذه العزة التي أرادها الله للمؤمن ما أخبرنا به النبي المصطفى ﷺ بأنه «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1]. وأن «أفضل

---

(١) حديث.

الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[٦]، لأن الجور كبتٌ للحريات وقهرٌ للنفوس، وكلمةُ الحق عند الجائر دفاعٌ عن عزة الحرية وكرامتها.. والعزة والحرية والكرامة عند المؤمن أمانة يجب عليه أن يدافع عنها.

ويخبرنا التاريخ عن الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما ولي أمر المسلمين، بعد وفاة النبي المصطفى ﷺ، أنه خطب في المسلمين فقال: «أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم».

ولعزة المسلم عند الله حرَّم الله عليه المسألة. وقال نبي الإسلام ﷺ: «إنها تأتي نكتة في وجه السائل يوم القيامة»[١].

وقال أيضاً صلوات الله وسلامه عليه: «إن المسألة لا تصلح إلاَّ لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع»[٢].

كل ذلك حفاظاً على عزة المسلم من أن تهان..

والمسلمون تتكافأ دماؤهم، والمؤمن للمؤمن كالبنيان.. كلمات قالها المصطفى عليه السلام يعمل كل فرد في هذا القيان على شاكلته وبحسب حاله ومكانته وعلى قدر استطاعته، فمتى قصر فقد قصر في الأمانة..

والقرآن كتاب الإسلام أيها المسلمون، يهيب بالمسلمين أن يستجيبوا لله وللرسول إذا دعاهم لما يحييهم كما قرأت عليكم في آية الأنفال في أول حديثي: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.

لهذا نرى الإسلام حارب أول ما حارب الجهل عدو الإنسان الألد، لينقذ الإنسان من شره. فهو الذي يمسخ الإنسان ويجعله كالحيوان بل أضل، له إدراك لا يعقل به، وعين لا يبصر بها، وأذن لا يسمع بها.

حارب الجهل وتتبعه في كل جحر من جحوره، وكل لون من ألوانه،

---

(٦) حديث.

فحارب جهالة الشرك بالتوحيد والإيمان، وحارب الخرافات بالتثقيف، وحارب الضلال بالهدى، وحارب الأمية بالتعليم، وحارب الظلم والظالمين بالعدل، وحارب الرذائل كلها بالفضائل، وحارب الظلمات كلها بنور القرآن..

والإسلام حارب الفقر، وكانت حرباً قوية لا هوادة فيها.

أمر بالعمل في جميع ميادينه: بحرث الأرض، بتربية الحيوان. وأنزل بالتجارة آيات تتلى في سورة البقرة وغيرها من كتابه الكريم.

أمر بالصناعة وأمر بالسعي في مناكب الأرض ابتغاء فضل الله، وعاب على العاطلين عيشهم، وأفاد بأن شر الناس ذلك المكفي الفارغ.

والإسلام حارب التفكك والعداء والتفرقة، وجعل في أموال الأغنياء حقاً معلوماً للسائل والمحروم، ليكون وسيلة محبة، ورابطة ألفة.

والإسلام أمر بصلة الرحم، وإصلاح ذات البين، وآية نتلوها في كتاب الله الكريم أقرأها عليكم ـ قوله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلَّا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ (سورة النساء/ ١١٤.

والإسلام حارب المرض البدني، فحث على التداوي، وأمر بالوقاية من العدوى من كل الأمراض البدنية والخلقية.. وسمي سوء الأخلاق مرضاً.. ووصف المنافقين بقوله تعالى: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾ (سورة البقرة/ ١٠).

والإسلام حارب جميع المنكرات. وقال نبي الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام:

«ما أعطى الإنسان خيراً من خلق حسن»[1].

وما انتشر الإسلام في بقاع المعمورة بسيف ولا بمدفع، ولا دخل

(١) حديث.

الناس في دين الله أفواجاً بقوة أو إرهاب أو شدة، وإنما انتشر بالخلق الحسن.

ولن تصلح تربية ولن تسود أمة إلاَّ إذا اعتمدت على الخلق الحسن. وأحسن الناس وأكثرهم محبة عند الناس من حسن خلقه مع الناس.

وأنادي إخواني أبناء هذا البلد الكريم أن لا يستبيحوا المنكرات باسم الحرية أو التقدم، فما كان المنكر يوماً تقدماً، ولا كانت الفاحشة يوماً حرية، ولا صارت الرذائل فضائل، ولا وصفت المساوىء بالمحاسن.

والفاحشة تيار يجرف معاني الإنسانية لأنها منكر، والمنكر لا يكون معروفاً عند كل البشر، والشر لا يكون خيراً عند جميع الناس.. والمنكرات التي استباحها الناس باسم الحرية ما كانت يوماً حرية.. بل كانت عبودية أذلت أنفس من استباحوها.. وكانت فوضى أخلاقية وانحلال، أقضت مضاجع الناس..

وكلمة ختامية أوجهها لأبنائي وبناتي المسلمين الشباب والشواب في كل مكان، وبالأخص أبناء كويتنا الغالية فأقول: ـ

أيها الشباب.. اصرفوا قوة شبابكم الهائلة في سبيل تنفعون بها وطنكم، وتسعدون به أمتكم، هو أن تؤيدوا ـ يا أبنائي ـ دينكم الإسلام.

فالإسلام يا شبابنا معاني عالية، وليس هو مظاهر ولا قشور.

والإسلام يسر لا عسر فيه، واذكروا وصية المصطفى الرحمة ﷺ للشابين: علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عندما بعثهما مبشرين لليمن وقوله لهما: ـ

«يسراً ولا تعسراً، وبشراً ولا تنفراً»[1].

---

(١) حديث.

الإسلام أيها الشباب أمر بالمعروف، والمعروف بسمة عريضة تملأ الوجه والمعروف كلمة حلوة وطلاق وجه.. والمعروف دعوة إلى الخير بالقول الطيب، بالحكمة والموعظة الحسنة، بالتي هي أحسن.. وللابتسامة سحر جذاب، يجذب لك القلب قبل الجسم. ولا ننسى قول النبي ﷺ: «وابتسامة الرجل في وجه أخيه صدقة»[1].

والإسلام سلام، كما قلت اليوم في الإذاعة، نقلاً عن المرحوم الشهيد/ سيد قطب:

سلام للفرد، وسلام للجماعة، وسلامٌ للعالم، وسلام للضمير، وسلام للعقل، وسلام للجوارح، وسلام للبيت والأسرة، وسلام للرجل والعائلة، وسلام للمجتمع والأمة، وسلام للبشر والإنسانية، في مختلف الأوطان والأجناس.

والإسلام سلام مع الحياة، وسلام مع الكون، وسلام مع الله رب الكون والحياة.

ويكفينا أيها الشباب أن يكون التعارف بين المسلمين بكلمة (السلام).

أيها الشباب العزيز: يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا واعلموا أن النبي المصطفى ﷺ بعث للناس كافة بشيراً ونذيراً بالكتاب المبين الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، وأن البشير لا يكون عبوساً أبداً. وأن هذا النبي المصطفى ﷺ قال لأمته: «إنما بعثتم ميسرين»[2].

أيها الشباب: ولا يجرفنكم تيار المدنيّة الزائفة..
ولا تغرنكم كلمات دعاة الدعارة والإباحية..
إن الوطن بحاجة إليكم..
والأمة بحاجة إلى شباب..

---

(١) حديث.
(٢) حديث.

والمجد بحاجة إلى أيدٍ عاملة بناءة قوية، ولا قوة أقوى من الشباب.

كونوا يا شباب الأمة رجالاً أشداء في قوة وطنكم..

وكن يا شواب قوة تشد أزر رجالكم، كما كانت المرأة في صدر الإسلام.

وكونوا جميعاً أيدي عاملة في بناء المجد، وكتلة قوية تدفع عن الأمة اعتداء المعتدين..

يا شباب الأمة الإسلامية: وكما بدأت قولي بشعر عبدالله ابن رواحة الصحابي الشاب شهيد مؤتة.

أختم قولي بشعره أيضاً ففيه نفحة نشاط، وفيه هبة إخلاص.

قال ابن رواحة رضي الله عنه.

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

كتاب الله

﴿ آلر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، إلى صراط العزيز الحميد، الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾ (سورة إبراهيم/ ١، ٢).

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ (سورة الإسراء/ ٩).

﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ماكثين فيه أبداً. . ﴾ (سورة الكهف/ ١، ٣).

أنزله على أفضل رسله، وخاتم أنبيائه، محمد ﷺ ليكون للناس موعظة، وتبياناً لكل شيء، وشفاء لما في الصدور، وبشرى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، وتحذيراً ونذيراً للكافرين والعصاة.

ووصف الله تعالى كتابه هذا بأنه شفاء، وبأنه هدى، وبأنه برهان وبأنه نور، وبأنه رحمة.

فهو شفاء من أمراض الجهل وآفاته، ومن أمراض االكفر وهلكاته. وفي كل ما يصيب المجتمعات من أمراض.

وهو هدى، لأنه يخرج الناس من غياهب الظلمات والضلال إلى النور الحق الصريح ويهدي إلى صراط مستقيم.

وهو نور لأنه يفتح القلوب، وينير البصيرة، ويصقل العقول.

وهو رحمة لأنه ينقذ الناس من هلاك الفرقة والخلاف، ويسعدهم بنعمة الألفة والوفاق.

والقرآن علم، وكم كشف القرآن من خفايا العلوم وأسرارها، وما يزال وسيكشف عن هذه الأسرار الكثير والكثير. وهذا دليل على أن القرآن من لدن حكيم حميد، عليم خبير.

وكلما كان قارىء القرآن أوسع علماً كان لآياته أكثر فهماً. وصدق الله العظيم ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ (سورة آل عمران/ ٧)... ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولو الألباب ﴾ (سورة ص/ ٢٩).

أخي المسلم:

هذا كتاب الله بين يديك، وهو هدية الله إليك، وهو عقيدتك وعقيدة آبائك وأجدادك، فالواجب عليك أن تتعلم من هذا الكتاب عقيدتك، حتى لا يكون معتقدك تقليداً لغيرك.. فتدخل فيمن وصفهم هذا الكتاب: ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمه وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ (سورة الزخرف/ ٢٣)... لا.. بل كن ممن وصفهم بقوله: ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ (سورة الحجرات/ ١٥)... ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ (سورة الأنفال/ ٢).

القرآن كتاب الله، وهديته إليك، فاحترم يا أخي المسلم هدية الله بقراءة آياته بتدبير وتفهم، أنصت إليها إذا سمعتها تتلى بإجلال واحترام، تفهمْ معانيها باهتمام، وكن ممن قال الله فيهم: ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾.

أيها الأخوة:

واجعلوا لبيوتكم نصيباً في تلاوة كتاب الله، ولا تكونوا من أولئك الذين قال الله فيهم: ﴿ وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾ (سورة الفرقان/ ٣٠).

كتاب الله رحمة لعباده المسلمين، فلا تهجروا رحمة الله بالبعد عن كتابه، لا تهجروا رحمة الله بالإعراض عن القرآن، لا تهجروا رحمة الله بمقاطعة القرآن.

ولينظر هذا المعرض عن كتاب الله من يقاطع؟ ولمن يسيء؟ وبرسالة من يستخف؟... البعد عن القرآن بعد عن الله، وبعد عن الحق.

﴿ من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً، خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً ﴾ (سورة طه/ ١٠٠، ١٠١).

أخوتي:

وليس من تكريم القرآن أن يكون تميمة أو حجاباً يوضع في مجلس أو في غرفة نوم، أو في سيارة، أو تحت وسادة مريض، أو على صدر طفل، أو على زند عامل، أو تهدى قراءته لميت،... لا والله... ولكن استمعوا معي قول من أنزل هذا الكتاب:

﴿ إن هو إلا ذكر وقرآن مبين، ينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ﴾ (سورة يس/ ٦٩، ٧٠). ﴿ وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ (سورة النمل/ ٧٧). ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ (سورة ص/ ٨٨).

وما كان القرآن يوماً تميمة أو حجاباً، ولكنه كتاب مبين يهدي إلى الخير، ويردع عن الشر، آيات بينات يخرج الله بها الذين آمنوا من الظلمات، كل الظلمات، إلى النور الواضح المشرق، ويهديهم بها إلى الصراط بالسوى المستقيم. ومن يرد الله به خيراً يوفقه لاتباع هذه الآيات.

أما بعد..

فقد وفق الله البنت البارة بوطنها، والأميرة الجادة في نفع أمتها إلى تأسيس جمعية الرعاية الإسلامية.

وقد أخذت هذه الجمعية على عاتقها فصولاً نافعة لربات البيوت وبناتها في هذا الصيف.

ولم تحرم الرجال من هذه المنافع العامة: الدينية والاجتماعية وهذه المسابقة الكريمة التي يحتفل بتوزيع جوائزها اليوم.

هي الفصل الأول من هذه الفصول النافعة.

مسابقة الذكور..

وغداً ستكون مسابقة الإناث.. ونسأل الله التوفيق للجميع.

وقبل أن أترك مكاني هذا، أحببت أن تسمعوا هذا الحديث الذي رواه الترمذي عن الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب:

(كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم. هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه.

هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: (إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الإسلام والسيف

بعد الحمد لله

اعتاد الناس أن يسمعوا من الوعاظ والمتكلمين في مثل هذه الأيام عن غزوة بدر أو فتح مكة.. كما اعتاد الوعاظ والمتكلمون أن يقولوا ما شاء الله أن يقولوا عنهما.

ولا أريد أن أتكلم عن الغزوتين.. فقد سمع الإخوة الكثير عن مجرياتهما وأحوالهما.. وألموا بكل تفاصيلهما تقريباً، واستنبطوا منهما الدروس والعبر. ولكني سأتكلم عن ديننا المفترى عليه... عن الإسلام الذي يحاول الأفاكون أن يطفئوا نوره ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

والكذب على الإسلام كثير ـ وقد تفنن فيه الكذابون، فصاغوا القصص ونظموا القصائد، واستأجروا الدعاة لينشروا الإفك، ويخلقوا الكذب، وينشروا البهتان.

هؤلاء الدعاة الذين أخبرنا عنهم خير البشر ﷺ: «بأنهم دعاة على أبواب جهنم، ومن أجابهم إليها قذفوه فيها، ووصفهم بأنهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، نعرفهم ويعرفوننا، ويقولون من قول خير البشر»[1].

قال هؤلاء الحاقدون: لولا السيف لما كان الإسلام.. ولولا السلاح

(١) حديث.

لما كان مسلمون.. قالوا كلمتهم أمام أناس جهلوا تاريخ دينهم.. أو تجاهلوه.

قالوها أمام مسلمين سمعوا آيات الله تتلى، ولكنهم لم يفهموا معانيها، بل طربوا لجمال صوت قارئها.. وهتفوا للصوت لا للمعنى ولم يمتثلوا أمراً ولا نهياً.

قال الأفاكون فريتهم على مسمع من أولئك الجاهلين، واستدلوا بأن النبي ﷺ غزا أكثر من عشرين غزوة، وأرسل أكثر من أربعين سرية، لكي يخضع العرب إلى الإسلام. وصدقهم الجاهلون.

وأذكر فيما أذكر أن خطيباً في يوم جمعة وفي بلد غير عربي كان يصعد المنبر بسيف.. ولما قلت له إن العصا أفضل من السيف، قال: (لولا السيف لما كان إسلام).. قال هذا وكأنه يقرر حقيقة ثابتة، والحقيقة بعيدة عن علمه بعد السماء عن الأرض.

واستدلوا أيضاً بالآية الكريمة من سورة البقرة (آية/ ١٩٣): ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾.. وللتضليل تركوا الآيات التي قبلها ـ ولم يبحثوا في أسباب الغزوات ولا فيما دعا إليها.

وموقفي هذا لا يكفي لذكر الأسباب الداعية لهذه الغزوات... لهذا ـ سأتكلم عن مشروعية القتال في الإسلام.

لقد أذن الله لأصحاب نبيه المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم أن يقاتلوا من ظلموهم فأخرجوهم بغير الحق.. قال الله تعالى في سورة الحج (آية ٣٩): ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾.

وفي سورة البقرة (آية ١٩٠ وما بعدها): ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم، والفتنة أشد من القتل، ولا تقاتلوهم عن

المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم، كذلك جزاء الكافرين، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾.

ولكن.. بعد أن أخذ مشركو مكة يحرضون عرب الجزيرة على قتال محمد ﷺ، فاستجابوا لهم ومالئوهم على حرب المسلمين قال الله لنبيه (الآية رقم ٣٦ من سورة التوبة):

﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾.

وآية ١٢٣ من سورة التوبة: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾ والأنفال آية ١٥: ﴿ إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ﴾.

وصار القتال كما قال الشيخ محمد الخضري في كتابه نور اليقين يسير على هذه المبادىء:

١ ـ اعتبار مشركي قريش محاربين لأنهم بدؤوا بالعدوان.

٢ ـ متى رأى المسلمون من اليهود خيانة أو ممالأة للمشركين قوتلوا لأنهم اعتبروا بذلك معتدين.

٣ ـ متى تعدت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساعدت قريشاً في حربها مع المسلمين اعتبرت معتدية.. وحوربت.

٤ ـ كل من بادأ بعداوة من أهل الكتاب.. قوتل. ومن أسلم فقد عصم دمه إلا بحق الإسلام.

﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها، وتوكل على الله ﴾ (الأنفال/ ٦١) ولنذكر بدراً والأسباب الداعية إلى القتال فيها:

إنه إصرار المشركين على القتال.. وأن الله وعد المسلمين بإحدى الطائفتين ولولا خروج مشركي قريش لما كان حرب، ولولا إصرارهم على القتال لما كان قتال.

وأحد.. والخندق: جاء مشركو مكة ليحتلوا المدينة متفقين مع المنافقين في الأولى، ومع اليهود والمنافقين في الثانية.. وليأخذوا المسلمين على غرة في مدينتهم، فهل يسكت المسلمون؟ هل يسكتوا ودينهم يقول لهم: ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون.. أو يدافعون عن النفس والحمى ممتثلين الأمر: ﴿ فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ (البقرة/ ١٩١).

وفتح مكة لم يكن فيه ابتداء قتال من المسلمين.. لكن قريشاً نقضوا عهد الحديبية بقتل نفر ممن دخلوا في عهد النبي ﷺ، فوجب عليه أن يرد العدوان عمن دخل في عهده.. فكانت الغزوة، وجاء نصر الله. وكان الفتح المبين، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وطهر الله حرمه الشريف من دنس الكفر ورجس الشرك ونجس المشركين.

لقد كذب من قال إن الإسلام انتشر بحد السيف.

كذبة من آلاف الأكاذيب التي أطلقها بعض المستشرقين والحاقدون على الإسلام.

الإسلام دعوة.. ومحمد ﷺ (بشير) كما وصفه ربه جلّ شأنه: ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ﴾ (سورة فاطر/ ٢٣).

أمر ربُّ الإسلام نبيَّ الإسلام أن يبشر بدين الإسلام، وأن يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادل بالتي هي أحسن.. كما أمر أمته أن يقولوا للناس حسناً.

فالإسلام دعوة.. وعلى كل مسلم أن يكون داعية..

والإسلام نور حمل مصباحه دعاة الإسلام من أرض الحجاز الضيقة إلى جميع بلاد الله الواسعة بالدعوة المخلصة، بالكلمة الطيبة، باللباقة بالقول، بالإقناع، بالكلمة تخرج من قلب الداعية فتصل إلى قلب المدعو بلا رشوة وبلا أطماع ـ ولكن باقتناع... وإقناع.

ولنعد إلى الماضي قبل عشرة قرون حين حمل المسلمون السلاح دفاعاً عن حدودهم.. وانتصروا على أعدائهم. كان آخر قواد المسلمين ـ (عبد الرحمن الغافقي) في الغرب. و(قتيبة بن مسلم الباهلي) في الشرق.

ولكن الإسلام تجاوز شرقي ذلك المشرق.
وغربي ذلك الغرب!!.

ودخل الإسلام الصين والهند وجزر الشرق الأقصى والفلبين بالدعوة.. ودخل بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والقرم وتركستان الشرقية.. والعجيب أن الإسلام كان فيهما ١٠٠٪.

ودخل الإسلام أوروبا.. وأمريكا.. والمساجد فيهما شاهدة على ذلك.

فهل دخل الإسلام هذه وتلك بالسيف والسلاح.. أم بالدعوة؟؟ سؤال كما يقولون يجيب عن نفسه.

ولنا في أمريكا طلبة مسلمون ذو نوايا مخلصة، وقلوب مؤمنة بالدعوة إلى الله... آمنوا بقول الله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (سورة الصف/ ١٠).

آمنوا بأنهم هناك مرابطون مسؤولون عن نشر كلمة الله، دعاة مأمورون بتبليغ دين الله فصبروا وصابروا ورابطوا.. ودعوا في بلاد الكفر إلى كلمة الإسلام. ودعوا في بلاد الإلحاد إلى توحيد الواحد الأحد.. ودعوا في بلاد الباطل إلى نصرة الحق.

ورأيت منهم من رأيت.. وهنيئاً لمن رأيت.. كان بعضهم في رقة الحرير بأخلاقه وكلماته.. ولكنه كان في صلابة الحديد بدعوته لدينه.

دعوا إلى الله.. وإلى دين الله.. ولما كانت كلماتهم تخرج من القلوب فقد وصلت تلك الكلمات إلى القلوب.

وفي ماليزيا مكاتب وجمعيات تدعو إلى الله بلا سيف ولا مدفع ولكن بالكلمة الطيبة يقولها قائلها بالتي هي أحسن لمن يثق به.

هذه المكاتب التي لا تدفع رشوة.. ولا كسوة.. ولا دواء.. ولا طعاماً ولا تحمل سلاحاً تخيف به.. أمامها مكاتب تدعو إلى الكفر بأنواعه: بشركه وإلحاده.. وخلاعته. جهزت هذه المكاتب بالطعام والكساء والتعليم والدواء.

والإسلام أمامها صامد صابر مصابر مرابط أعزل. يقول كلمته التي تصل إلى كل قلب يسمع ـ ولأضرب لكم ثلاثة أمثلة:

١ ـ في كوالا لمبور عاصمة ماليزيا مكتب يتبع دائرة الإفتاء.. دعاته متطوعون لا يريدون إلا ما عند الله.. قال لي المفتي: إنه يسلم عندنا سنوياً ما بين (٢٠٠ ـ ٣٠٠) مقتنعين بالإسلام.

٢ ـ في سرواق ـ وهي ولاية من ولايات ماليزيا ـ الإسلام في تلك البلاد ٢٧٪ والمبشرون يخافون من انتشاره. وقد أنشئوا لذلك مطارات ومستشفيات ومدارس.. وبذلوا من الأموال ما لا عد له ولا حصر لكي يحموا القبائل من الدعوة الإسلامية.

في هذه الولاية جمعية تسمى (جمعية المؤلفة قلوبهم) يرأسها رجل مسلم من أهل البلاد (اسمه الدكتور عبد الرحمن يعقوب) شعار هذه الجمعية (نصر من الله وفتح قريب).

أعضاء هذه الجمعية رجال لا يريدون من تأييدهم ونصرتهم للجمعية إلا ما عند الله أمام أعداء دينه.. ودخلت بعض مدارس هذه الجمعية (جمعية المؤلفة قلوبهم) فرأيت الشباب المسلم والشواب المسلمات حديثي العهد

بالإسلام ـ يقبلون بحماس على تعلم أحكام الإسلام السمحة ويتعلمون في نفس الوقت بعض الكلمات العربية.

٣ ـ كان مما أثلج قلوب المسلمين في هذه الولاية ـ ولاية سرواق ـ في شهر حزيران ـ يونيو سنة ٩٧٧. ـ إسلام زعيم كبير مع أربعمائة من قبيلته إسلام اقتناع لا إكراه فيه.. ومن حسن حظي أني وفدت على هذا الزعيم لتهنئته في شهر يوليو أي بعد إشهار إسلامه بنحو شهر وسألته عن سبب إسلامه فقال:

إنا مسلم منذ سنين عن دراسة ولكني لم أشأ أن أعلن إسلامي حتى يتم اقتناعي الكامل.. وقد تم هذا الاقتناع والحمد لله ـ وأرجو أن يكون له أثره على جميع أفراد قبيلتي.

وقد علمت أنه حج في العام سنة ١٣٩٧ هـ.

وقد كان لإسلامه صدى كبيرٌ في جميع الأوساط الإسلامية هناك... وبعثت المملكة العربية السعودية وفداً لتهنئته ـ كان متهم رئيس رابطة العالم الإسلامي ووزير الأوقاف والحج وسفيرا المملكة العربية السعودية في ماليزيا وأندونسيا.

وفي جاوا الوسطى تطوع شاب وزوجته وأخوه لإنشاء مدرسة إسلامية وقد أقلق إنشاء هذه المدرسة الأوساط التبشيرية هناك فأحاطوها بست مدارس للقضاء عليها ـ وهذه المدارس الست مزودة بكل المغريات.. ولكن الله عزّ وجلّ كان مع ذلك المجاهد ومساعديه، فكان الناس يتخطون مدارس التبشير إلى مدرسته المسلمة.. وقد زرت أيضاً هذه المدرسة، ورأيت ولمست فيها ما يشرح صدر كل مسلم، ولمست في تلامذتها كل ما يبشر بالخير.. علماً بأن أكثر هؤلاء التلاميذ يتكلمون باللغة العربية.

وهنا ـ يحق لي أن أسأل هؤلاء المدعين.. أين السيف؟ وأين الإكراه؟.. لم أرهما، بل رأيت العكس تماماً. رأيت الدعوة بالحسنى رأيت

الإقتناع. . رأيت الرغبة في معرفة الله والقرب منه. . ورأيت من يصمدون أمام مغريات هي في متناول أيديهم، وأماكن تفتح لهم أبواباً، فيها من النعيم ما لا يخطر لهم مثله على بال. ومع ذلك أعرضوا عنها وشقوا طريقهم بخطا ثابتة إلى الإسلام، إلى الدين الحق دين الله المفترى عليه.

وأن ما يبشر بالخير وينشرح له الصدر، عودة كثير من شبابنا إلى دينهم دين الدنيا والآخرة. لا في الكويت والبلاد العربية فقط ـ ولكن في جميع البلاد الإسلامية في المشرق والمغرب.

وإنها ليست عودة فقط. . بل إنها عودة. . ودعوة. . عودة إلى الإسلام ودعوة إليه.

ذلك أن الإسلام دين دنيا وآخرة. . دين عبادة ومعاملة، دين يقول لأمته: ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (سورة النحل/ ٩٧).

الإسلام دين صاحب المسلم منذ تزوج أبواه على ما في كتاب الله وسنة رسوله. . ثم تقبلاه حين ولادته هبة من الوهاب بحمده وشكره. ثم نشّآه على آداب الإسلام. . ثم يعيش مع الإسلام وعلى ملة رسول الله. ثم يبعث بالإسلام لآخرته.

وقال شبابنا الداعون إلى الإسلام. . وصدقوا فيما قالوا: الإسلام يسر لا عسر فيه، سهل لا صعب فيه، لم يحرم مباحاً، ولا أوجب رهبانية. . وحياة المسلم كلها واجبات تعبدية.

فإذا أدى ما عليه لربه فهو عابد، وإذا أدى ما عليه لنفسه فهو عابد، وإذا أدى ما عليه لغيره فهو عابد. . لأن الإسلام يقول:

«إن لربك عليك حقاً ـ وإن لنفسك عليك حقاً ـ وإن لغيرك عليك حقاً فاعط لكل ذي حق حقه»[1].

(١) حديث.

والزواج من سنن المصطفى عليه الصلاة والسلام.. فمن رغب عن سنة المصطفى فليس من أمته. وفي الزواج إنجاب وتناسل ورسول الله ﷺ: «يكاثر بأمته الأمم يوم القيامة»[1].

والتاجر الصدوق المسلم الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة.. والزارع مبارك له في دنياه وآخرته.. وحتى ما يلتقطه الطير بمنقاره من زرعه يكتب له في حسناته يوم القيامة.. والله يحب العامل الذي يتقن عمله، ومن خرج يسعى على نفسه ليعفها عن ذلة المسألة فهو في سبيل الله.. ومن خرج ليكسب قوت عياله الصغار فهو في سبيل الله هذه بعض صفات الإسلام وقطرات من حسناته.

.. ومن عد موج البحر.. عد طويلاً.

.. وفضائل الإسلام لا يعلمها إلا من اعتقدها.

.. وحسنات الإسلام لا يعرفها إلا من عايشها.

ويكفينا أن نقول أن رب محمد ﷺ أدب محمداً فأحسن تأديبه.. ثم وصفه في كتابه العزيز بأنه على خلق عظيم.

هذا النبي العظيم ذو الخلق الكريم قال لنا:

«... أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً»[2].

فبمحاسن الأخلاق فتح الإسلام قلوب الناس قبل بلادهم، واستمال إليه النفوس بلا استعمار، وتألفهم دون استعباد.. وعندما اطمأنوا إليه آمنوا به بلا سيف ولا إرهاب ـ وكانوا أنصار الله.. آمنوا بالله ومحمد رسول الله وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

أيها الأخوة..

نحن اليوم في جهاد مع أعداء الإسلام.. جهاد لا قتال فيه، جهاد بالعلم والتعلم، جهاد بالقلم والكلمة.

---

(١) حديث.

(٢) حديث.

شاركوا أيها الإخوة.. إخوانكم الذين وقفوا مع الحق مسلحين بالكتاب والتعليم والتعلم ضد أعداء الحق الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم.. وبكتبهم وبأقلامهم.. وتعاليمهم وثقافتهم.

أعينوههم فإن معونتهم جهاد، والإسلام لم يحصر الجهاد بالنفس.. فكلمة الحق جهاد، والإنفاق في نصرة الحق جهاد.

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (سورة الصف/ ١٠، ١١).

إن أعداء الإسلام ما يزالون في حرب مع الإسلام.

وقد يئسوا أن يحولوا المسلمين إلى دين غير الإسلام. فأخذوا يمكرون بطرقهم الخبيثة في زلزلة العقيدة عند جهلة المسلمين بالكثير مما يكتبون ـ ويقولون ـ والطرق الخبيثة كثيرة ووسائلها أكثر.

إنهم حرفوا الكلم عن مواضعه، ووصفوا الكفر بالإسلام، ووصفوا المعصية بالطاعة، وسموا المسميات بأضدادها.

فالإنحلال والخلاعة تطور، والفسوق والفجور، تجدد، والنفاق مجاملة، والغش وسوء الظن فطنة.

علماً ـ بأن الناس ما زالوا مسلمين ـ إنهم لم يتنكروا لدينهم، ولكنهم استسلموا لمكر الماكرين، وخداع الخادعين. ففسقوا وفجروا وانحلوا باسم المدنية والتطور والتجدد والتقدم.

وابتدعوا ووضعوا وترهبنوا وتخاذلوا باسم الدين.

واستعمل أعداء الإسلام لمكرهم هذا ـ كثيراً من دعاتهم منا، كما ذكرنا ذلك في أول حديثنا هذا. ووصفهم المصطفى ﷺ بأنهم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام.

يقولون من قول خير البشر وهم من جلدتنا نعرفهم ويعرفوننا، ويتكلمون بألسنتا[1].

أيها الأخوة والمسلم لا يبدل دينه. وصدق رسول الله ﷺ حين قال ما معناه: «إن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب ولكنه رضي فيما دون ذلك»[2].

أيها الأخوة..

الإسلام دين الفطرة، دين يعيش مع الفطرة، لا يحتاج إلى السيف والإسلام دين العقل، فهو دين من يعقلون ويتفكرون، وذكرى لمن كان له قلب ـ والإسلام يحتاج إلى عقل يميز.. ولب يفكر.. وضمير ينصف.. ونظرة واحدة إلى أولئك الذين حاربوا المسلمين بحد السلاح، وانتصروا عليهم من المغول في العراق ومن الصليبيين في فلسطين والشام ومصر.

كيف دخلوا في دين الله بعد أن عرفوه ـ وكيف آمنوا به بعد أن درسوه حتى أصبح أعداؤه أنصاره ـ وحتى صار أبناء أعدائه دعاة له.

الإسلام لم يقف يوماً من الأيام موقف المعتدى ولا بادأ أحداً بالقتال؛ بل كان دائماً مع الحق.. وفي نصرة الحق.. وكان يقف موقف الدفاع عن دعوته وموقف النصرة للمظلوم.. وكان يقف مع الحق دائماً. ضد الباطل وأنصار الباطل.

الإسلام حارب الغش.. وحارب المؤمرات.. وحارب العدوان.. وكان المسلمون كما وصفهم ربهم في كتابه العزيز ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين ﴾ (سورة العنكبوت/ ٦٩).

---

(١) حديث.

(٢) حديث.

الكبر والتكبر

وصف رسول الله ﷺ التكبر بأنه «بطر الحق وغمط الناس».

وبطر الحق معناه: كراهة الحق وعدم قبوله، ومن بطر النعمة لم يشكرها، ونستعمل في الكويت كلمة (بطران) ومعناها في اللغة الدارجة عندنا: لا يشكر نعمة الله، أو متكبر على نعمة الله، ومن معاني الغمط الاحتقار والإزدراء، فمن غمط الحق جحده.. ومن غمط الناس احتقرهم..

ومن التكبر لا يرضى الإنسان عن نفسه، وأن يقتنع برأيه وبعمله.. وبعبادته.. والرسول عليه أفضل الصلاة والسلام قال: «من ظن أنه خير من غيره فقد تكبر».

والإعجاب بالعلم أو بالشكل أو بالهيئة كثير عند الناس..

والرياء من أخلاق المتكبرين.. والرياء لا يقف عند حد فقد يرائي الإنسان في زهده، كما يرائي في عبادته أو في شكله الذي يظهر فيه، بمظهر الزهاد والعباد.. ونعوذ بالله من شر ذلك..

والمتكبر حقود حسود لأنه متكبر.. فإذا رأى إنساناً تحترمه الناس حسده وحقد عليه..

وقد يمتنع المتكبر من قبول النصيحة (ولا ينقاد لها) لأنه يشعر في نفسه أنه أعلا مكاناً من الناصح، وأكبر منه قدراً وقد يتكبر على سماع الوعظ من

غيره.. لأنه يشعر في نفسه أنه أنضج إدراكاً وأوسع علماً..

ومن صفات المتكبر أنه يصعر وجهه ويتمخطر في مشيته وفي قيامه وجلوسه وفي معاملاته وقد ينظر إلى الناس شزراً على الناس أن يقوموا له وأن يخاطبوه باحترام..

ومن الناس من يتكبر على زيارة غيره ويطلب من الناس أن يزوره والمتكبر مكروه لأنه جرح عواطف الناس بتعاليه عليهم أو بشعوره وكأنهم لا وجود لهم..

والعتو من الكبرياء، والعتو أن يستعمل الموظف نفوذه على الغير لصالحه، لا في ما وضع له.. وهذا جهل فاضح وعتو.. والعتو أيضاً ظلم.. ولو أن الموظف استعمل نفوذه دون اعتداء على شخصية الغير وبدون كرامة لأحدلأحبه الناس واحترموه ولكن حب الظهور والجهل بعواقب الأمور أعمى بصيرته فلم يكسبه المركز إلا النفاق.. نفاق المحتاجين له..

إن الذي ينفخ أوداجه أمام مراجعيه أحمق.. ولو خضع للقانون أو للنظام لكان حرياً بالحب.

وإهانة الناس تثمر البغضاء واحتقار المراجعين يولد كرههم لمن يراجعون.. والعتو على الناس لا يأتي بخير..

إن بخل العالم بعلمه كبرياء والله جلّ شأنه أخذ عهداً على العلماء أن يعلموا الناس. والرسول ﷺ أخبرنا أن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم... والعلماء هم ورثة الأنبياء..

ومن بخل بعلمه على الناس قصر لأن الكبر أخذ بخناقه فرأى أنه أكبر من العامة.. وأنه لا يليق بمثله أن يقف بينهم ليجيب على أسئلتهم أو يعلمهم، أو أن تعليمهم وهو من هو ضياع لعلمه لأنه لا يرى فيهم الأهلية لأن يتلقوا المعرفة من مثله. ونسي أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وقف بين الجاهلين في الجاهلية ليعلم وينصح..

والمذنب مريض (هكذا وصف الله المذنبين في كتابه العزيز) ومن لوازم الإنسانية معالجة المريض إلا أن يكون مريضاً بمرض لا يرجى برؤه فيقام عليه الحد..

ومن لوازم الإنسانية ولوازم الإصلاح النصيحة، والنصيحة لا تكون إلا للمخطىء، والنصيحة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وكيف يأمر الآمر بالمعروف إن لم يكن منكر.

والمدرس إذا لم يفتح صدره لكل سؤال من أسئلة تلاميذه فهو متكبر، لأنه رضي أن يكون معلماً، والمعلم يعلم الجهال فإذا لم يكن جهّالاً فلا حاجة إلى معلم.. إذن.. يجب عليه ما دام قد رضي بهذه الوظيفة أن يفتح صدره وأذنيه لكل سؤال يوجه إليه من هذا المتعلم.. يسمعه منه دون أن يعيبه عليه.. فإذا لم يكن السؤال واضحاً أوضحه هو.. وصححه له.. وأجابه عليه..

أنا لا أنكر أن حسن السؤال نصف العلم.. لكن السؤال دائماً يأتي على قدر السائل.. فمن أحسن سؤاله فهو نصف عالم تصديقاً لقول المصطفى عليه الصلاة والسلام (حسن السؤال نصف العلم). لكن من وجه سؤاله من مستمعي الواعظ إلى الواعظ فلم يحسن السؤال وجب على الواعظ أن يصحح السؤال دون مساس بكرامة السائل ثم يجيبه عليه كما يفعل المدرس مع تلميذه..

أقول هذا إذا كان السائل في مجلس الوعظ لكي لا يلفت أنظار المستمعين إليه.. أما إذا كان بعيداً لا يراه أحد فإن للواعظ أن يعيب جهل المجتمع أو الجهل المنتشر في المجتمع الذي منه هذا السائل..

وأختم كلمتي هذه بقول النبي ﷺ:

«إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً».

وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون. قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين، فما المتفيهقون؟ قال عليه الصلاة والسلام: المتكبرون».

رواه الترمذي عن جابر رضي الله عنه..

الداعية والدعوة

قال الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن.. ﴾ (سورة النحل/ ١٢٦) وقال لرسوله ﷺ: ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ (سورة الأحزاب/ ١٥، ١٦) وقال لنبيه أيضاً: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ (سورة آل عمران/ ١٥٩) وقال جلّ جلاله: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (سورة الأنبياء/ ١٠٧).

هذه صفات الداعية الأول ﷺ إلى الله ويجب أن يتصف بهذه الصفات كل من أراد أن يكون داعية إلى الله لا إلى دنيا ولا إلى مجد أو سلطان أو جاه ولا إلى عصبية جاهلية ولكن دعوة مخلصة إلى الله وحده لا لبس فيها ولا غموض. لا يريد الداعية بها شهرة ولا جاهاً ولا متاعاً ولا انتفاعاً وإنما الأعمال بالنيات.

يتعبد الله بالدعوة إليه على أنها جزء من الواجبات التي كلف بها أو أنها جهاد في سبيل الله..

فإذا أيقن بكون الدعوة جهاداً في سبيل الله هان عليه في سبيلها كل صعب.. وحببت إليه كل تضحية..

لهذا رأينا السلف الصالح من الدعاة الذين تعبدوا الله بدعوتهم فلم

ييأسوا ولم يخافوا حين توجهوا إلى الله بقلوبهم أفراداً وجماعات.. وفقهم الله في دعوتهم إليه وانقادت لهم شعوب..

ونحن اليوم في حاجة إلى دعاة لإعادة دين الله إلى أرض الله دعاة يدعون بالتي هي أحسن.. يقولون ويفعلون.. يعلمون الناس الخير يأمرون بالمعروف حتى يستحقوا أن يوصفوا بورثة الأنبياء لا يشددون ولا يصعبون.

على الداعي أن يصدق الله في كل كلمة يقولها داعياً.. وأن يقصد وجهه الكريم في كل خطوة يخطوها في سبيل هذه الدعوة، وأن يكون على بينة فيما يدعو إليه وأن يكون المثل الأعلى في دعوته.. فلا يخالف فعله قوله.. فيكون ممن عناه الله بقوله: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (سورة الصف/ ٢).

والدعوة إلى الله معركة مع الكفر والشرك والباطل والضلال في واقع الحياة، ومع الطغيان والظلم في واقع المجتمعات، ومع الجهل والهوى في النفس.. والرسول ﷺ واجه ذلك كله فلم ييأس، وأخلص الدعوة، وعالج كثيراً من الأمراض النفسية والفردية والاجتماعية.. وقاومته كلها بكل ما لديها من سلاح. سلاح الكفر والتقاليد القبلية والاجتماعية، ولكن أهل البصائر السليمة نظروا إلى الحق فاتبعوه وسمعوا قول الله فلانت قلوبهم له واهتدت بهداه..

أيها الأخوة والأخوات:

واليوم نرى الحرب قائمة على أشدها بين الكفر والإسلام في كل بقعة من بقاع الأرض، بين الدينية واللادينية، بين الإلحاد والإيمان بين عقائد كل أصناف البشر سواء كانت هذه العقائد سماوية أو غير سماوية..

إنها حرب لا صلاح فيها ولا دماء بعد أن كانت هذه الحروب تزهق فيها الأرواح وتسفك فيها الدماء إنها اليوم حرب في كل ميدان في المجتمعات وفي المدارس وفي المعابد إنها حرب ترغيب وترهيب حرب

سلاحها القلم واللسان والصحيفة حرب يجب على المسلم أن يبذل فيها كل ما يستطيع وأن يستجيب إلى نداء الله القائل:

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾ (سورة الصف/ ١٠، ١٣).

إخوتي وأخواتي:

نحمد الله أن جعلنا من عباده المؤمنين، نؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالقرآن نوراً ودستوراً ونظاماً يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً..

هذا القرآن يقول لأمة محمد: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ (سورة آل عمران/ ١٠٢، ١٠٣)، وكلمة لا تفرقوا تعني وحدة، يفسرها قوله تعالى: ﴿ إنمَا المؤمنون إخوة ﴾ (سورة الحجرات/ ١٠) وقوله تعالى: ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ (سورة المؤمنون/ ٥٢).

وحدة تضامن أهلها وتكافلوا فيما بينهم فالتزموها ورعوها خير رعاية عملوا على تقوية الروابط الأخوية فيما بينهم، وتعاونوا على البر والتقوى، وتواصوا بالحق وتواصوا على الصبر، وتذاكروا في أوامر الله الذي أراد لهم بها أن يحيوا بالعمل الصالح وأن يموتوا على العمل الصالح، دعوا إلى الله فأحسنوا الدعوة وقالوا فأحسنوا القول، وذللوا كل أساليب الدعوة لدعوتهم، فلم يتركوا أسلوباً منها إلا فعلوه ولا سبيلاً إلا سلكوه دعوا إلى الله بالقول وبالقلم وبالمال، وبكل وسائل الإعلام المعروفة دعوا بالتي هي أحسن حتى

تلين لـدعوتهم القلوب، (والقلوب لا تنقـاد لشـدة)، وأصغت لكلماتهم الأسماع والأسماع لا تصغي لقسوة وصدق الله العظيم: ﴿ ومن أحسن قولاً لا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين. ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن. فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ (سورة فصلت/ ٣٣، ٣٤).

بالعمل الصالح تطيب الحياة

دعت الأديان كلها للعمل الصالح، وتتابع رسل الله يحملون رسالته إلى عباده في مختلف الأزمان يبشرون الناس بأن ﴿ من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى ﴾ (سورة الكهف/ ٨٨).

والقرآن الكريم يحكي لنا عن قوم يونس: ﴿ لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ (سورة يونس/ ٩٨).

ويخبرنا عن نوح أنه قال لقومه: ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ (سورة نوح/ ١٠، ١٢).

ويقص عن هود عليه السلام، فيقول هود لقومه: ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً. ويزدكم قوة إلى قوتكم، ولا تتولوا مجرمين ﴾ (سورة هود/ ٥٢).

وبفعل الصالحات استخلف الله في الأرض أمماً عمروها ولكنهم بعد أجل عاثوا فيها فساداً، وطغوا وظلموا، فأهلكهم الله بذنوبهم، وكأنهم لم يعمروا أرضاً، ولم يبسطوا بها يداً، ولا سلكوا فيها سبيلاً.

ثم ختم الله الرسالات ببعثة محمد ﷺ خاتم الأنبياء. يدعو الناس إلى الخير، فاتبعته أمة كان منها الشهداء على الناس، وكانت خير أمة أخرجت

للناس عبادة لله، ودعوة إلى الخير، ونهياً عن المنكرات، ووعدها الله ﴿ ومن أوفى بعهده من الله؟ ﴾ (سورة التوبة/ ١١١).

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات، ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ (سورة النور/ ٥٥).

وفّى الله لهذه الأمة وعده، واستخلفها في الأرض، فتكسرت من هيبتها عروش الطغاة، وهوت رهبة منها تيجان البغاة، ودالت أمام فتحها دول الظلم، وكانت الشعوب المظلومة تستقبل جيوش المسلمين الفاتحة بالترحيب.

لماذا؟ والجيش الفاتح لا يرحب به؟.

ذلك لأن فتح المسلمين أمن وسلام، وجيش المسلمين الفاتح لا يقتل شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا متعبداً تفرغ لعبادته، ولا يقطع شجراً، ولا يهدم داراً، ولا يصطحب معه في الفتح الظلم والعدوان، والشعوب المفتوحة بلادها تعلم أن جيش المسلمين جاء ليحمي الحرية لا ليعتدي عليها، وليكرم الإنسانية لا ليهينها ويحطم قيمتها، وليصون الملكية والأموال لا لينهب ويغتصب، وليصون الأعراض لا ليهتكها.

ودخل تلك البلاد مع الفاتحين كتاب الله العربي المبين، دخل باسم الله واسم رسوله، وفيه الدين والدنيا، دستور دولة.. وقانون حكم.. ومعاملات، ونظام مجتمع، وعبادة، يهدي للتي هي أقوم، وكرامة تطيب للإنسان بها الحياة، وعلم يعرف به الإنسان قيمة الحياة.

وذاق الناس حلاوة الحياة في ظل الإسلام، وعرفوا ما هي الكرامة التي كرم الله بها الإنسان، وعاش الناس في ظل الإسلام كراماً أعزة.

وطال على المسلمين الأمد، كما طال على غيرهم من الأمم قبلهم، وأعرضوا عن القرآن وتعاليمه، وقست قلوبهم على بعضهم فتفرقوا، وكانت

النتيجة فشل وذهاب ريح، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً. ونحشره يوم القيامة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ (سورة طه/ ١٢٤، ١٢٦).

وبعد.. فما زلنا ندين بالإسلام (والحمد لله) ولن نزال إن شاء الله مسلمين، نؤمن بالله رباً، وبمحمد ﷺ نبياً.

والقرآن كتاب الله ما زلنا نقدسه، ونعتني به، ولكنا في أكثر البلاد الإسلامية عربية وغير عربية ـ وأقولها بألم ـ أعرضنا عنه، فلا هو دستور دولة، ولا قانون حكم، ولا نظام مجتمع.

بالقرآن كنا مسلمين، هدى الله به أسلافنا، وعلمهم وزكاهم، وبه مكن لهم في الأرض، واستخلفهم فيها، ومحا بهم ظلم الناس للناس.

وفي ظل القرآن أقام المسلمون دولة الإسلام بين مشرق المعمورة ومغربها، وظل القرآن أبداً لا ينحسر، ولكن الخلف الذي اتبع دعاة الضلال وباعة الشهوات، هو الذي ابتعد عن ظل القرآن وانحسر عنه.

الباب ما يزال مفتوحاً لمن أراد دخوله، والظل ما يزال ممدوداً لمن أراد أن يستظل به. والله جلّ جلاله باق يستجيب لمن استجاب له.

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ﴾ (سورة الطلاق/ ٢).

﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ﴾ (سورة الطلاق/ ٤).

﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ﴾ (سورة الأنبياء/ ٩٤).

* * *

الاقتصاد في الإسلام

الاقتصاد هو التوسط في الإنفاق من غير إسراف ولا تقتير، لأن في الإسراف الفقر، والفقر ذلة، وفي التقتير الحرمان، والحرمان حسرة ولوم.

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾ سورة الإسراء/ ٢٩).

وللاقتصاد منزلة في حياة الفرد والأمة، وقد بين لنا نبينا عليه الصلاة والسلام ذلك بقوله: «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة».

لهذا كان الاقتصاد رائد الحكومات المنظمة في أعمالها النافعة، وكان سبيل العقلاء في كل زمان ومكان، واهتم علماء الاجتماع وعلماء الإدارة بالاقتصاد، وجعلوه علماً يدرس في الجامعات، حتى أصبح من أشهر العلوم، وتولى العلماء فيه أشرف المناصب.

ومعنى الاقتصاد أيضاً القصد في النفقة، والقصد هو العدل، ومعنى ذلك كله: استفضال شيء من النفقة يرجع إليها الإنسان وقت حاجته إليه، كقعود عن العمل بمرض يبتليه، أو عطل يصيبه، حتى يكون بمأمن من عوادي الزمان، وبغنى وقت الحاجة.

والناس جميعهم على اختلاف أزمانهم وتفاوت درجاتهم في الغنى والفقر وسائر وسائل الكسب في حاجة إلى الاقتصاد، ليأمن الناس غوائل

الدهر التي تصيبهم على غرة منهم، فتذهب بما ملكت أيديهم، أو تقعدهم عن العمل بذهاب قوتهم وقدرتهم.

فكم رأينا من غني افتقر، ومن عزيز ذل، وقوي غاله الدهر فأذهب قدرته وجلده، وصانع مبدع أصبح عاطلاً ولم يبق له غير ما ادخره من غناه لفقره، ومن شبابه لشيبه، ومن عمله لفراغه، فإن لم يكن شيء من هذا ـ وهذا أكثر ما يكون ـ نال منهم العدم وأذلهم الفقر.

والرسول عليه الصلاة والسلام نبهنا لهذا في تعاليمه العظيمة، حيث قال: «اغتنم خمساً قبل خمس، حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك».

والمبذر جاهل أحمق، وربما دفعه تبذيره إلى الاستدانة وبذل ماء وجهه، وربما بذل عرضه وشرفه في سبيل تبذيره.

وفي الناس من هو على عكس هذا: يجمع الدرهم إلى الدرهم، ويحرص على فلسه حرصه على حياته، يرى في هذا لذة عيشه، وغاية سعادته، يحرم نفسه من لذائذ العيش وزينة الحياة، ويحرم منهما أهله وعياله، يقصر في حق ذوي الحقوق عليه خوفاً من الذل، وهو في الذل والهوان، وخوفاً من الفقر، وهو في الفقر والحرمان.

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

والله عز وجل أثنى على عباده الذين التزموا في إنفاقهم طريق الوسط وسماهم في كتابه العزيز (عباد الرحمن) فقال: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ (سورة الفرقان/ ٦٧).

والإسلام ينظر إلى المال على أنه عصب الحياة وقوامها، وضرورة من ضروراتها، لا يستغني عنه أحد، فرداً كان أو جماعة، أو أمة أو حكومة، وهو الخير، وهو زينة الحياة، لهذا يجب حفظه فلا يبدد ولا يبذر في غير طائل أو مفيد. يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره

لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله عليكم، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

والقرآن أمر بحفظ المال في مواطن منها:

١ ـ الحجر على السفهاء الذين لا يحسنون التصرف في أموالهم، فيضيعونها في غير مفيد، أو ينفقونها فيما لا يعود بالنفع عليهم أو على الوطن، فقال في كتابه العزيز: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وأرزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ (سورة النساء/ ٥).

٢ ـ اليتامى يجب علينا أن نحفظ أموالهم، وننميها بالعمل فيها، ونرعاها رعايتنا لأموالنا الخاصة، حتى إذا بلغوا الرشد، وجب علينا اختبارهم، فإن كانوا صالحين راشدين سلمت إليهم أموالهم، وإلاَّ منعوا من تسليمها لهم. قال الله تعالى: ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾ (سورة النساء/٦).

٣ ـ الدين والرهن: أمر الله بكتابتهما حماية لهما أن يضيعا، فقال تعالى في كتابه العزيز في سورة البقرة: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله، فليكتب، وليملل الذي عليه الحق، وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً﴾ (سورة البقرة/ ٢٨٢).

والمال في الإسلام ليس ملكاً خاصاً لمالكه، وإنما هو ملك الله، وضعه وديعة في يد صاحبه، فيد المالك عليه يد وديعة استودعها الله إياه، فيجب على المستودع أن يحفظ الأمانة ولا يصرفها إلاَّ فيما أمر المودع، والقرآن يقول: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ (سورة النور/ ٣٣).

﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ (سورة الحديد/ ٧).

ثم هو فتنة وامتحان فإن أنفقه صاحبه في وجوهه المشروعة نجح في امتحانه، وإلاَّ فإنَّه مفتون فيه.

﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ (سورة الشورى/ ٣٧).

والإنسان يطغى إن استغنى، ويتجاوز بطغيانه هذا حدود ما أمر الله به، يبذر، يطلق لنفسه العنان في ميادين الشهوات، يتكبر على الغير، وقارون طغى على موسى وعلى قومه، وبغى عليهم، وكفر بالله الذي آتاه مالاً مفاتيح كنوزه تنوء بالعصبة أولى القوة. لهذا كان من وصايا الإسلام للمسلمين:

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إنَّ الله لا يحب المفسدين﴾ (سورة القصص/ ٧٧).

والمال ليس خيراً بذاته، وإنما هو وسيلة لفعل الخير إذا وقع بيد من يريد الخير، ولا هو شرٌ بذاته، وإنما هو وسيلة لإتيان الشر لمن حرم فعل الخير.

والمال لا تكمل به سعادة، ولا تشرف به نفس.

فكم من رجل ملك من المال ما لا يحصى عداً، ولكنه كان شقاء على صاحبه.

وكم من شخص تكدست الأموال في خزائنه، وعظمت في البنوك أرصدته، ولكنه ذليل في أعين الناس، وإنما يسعد الإنسان ويشرف ويعلو قدره بأشياء أخرى وراء المال، هي: القيم الصالحة، والمثل العليا، والصدق في المعاملة، والثقة في النفس، والإحسان إلى المحتاجين، والجود على السائلين، والإنفاق في وجوه البر المشروعة، وأبوابها كثيرة مفتحة لكل طالب، وطرقها مسلوكة معبدة لكل راغب.

وما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا.

نعود الآن إلى الاقتصاد وأنصح كل مواطن أن يتبع نظام الاقتصاد في حياته. وبما أني لست من رجاله، ولا درست في حياتي شيئاً من كتبه، وإنما رايت أن أقدم لأخي المواطن ـ ما يعرفه كل عاقل، ويصادق عليه كل رشيد ـ سبع نصائح أحصرها في هذه الكلمات:

١ ـ انظر إلى من هو دونك في مصروفك ولا تنظر إلى من هو أغنى منك، وأقوى على جلب المال. وإلاَّ عجزت متى نظرت إلى الأعلى.

٢ ـ أتقن عملك إن كنت صادقاً، وأصدق في المعاملة إن كنت تاجراً، يزد موردك ويحل كسبك.

٣ ـ أصدق في وظيفتك إن كنت موظفاً، وأد الواجب الذي عليك ولا تضيع وقت المراجعين، فإن الوقت ثمين. يطب رزقك ويبارك لك فيه.

٤ ـ ابتعد عن الاستدانة، ووزان بين دخلك وإنفاقك، وإلاَّ كان عملك سفهاً.

٥ ـ شهوات النفس ليس لها حد، فلا تتبع شهوات النفس وإجابتها لطلباتها، ولا تشتر إلاَّ ما تحتاج إليه.

٦ ـ ابتعد عن اللهو ومواطن السرف والتبذير.

٧ ـ اجتنب حب الظهور والتقليد.

وبعد فالمال إن ملكته وأردته عزاً ففي يدك هذا العز وليس في المال. وإن بخلت فيه على المستحق وعلى نفسك فلن يفيدك. وكان المال عليك وبالاً ومذلة ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلاَّ من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾ (سورة سبأ/ ٣٧).

إصلاح ذات البين

جاء الإسلام ليجمع القلب إلى القلب، وليضم الصف إلى الصف، وليجعل من المسلمين أمة واحدة لها كيانها الموحد القوي، حتى يعيش الناس في ظله آمنين على روابطهم أن تتصدع.

والروابط بين الناس تختلف اختلافاً ظاهراً، وتتدرج من دائرة ضيقة إلى دائرة أوسع فأوسع.

وأول رابطة تربط الإنسان بغيره من بني الإنسان هي:

١ ـ رابطته بوالديه أمه وأبيه.
٢ ـ ثم رابطته بأهل بيته وعياله.
٣ ـ ثم رابطته بقبيلته وذوي قرابته.
٤ ـ ثم رابطته بأمته ووطنه.
٥ ـ ثم الرابطة الكبرى هي رابطته بالبشرية أجمع.

أما الإسلام، فقد ربط المسلمين جميعاً برباط هو أوثق الروابط كلها، رباط الأخوة الإسلامية التي تزول أمامها جميع الفوارق، فلا نسب يضيع، ولا جنس يرفع، ولا لون يدني، ولا جاه يعلي، ولا مال ولا مميزات درج الناس على اعتبارها جيلاً بعد جيل، كلها زالت أمام: ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ (سورة الحجرات/ ١٠).

وأمام: «أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب».

فأي إنسان مهما كان عريق النسب واسع الثروة، أو كان ذا شأن في قومه، فهو أخ لمن دونه نسباً، أو أقل منه مالاً، أو أحط منه شأناً في المنزلة الاجتماعية.

فالمسلم أخو المسلم.

وهذا الإخاء يفرض على كل مسلم أن يهتم بأمر أخيه المسلم قرب منه أو بعد. يعني بشأنه، ويدافع عنه، ويذود عن حياضه، ويمد يد العون له، ويعمل على حفظ ماله ومستقبله مهما اتسعت دائرة المسلمين، وتباعدت ديارهم فـ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ (سورة التوبة/ ٧١).

«ومثل المؤمنين في ترادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

فكما أن الجسد لا يرضى أن يعتدى على جزء منه فهو بالطبيعة يدافع كله عن بعضه.

كذلك يجب أن يكون المسلمون في وطنهم الأكبر مهما تباعدت أقطارهم. لأن كل فرد من المسلمين خلية من ملايين الخلايا في هذا الجسم وكل إقليم من أقاليمهم عضو في مجموعة هذا الجسم.

والإسلام حرص أشد الحرص ألاَّ يتفكك هذا الجسم حتى لا تتفكك وحدة المسلمين، فالعقيدة واحدة، والعبادة واحدة، والقبلة واحدة، والشريعة واحدة، والغاية واحدة.

وحرص الإسلام أشد الحرص أن يجعل من المسلمين أمة واحدة، يحسب حسابها، ويرهب جانبها، فقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً». «المسلمون يد واحدة على من سواهم يجير عليهم أدناهم». «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

وجعل الإسلام لهذه الوحدة سياجاً يقيها شرور التدخل الخارجي.

وأي صدع في هذه الوحدة.. وأي هزة في كيانها يعتبر جريمة ما بعدها جريمة، فهذا كتاب الله ينادي ﴿لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (سورة الأنفال/ ٤٦)، والريح هو القوة ومتى ذهبت القوة كان الضعف، وعاقبة الضعف ذلة وبعد الذلة الفناء والزوال.

والإسلام أعلن البراءة من المفرقين فقال:

﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله﴾ (سورة الأنعام/ ١٥٩).

وقال: ﴿ولا تكونوا من المشركين. من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ (سورة الروم/ ٣٢).

وقال: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات﴾ (سورة آل عمران/ ١٠٥).

والإسلام عندما جعل المسلمين أمة واحدة لها كيانها القوي وأراد لها البقاء لتكون خير أمة أخرجت للناس، وأراد لهذه الوحدة أن تبقى، بين في كتابه العزيز أن للوحدة أمراضاً يجب اجتنابها والابتعاد عنها، وقاية لها أن تصاب بها، والوقاية دائماً خير من العلاج، فقال جلَّ شأنه في سورة الحجرات.

﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ (آية رقم/ ٦). وقال فيها أيضاً ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا﴾ (آية رقم/ ٩).

﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ ﴿ولا نساء من نساء﴾ ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾.

﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾.

﴿لا تجسسوا﴾.

﴿لا يغتب بعضكم بعضاً﴾.

كل هذا وقاية لهذه الوحدة أن تصاب بصدع، أو تفكك من بدايتها في البيت حتى نهايتها في العالم الإسلامي الأكبر.

وكنا قد قلنا في أول هذا الحديث أن الروابط بين الإنسان وغيره من الناس تتدرج من دائرة ضيقة إلى دائرة أوسع، فقد أراد الإسلام لهذه الروابط حفظاً وبقاء، وأن تظل صالحة مشدودة إلى بعضها ليبقى المجتمع قوياً ومتضامناً.

فعلاقة الإنسان بوالديه قضى فيها: ﴿بالوالدين إحساناً أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ (سورة الإسراء/ ٢٣ ـ ٢٤).

وجعل عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، وقرنه بالشرك بالله وقتل النفس.

كما أمر بتربية الأولاد والإحسان فيها، وأوجب على الوالد أن يعلم ولده بره، وعلاقة الإنسان بذوي قرباه أمر الإسلام برعايتها وصلتها، وحذر من قطيعتها، ووعد واصل أرحامه بسعة الرزق وطول العمر، وقال ﷺ: «أسرع الخير ثواباً البر وصلة الرحم، وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم».

والعلاقة الزوجية أمر أن تكون على ما في كتاب الله وسنة رسوله، ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ (سورة البقرة/ ٢٢٩). لأن الحياة الزوجية هي الحياة الطبيعية لكل إنسان. وفيها البقاء: بقاء الجنس البشري وحفظ نوعه، فوجب أن تكون هذه العلاقة علاقة حب تكتسح أمامها كل مكدرات العيش، حتى تتوفر للزوجين أسباب الهناء والغبطة لهذه الحياة.

فمتى تخاصم زوجـان وجب على المسلمين أن يسعوا لإزالة هذا الخلاف، وإذا تعذر بمواجهة كل من الزوجين، وجب عليهم أن يبتغوا حكماً من أهل الزوج وحكماً من أهل الزوجة، أن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما، وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته.

والعلاقة بين الناس ـ تقاربوا أو تباعدوا ـ أمر يجب أن يبقى حسناً تطيب به المعاملة، وتقوى به الثقة، فإذا حصل خلاف بين اثنين وجب على كل من علم بهذا الخلاف ووجد في نفسه القوة على إزالته أن يقضي فيه ويزيله.

فإنَّه كما قال الله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلاَّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ (سورة النساء/ ١١٤) ويقول الرسول ﷺ: «ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟» قال المخاطب: بلى يا رسول الله، قال: «تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا».

والكذب خصلة مذمومة وحرام وإثم وهو من صفات المنافقين ولم يرخص الإسلام في الكذب إلاَّ في الإصلاح بين الناس.

يقول ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً».

أما الغاية التي أرادها الله لهذه الأمة في وحدتها فهي: أن تكون صالحة مصلحة، تفعل الخير، وتقود الناس إلى الخير، وأن تكون بعيدة عن الشر، لأن الشر يضعف جانب الخير في النفوس، ويوقد نار العداء بين الناس، فلا يبالي الناس بما يصيبهم في مجتمعهم، أو يعكر صفو العلاقات فيما بينهم، ويصبح كل فرد في المجتمع أنانياً لا يبالي بما يصيب غيره إذا سلم هو.

﴿إذا مت ظمآناً فلا نزل القطر».

إذن فالغاية من هذا كله هي امتثال أمر الله ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة الأنفال/ ١).

الإسلام دين العدل

العدل هو التوسط والاستقامة، ومعناه وضع الشيء في موضعه.

واستحسان العدل غريزة في البشر، وفطرة فطرهم الله عليها على اختلاف أديانهم وأجناسهم.

والعدل في الأحكام معناه عدم الميل إلى أحد في الدعوى، وحسم القضية طبق الشريعة في بلاد تحكم بالشريعة، أو طبق القانون حيثما يسود القانون.

والله أمر المسلمين بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى.

وأمرهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل.

والإسلام حرص أشد الحرص على المحافظة على حقوق الناس، ودمائهم وأعراضهم وأموالهم، كما عني أشد العناية بصيانة حرياتهم وكراماتهم.

والله جلَّ شأنه ما بعث رسله وأنزل عليهم كتبه إلاَّ ليقوم الناس بالقسط ويأمنوا على ما تقوم به حياتهم ويحفظ لهم حقوقهم.

﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ (سورة الحديد/ ٢٥).

وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ كان من وظائفه إقامة العدل بين الناس، ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا، وإليه المصير﴾ (سورة الشورى/ ١٥).

والإسلام اتخذ جميع الوسائل التي تصان بها الكرامات والحريات، وتحفظ بها الحقوق، وتحقن بها الدماء، حتى تشيع الطمأنينة بين الناس، فينتشر الأمن، وتشد علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتقوى الثقة بين الحاكم والمحكوم، وتنمو الثروة وتزيد في رخاء العيش، ويمضي كل فرد من الأمة إلى غايته في العمل والإنتاج آمناً مطمئناً على كسبه وإنتاجه، دون أن يقف في طريقه ما يعوق نشاطه، أو يعطل عمله.

وبالحاكم العادل يقوم كل سائل، ويصلح كل فاسد، وإليه يفزع كل ملهوف، وبه يقوى الضعيف حتى يأخذ حقه، ويضعف القوي حتى يؤدي ما عليه من حق.

وهو للرعية كالأب يسهر على مصالحهم، فيعلم جاهلهم، ويربي قاصرهم، ويحفظ أموالهم وأعراضهم ودماءهم.

وهو في نفس الوقت وصي اليتامى وخازن المساكين.

وهو للأمة كالقلب في الجسد، تصلح الأعضاء بصلاحه، وتفسد بفساده.

وهو ظل الله على عباده في أرضه.

هكذا يكون الحاكم العادل.

خطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة فقال: (يا أيها الناس القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له».

هذا هو مثل الحاكم العادل، وأقصد به ملك البلاد أو أميرها أو رئيسها.

أما القاضي: فأول عدله أن يسوي بين الخصمين في الدخول عليه، والوقوف بين يديه، وأن يستمع لما يتكلمان، يبدأ بالمدعي ويثني بالمدعى عليه، ولا يلقن واحداً من الخصمين حجته، ولا يعدل شهادة شاهد، أو يشير إلى أحد طرفي الدعوى بما يفيده فيها محاباة منه له أو جنوحاً عن الحق، ثم يحكم بما يراه حقاً ممتثلاً أمر الله عز وجل ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ (سورة النساء/ ٥٨). وتنفيذاً لقول النبي ﷺ: «أيها الناس إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعلَّ بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي لـه على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار».

ومن أبلغ ما أوصى به خليفة قاضياً هو الكتاب الذي بعث به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري عندما ولاه قضاء العراق، نقتطف منه هذه الجمل.

قال عمر في رسالته:

(واس بين الناس في وجهك، وعدلك، ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في ميلك، ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلاَّ صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً. وإياك والقلق والضجر، والتأذي من الخصوم، والتنكر عند الخصومات، فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر. واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة غائبة أمداً ينتهي إليه، فإن أحضر بينتـه فخذ له بحقه، وإلاَّ استحللت عليه القضية فإنَّه أنفى للشك وأجلى للعمى).

هذه نبذة من كتاب عمر رضي الله عنه الذي جعله العادلون دستوراً لهم

يسيرون في قضائهم على ضوئه، فلا تأخذهم في الحق لومة، ولا قرابة، ولا صداقة، ولا خوف، ولا حب، ولا إكراه.

وحماية المظلوم والوقوف في وجه الظالم عدل. فقد قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». قيل: كيف أنصره ظالماً يا رسول الله؟ قال ﷺ: «تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره».

وليس العدل موقوفاً على من ولي القضاء، بل هو مفروض في كل شيء، وعلى كل واحد، وحتى على من رضيه اثنان ليقضي خصومتهما، أو انتدبه القضاء ليصلح في قضية، أو يستمع إلى شهادة. ولا يزال هذا الحل موجوداً في بلدنا كما كان موجوداً فيما مضى قبل.

والعدل واجب في الشهادة، والقرآن أمر بأداء الشهادة وأوجب العدل فيها في مواضع من كتابه وحذر من كتمانها فقال تعالى:

﴿ وأقيموا الشهادة لله ﴾ (سورة الطلاق/ ٢).

وقال: ﴿ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ (سورة البقر/ ٢٨٣).

وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين أن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلـوُوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ (سورة النساء/ ١٣٥).

وحذر الإسلام وشدد الحذر من تحريف الشهادة أو صبغها بصبغة تخالف الواقع، وقرن ذلك بعبادة الوثن، بالشرك بالله.

فقال تعالى: ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾ (سورة الحج/ ٣٠).

وقال الرسول ﷺ: «أكبر الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل

النفس، ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قول الزور شهادة الزور».

ذلك لأن شهادة الزور تبدل الحق باطلاً، وتحيل الباطل إلى حق، وتبعد الحق عن صاحبه، وتعطيه ألى من ليس له حق.

وشاهد الزور أساء إلى نفسه وإلى من شهد عليه، وإلى من شهد له، وإلى القاضي، وإلى المجتمع.

أساء إلى نفسه باستحقاقه غضب الله عليه.

وإلى من شهد عليه فحرمه من حقه، وإلى من شهد له فجرأه على أن يأكل حق غيره، وإلى القاضي لأنه ضلّله عن طريق العدالة، وإلى المجتمع لأنه مجرم يشجع على الإجرام.

والعدل مطلوب من الأب بين أولاده، ومن الرئيس بين مرؤسيه، ومن المدير بين موظفي دائرته، ومن المراقب بين عماله، ومن الربان بين ملاحي سفينته، ومن التاجر بين زبائنه وعملائه، وحتى المدرس في صفه بين تلامذته.

والعدل مطلوب في الكتابة بدليل قول الله تعالى:

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب، وليملل الذي عليه الحق، وليتق الله ربه ﴾ (سورة البقرة/ ٢٨٢).

ولهذا أوجدت الحكومات ـ وحتى غير المسلمة منها ـ كاتباً أسمته كاتب التوثيق أو كاتب العدل، وظيفته التصديق على ما يكتبه المتعاقدون من اتفاقيات وعقود بينهما.

والعدل لا يفرق بين ألوان ولا بين أديان، ولا يفضل طبقة على طبقة، ولا أهل إقليم على أهل إقليم آخر. العدل يجب أن يكون بين الناس جميعاً،

والناس أمامه كأسنان المشط سواء، قويهم كضعيفهم، وسيدهم كمسودهم، وشريفهم كوضيعهم.

وأختم كلامي بقصة تبين عدل سلفنا الصالح في العهد العمري المجيد:

ذلك أن يهودياً رفع إلى عمر بن الخطاب دعوى ضد علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فلما حضر علي قال له عمر: اجلس يا أبا الحسن. لكن عمر بعد نطقه بهذه الكلمة رأى الغضب والاشمئزاز في وجه علي.

وبعد الانتهاء من الخصومة وانفضاض مجلسهما قال عمر لعلي: أكرهت أن يخاصمك رجل يهودي؟

قال علي: لا يا أمير المؤمنين، ولكن كرهت تفضيلك لي بأن كنيتني في مجلس خصومة.

وقصة أخرى:

هي أن ملك الروم المعاصر لعمر: أرسل رسولاً إلى عمر بن الخطاب لينظر أحواله ويشاهد أفعاله. فلما دخل المدينة سأل أهلها أين ملككم؟ فقالوا: لنا أمير وليس لنا ملك، وقد خرج إلى ظاهر المدينة فاطلبه تجده.

فخرج رسول ملك الروم إلى خارج المدينة فرآه نائماً على الأرض وقد توسد يده. فوقعت في قلبه هيبة من هذا الرجل العظيم المتواضع وقال: رجل تهابه الملوك، لا يقر لهم قرار، هيبة وخوفاً منه وتكون هذه حاله.. إن هذا لعجب.

الإخلاص لله فوز

نعيش أيامنا هذه في خضم حياة عابسة.. وفي خلاف شديد بين دعوات صاخبة.. لمذاهب متباينة.. وأهواء مختلفة.. منها الهدام للأخلاق.. ومنها الماحي للفضائل.. ومنها السياسي وغير السياسي، ودعاتها مختلفون متباينون.. منهم من يدعي الكمال، ومنهم من يدعي أنه على الحق.. ولكن الكل بعيد عن الكمال.. بعيد عن الحق..

وبين هذه الأصوات المختلطة المزعجة الصاخبة تقف دعوة الله ساخرة من كل داعية مهما كان صوته شديداً.. ومهما كان جنده قوياً.. ومهما كان ناصره عنيداً.. وأهل هذه الدعوى غافلون.. ومنهم اليائسون.. ومنهم العاجزون لأنهم بحقيقتها جاهلون.. ولو علموا لأخلصوا.. ومتى أخلصوا لله فازوا كما فاز الماضون ولنجحوا كما نجح السابقون الأولون.. وكما فاز بها المخلصون..

أمم العالم كلها تكالبت ضد الإسلام على اختلاف مللها وتباين نحلها.. وكلها ترى في الإسلام خطراً عليها.. فهي تكيد له، وتحيك مؤامراتها ضده..

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله ألا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (سورة التوبة/ ٣٢).

إخوتي وأخواتي:

في العرب ظهر الإسلام.. وبالإسلام أعز الله العرب.. وبالإسلام تحقق المسجد للعرب.. وكانت دولة العرب، وكان تاريخ العرب.. وكانت حضارة العرب وثقافتهم.. ولا شك أن الله أعز الإسلام بالعرب.. فقد كانوا جند الإسلام.

وجدير بنا بعد هذا كله أن نعتز بالإسلام.. وأن نفخر بنبي الإسلام.. وأن نحقق ما تمناه لنا أصحاب هذا النبي عليه الصلاة والسلام بأنه: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها».

وقد صلح سلف هذه الأمة بتمسكهم بكتاب الله وسنّة نبيه.. فلم يضلوا وحققوا ما قاله لهم عليه أفضل الصلاة والتسليم: «تركت فيكم أمرين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنّتي».

واجتنبوا ما حذرهم منه هذا النبي الكريم حين قال لهم: - «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

وكان حب الله.. وحب رسوله أسمى وأعلى وأجل من كل محبة.. حين ظهرت آثار هذا الحب في حياتهم وعلى أعمالهم ففعلوا ما يرضي به المحبوب واجتنبوا ما يسخطه.. وكانوا عند حدود قول الله عزّ وجلّ: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ (سورة آل عمران/ ٣١).

وأفلحوا بهذا الحب وهذه الطاعة.. ووفى الله عزّ وجلّ وعده لهم فعاشوا حياة رضية يفيض عليها الأمن والسلام.. ونفساً صافية البشائر.. طيبة الآمال لا يمسها حزن.. ولا يقلقها خوف.. كما أراد الله لهم: ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (سورة البقرة/ ٣٨).. واليوم أيها الأخوة ونحن في آخر العشر الأواخر من رمضان وستنتهي الدورة الدراسية السنوية في مدرسة رمضان فالفوز لمن نجح في الامتحان.. والهناء والتهنئة

لمن نال شهادة النجاح.. وكلنا نعرف أن المتفوق محبوب..

فيا فوز، ويا سعادة، ويا بشرى لمن أحبه الله..

أقول يا فوز من أحبه الله..

لأنه شتان بين حبنا لله.. وبين حب الله لنا.. كلنا نحب الله، فهل صدقنا بهذا الحب؟

وهل حققنا معنى الآية الكريمة: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني؟﴾ لا ندري.. وقد ندري.. وكل منا عن نفسه يدري.. (سورة البقرة/ ٣١).

إن حب الله لعبده فوق كل حب.. ينال العبد بهذا الحب سعادته في الدنيا بالفلاح.. وسعادته في الآخرة بالنجاح..

القتال دفاع ورد للأذى

الدعوة الإسلامية قامت على الإقناع، ولم تقم على الإكراه كما يزعم المبشرون والجهلة من أبناء المسلمين، حيث قالوا: إن الدين ما قام إلا بالسيف.

الإسلام يجنح إلى السلم فلا يبدأ بعدوان، ويأمر المسلمين بـ«ألا تعتدوا» يحارب الإكراه في العقائد بـ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ (سورة البقرة/ ٢٥٦).

أما الحروب التي خاضها المسلمون فقد كانت لصيانة أمنهم، والدفاع عن أنفسهم وعقيدتهم..

الإسلام جدال بالتي هي أحسن قبل أن يشرع القتال دفاعاً عن الدعوة..

الإسلام صبر ومصابرة ودعوة إلى الله بأحسن الحديث ومبدأ كريم ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة ﴾ (سورة المؤمنون/ ٥٦).

عاش رسول الله ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الخير.. بالكلمة الطيبة.. ويبصر الناس بالفضيلة.. ويلقي هو وأتباعه من عنت الأعداء وضروب الإيذاء ما جعل المسلمين يفرون بعقائدهم مهاجرين إلى الحبشة مرتين.. وكلما استشرى الخصوم في الشر كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتلقى من ربه ما يثبت به فؤاده من آيات كلها تفيد العفو والمعروف

والأعراض عن الجاهلين.. وكانت الدعوة تنفذ من وراء حجب الإغراء والإيذاء والشر والتعذيب.. وتقتحم أقفال القلوب تاركة وراءها جبروت الأقوياء، مسارعة إلى تكثير هؤلاء الفقراء والضعفاء.
ثلاثة عشر عاماً والجهاد لم يشرع..

والعقول السليمة تتقبل الدعوة وتسارع إلى اعتناق العقيدة حتى صار المسلمون جماعة وكونوا مجتمعاً فوجب عليهم حينئذٍ أن يحموا دعوتهم من مد الطغيان حتى لا يقف في سبيلها أو يطفو عليها فيغرقها.. ووجب دفع الشر بالشر عند القدرة عليه متى أصبحت الكلمة الطيبة لا تنفع، والمجادلة بالتي هي أحسن لا تفيد.

ولقد نفذت جميع الوسائل السلمية أمام الطغيان كما لم تفد المجادلة بالتي هي أحسن أمام الحقد..

فشرع القتال دفاعاً عن العدوان على النفس، ودفاعاً عن الدعوة إذا وقف في سبيلها الجبروت يعذّب من آمن مختاراً ليرجع عن دينه أو يحول بين المؤمن وبين إيمانه أو يمنع الداعي عن أداء دعوته..

وجاءت الآية الكريمة تأذن بالدفاع:

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ﴾ (سورة الحج/ ٣٩).

آية انتظمت سبب القتال في دقة وتحديد..

١ ـ أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.. ﴾ (سورة الحج/ ٤٠).

٢ ـ ونتيجة القتال لمن أخلص في الدفاع عن نفسه وعن عقيدته..

﴿ ولينصرن الله من ينصره أن الله قوي عزيز ﴾ (سورة الحج/ ٤٠).

.. وذكرت الآية نوع هذا الظلم وفحشه هو إخراج المسلمين من

ديارهم بغير حق لأنهم أصحاب عقيدة قالوا: (ربنا الله) لم يذلوا إنسانيتهم لمعبود لا يسمع ولا يبصر.

ثم لنقرأ هذه الآية الكريمة لنعلم أن الإسلام دين محبة ودين سلام.. قال الله عزّ وجلّ: -

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين يقاتلونكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ (سورة الممتحنة/ ٨، ٩).

إذن.. فالحروب الإسلامية ليست حروب عدوان ولا انتقام وإنما هي مقابلة الشر بمثله، وعلاج للفساد الاجتماعي..

فالله عزّ وجلّ لم ينهنا عن الذين لم يقاتلونا في أمر الدين وشأنه ولم يخرجونا من ديارنا أن نبرهم بالخير ونقسط إليهم بالعدل، ونعاملهم بالحسنى ما داموا لم يسيئوا إلينا في الدين أو الدنيا إن الله يحب المقسطين.

إنما ينهانا عن موالاة ومحبة من قاتلونا بكل ما يستطيعون ليردونا عن ديننا أو يظلمونا فأخرجونا من ديارنا أو تعاونوا على إخراجنا.

ولعل قائلاً يقول: إذن.. فلا أوذي إلا من آذاني..!

والجـــواب:

من آذى آخاك في الدين فقد آذاك.. ومن حارب مسلماً أياً كان جنسه أو جنسيته فهو حرب لك..

فالمؤمنون أخوة في كل مكان.. والمسلمون أمة واحدة كما قال الله عزّ وجل: -

﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (سورة الأنبياء/ ٩٢).

والمسلمون جسد واحد فالاعتداء على عضو منه اعتداء على الجسد كله..

﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (سورة الممتحنة/٥).

أهمية المسجد في الإسلام

كنت في خلال الأسبوع الثاني من شهر يناير في ماليزيا، لحضور مؤتمر إسلامي انعقد هناك للدعوة الإسلامية والدعاة. . وحضر هذا المؤتمر كثيرون من دول الشرق الأقصى، ولا سيما من الدول التي تعيش فيها أقليات مسلمة.

ومن المواضيع التي بحث فيها المؤتمر هذا موضوع المسجد وأهميته في الإسلام والمسجد أول بيت شيد في الإسلام.

فأول عمل قام به النبي ﷺ بعد هجرته بناء المسجد. أمر ببنائه وشارك عاملاً في بنائه.

وكان هذا المسجد للمسلم حياته كلها، منه مغداة، وإليه مراحه، ومنه مبدأه، وإليه ينتهي. وهو مدرسته التي طلب فيها العلم الذي أمر بطلبه من المهد إلى اللحد.

وفيه يؤدي عبادة ربه لا تلهيه عنها تجارة ولا بيع.

وفيه يلتقي بذوي محبته الذين أحبهم في الله.

كان المسجد طوال القرون ملتقى أولى الأحلام والنهي وهم أولو العقول الذين عايشوا تجارب الحياة يزداد العليم بلقائهم معرفة وعلماً، ويربح من جالسهم أو استمع إليهم فقهاً ورشداً. ويستفيد منهم نصحاً.

وكان إمام المسجد أعلم الناس بشؤون دينهم ودنياهم، منه يتعلمون

فقه عبادتهم وفقه معاملاتهم.. والإسلام للمسلم عبادة وحياة.. والدين المعاملة كما يفهم ذلك كل مسلم.

كان إمام المسجد الراشد المرشد، الجماعة بإرشاده يهتدون، وبنصائحه ينتصحون. منه يتعلمون الحلال والحرام.. ومنه يعرفون البر والإثم، فيعملون البر ويبتعدون عن الإثم. وكانت كلمة الإمام قولاً فصلاً لأن الناس عرفوا إمامهم عالماً فقيهاً صالحاً راشداً مصلحاً مرشداً.

ومنذ أغلق مدخل المسجد في وجه المعلم والمتعلم. ومنذ سدت أبوابه في وجه الناصح والمنتصح.. ومنذ اختير لوظيفة المسجد الجهلة وأشباه المتعلمين، انحلت الرابطة بين المسلم وأخيه، وتفككت الوشائج بين أهل المحلة الواحدة والقرية الواحدة.

إن الصلاة عمود الدين، وهي الركن الأول من أركان الإسلام، وهل يقوم بيت بلا عمود؟ الجواب: لا..

والرسول عليه الصلاة والسلام أمر المسلمين بأن يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله وأعلمهم بسنّة رسول الله. وفي حديث رواه الدارقطني والبيهقي: (اجعلوا أئمتكم خياركم، فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم).

وحذر صلوات الله وسلامه عليه أن يؤم الإنسانُ قوماً يكرهون إمامته. وأنذره بلعنة الله، وبطرده من رحمة الله.

أقول كلمتي هذه أرجو من المسؤولين عن المساجد أن يختاروا الأئمة الصالحين المصلحين، الراشدين المرشدين، الذين يعرفون كيف يعلمون وكيف ينصحون وكيف يرشدون.. فالناس في حاجة إلى من يصلح وإلى من يرشد. إلى من يصلح وهو صالح، وإلى من يرشد وهو رشيد..

إن الناس يستمعون القول ويقتدون بقائله.. والويل كل الويل لمريض يداوي الناس وهو عليل.

يـا أيهـا الـرجـل المعلم غيـره هــلا لنفسـك كــان ذا التعليم
تصف الــدواء لــذي الـسقــام وذي الضنى كيما يصح به وأنت سقيم
أبـدأ بنفسك فـانهها عن غيهـا فـإذا انتهت عنـه فــأنت حكيم
لا تنــه عن خلق وتــأتي مثله عــارٍ عليـك إذا فعلت عــظيم

الفتوى في الكويت

الفتوى إشارة وتعليم
والمستفتى مستشير ومتعلم
والمفتي مستشار مشير ومعلم
والإسلام قال لنا نبيه محمد ﷺ:

«المستشار مؤتمن»[1].

والفتوى لها أهميتها عند الناس ومسؤوليتها ضخمة، ولهذا حذر منها رسول الله ﷺ، وأخبرنا أن أعظم الناس جرأة على الله من أفتى بغير علم. إذ لا بدّ أن يكون المفتي ذا دراية، فاهماً للسؤال عالماً بالفتوى، واسع الصدر، لا يضيق صدره بجهل السائل ولا بإلحاحه ولا بتفاهته.. فالسائل جاهل يريد أن يفهم، فلجأ لمن يعلم، ليسأل عما لا يعلم..

والفتوى في الإسلام قديمة قدم الإسلام، وصحابة النبي ﷺ كانوا يسألونه ليتعلموا منه ويعملوا، امتثالاً لأمره عليه الصلاة والسلام «فليبلغ الشاهد منكم الغائب»[2] ويعني بالغائب من لم يحضر المجلس، أو من لم يولد بعد. أو من سيأتي في الأجيال القادمة والقرون المستقبلة.

ثم بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلا، كان الصحابة رضي الله

(١) حديث.
(٢) حديث.

عنهم لا يأنف أن يسأل بعضهم بعضاً، ولا أن يتعلم بعضهم من بعض. ومن الكلام المأثور في هذا المجال كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجلس القضاء: لولا علي لهلك عمر.. وقوله في المسجد النبوي الشريف: حتى النساء أفقه منك يا عمر.

وجاء عهد التابعين وتابعيهم بإحسان، والناس على ذلك يحسن بعضهم الظن ببعض، ولا يأبى أن يتعلم البعض من البعض، مهما كانت الفروق في السن وفي المكانة. فقد يجد العلامة حكماً عند محترف أو ـ عند صغير فيأتيه يسأله عنه..

حتى بدأت العصور المظلمة التي اشتغل الناس فيها بدنياهم عن التعلم، وأصبح المال في نظر المجتمع هو الحياة، وشاع الجهل في الناس، وكان لا بدّ للمسلم من رجل عارف يسأله عن دينه، حتى لا يقع في الخطأ، وكل شأن المسلم دين، والإسلام لا يفارق المسلم، فهو معه أينما كان حتى في فراشه مع أهله.

والمسلم لا يخجل من السؤال عن أمور دينه، يسأل من يثق بمعرفته وتقواه، ولا بدّ وأن يقترنا: المعرفة والتقوى، والتقوى خوف من الله تعالى وحسن خلق.

ولكي لا يختلط الأمر على الناس، ولكي لا يقعوا في متاهات الجهل، لجأ بعض المسؤولين من المسلمين في كثير من الأقطار إلى تعيين مفتين، يسألهم الناس عن أمور دينهم.

والكويت بلد مسلم، حافظ أهله القليلون على شعائر الإسلام فيه، فأقاموا أركانه وأدوا واجباته.. وكان أكثر سكانه يعملون في البحر ملاحين أو غوّاصين أو صيّادين أو مسافرين، وكان فيهم التاجر والعامل والصانع.

والإسلام دائماً بخير، فلم يخل هذا البلد الصغير بحجمه، القليل بسكانه، في عصر من عصور الكويت منذ نشأتها، من رجل يسمى الشيخ أو

(المطوع) يستفتيه الجاهل ليعلم، أو يسأله ليعرف.

وقد يكون هذا المسؤول أمام مسجد قرأ ففقه، أو يكون قد تعلم فعلم، لأن المهم في الأمر أن يكون جوابه صحيحاً. . وقد لا يأنف بعضهم أن يقول للسائل: (لا أدري أذهب إلى فلان فأسأله فإنه أعلم مني أو إنه أدرى ـ بسؤالك مني).

والكويت ـ هذا البلد الطيب ـ عرف كثيراً من رجال المعرفة، ممن كانوا عند حسن الظن بهم ورعاً وصدقاً وتقوى، وكانوا كما قال الشاعر.

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن روى

. . ولم يكن الافتاء في الكويت منذ كانت ذا صفة رسمية، أي بتعيين شخص معين للفتوى من ولي الأمر. وإنما كان الأمر فيه كما ذكرنا، حتى عهد المرحوم الشيخ سالم المبارك الصبّاح ـ الحاكم التاسع ـ ١٩١٦ ـ ١٩٢٠. الذي رأى أن يسند الفتوى إلى الشيخ عبد الله بن خالد العدساني، لكن هذا التعيين لم يطل عمره إلا لسنة وأشهر، فقد توفي قاضي الكويت يومئذٍ الشيخ عبد العزيز العدساني، وقلّد عبد الله بن خالد بعد وفاته القضاء، ومع وجود المفتي المعين من قبل ولي الأمر لم يترك الناس عادتهم. . فالكل يسأل من يثق بهم من العلماء، والكل يلجأ إلى من يحسن به الظن من العارفين.

والفتوى ليست قضاء، بل هي استهداء. استرشاد. تعلم. .

وكانت الكويت يومئذٍ مضيئة بمصابيح علم ومعرفة وتقوى وورع ومكارم أخلاق.

منهم الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان، والشيخ يوسف بن حمود، والشيخ عبد اللطيف العدساني، والشيخ جمعة بن جودر، وغيرهم ممن علموا وعملوا. .

وكانت مجالسهم مجالس وعظ وإرشاد، وسؤال وجواب، أذكر منهم المرحوم استاذي الشيخ عبد الله بن خلف، الذي كان يلتمس أسهل الحلول للسائل، دون الخروج من نطاق الشريعة محتجاً بأن: (العامي لا مذهب له) وامتثالاً لأمر الرسول ﷺ: «يسروا ولا تعسروا).

وللشيخ عبد الله الخلف مجلسان: الأول بعد شروق الشمس لقراءة التفسير، والثاني بعد صلاة المغرب لقراءة شيء من الحديث، والمجلسان حافلان بالناس المستمعين من كل أنحاء مدينة الكويت.

ورغم كثرة من يحسن الإجابة يومئذٍ، إلا أن الناس قد يجمعون على توجيه أسئلتهم لمن يفضلونه على غيره، أو يرتاحون لإجابه، وإجماع الناس على تفضيله شهادة امتياز له، أو وسام تقدير وتكريم..

وبدأت المنية تخطف الرجال العارفين (وكل حي إلى فناء) ومن مات منهم انقطع أثره، ولم يجد المجتمع من يليق بسد فراغه.

حتى كانت سنة ١٣٥٣ هـ، حيث أجمع الناس على الرضا بالمرحوم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي مسؤولاً ومجيباً عن وعلى أسئلتهم الدينية والاجتماعية في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم، فكان رحمه الله نعم المجيب، يلتمس الأيسر والأسهل، ويقول كما قال سلفه: لا مذهب للعامي.

ولعل من الإنصاف أن نذكر أن الشيخ يوسف بن عيسى أول من أفتى في هذا البلد باعتبار طلاق الثلاث في مجلس واحد طلقة واحدة.

وكان رحمه الله يجلس صباح كل يوم لقراءة شيء من تفسير القرآن، وكلما ختم تفسيراً من التفاسير بدأ بغيره، وعمر هذا المجلس بعد وفاة المرحوم الشيخ عبد الله بن خلف سنة ١٣٤٩ هـ.

وانتقل المرحوم الشيخ يوسف إلى جوار ربه سنة ١٩٦٨ م، ولم يخلفه في مكانه من يرضاه الناس للفتوى.

وأدركت وزارة الأوقاف ذلك فأوحت إلى وكيلها يومئذٍ الأستاذ عبد الرحمن المجحم بتعيين لجنة للفتوى من ثلاثة أعضاء مؤهلين للفتوى، فعينت أول لجنة مكوّنة من اثنين من موظفيها، والثالث كويتي.

ثم بعد أن انتهى التعاقد مع الموظفين شكلت لجنة ثانية، مكوّنة من أربعة أحدهم ذلك الكويتي، ومعه ثلاثة من الموظفين.

وفي سنة ١٩٧٦ م عينت لجنة الفتوى بقرار وزاري، مكوّنة من خمسة أعضاء، أحدهم ذلك الكويتي.

وما زالت هذه اللجنة الخماسية تعمل بإخلاص بعقد جلستها الرسمية كل أسبوع، لتجيب على أسئلة السائلين، رسميين وشعبيين، تصدر فتاواها وهي مطمئنة من فهم السؤال وصحة الإجابة.

الذكر نعمة والحمد لله

الحمد لله على نعمه، ونسأله المزيد من فضله وكرمه.. وأن يوفقنا إلى ما يصلح حالنا، ويحفظ علينا مستقبلنا..

وبعد،

إننا أيها الأخوة نعيش في نعم الله الكثيرة علينا، فيجب علينا أن نحفظ هذه النعم بشكر المنعم.

نعيش هذه الأيام في ذكرى عزيزة علينا.. هي الذكرى الثامنة عشرة لعيدنا الوطني.

والكويت منذ كانت، وهي الآن في القرن الثالث من عمرها، ما ذلت يوماً لأحد، قاومت المعتدين، وجاهدت الظالمين، واستشهد في سبيل بقائها الكثير من الآباء والأجداد، الذين صبروا وصابروا واعتمدوا على الله، وتوكلوا عليه.. صمدوا أمام المحن، وتواصوا بالصبر أمام المصائب، وثبتوا أمام النوائب، وتواصوا بالحق في ساعات اليأس. وتمسكوا بقول ربهم عزّ وجلّ: - ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ (سورة الأنفال/ ٤٦). وأخصلوا لله في الدفاع عن أرضهم، والطاعة لولي أمرهم، فكان الله مع الصابرين، حيث أيدهم بنصره، ومدهم بعونه، ورعاهم برعايته. ومن كان مع الله فلا يغلبه غالب.

والأمة الصالحة هي التي يعمل عقلاؤها على جمع شتاتها فينظرون

نظرتهم إلى البعيد البعيد: إلى الماضي يأخذون منه درساً وعبرة، ليجعلوا منه للمستقبل قدوة وأسوة.. وينظرون إلى غيرهم من الشعوب ليعملوا بما صلحت به تلك الشعوب، ويبتعدوا عن ما فسدت به تلك الشعوب.

والبطر أيها الأخوة ـ وأعيذكم بالله من البطر ـ خلق ذميم، حذرنا الله عزّ وجلّ منه بقوله: ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين، وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ (سورة القصص/ ٥٨ ـ ٢٩).

والبطر يؤدي دائماً ألى زوال النعم والوقوع في ساحات الندم.

والبطر هو الذي يطغى بالنعمة تأتيه، فلا يشكرها، ثم يصرفها إلى غير وجهها، وإذا قيل له: ﴿ اتق الله أخذته العزة بالإثم ﴾ (سورة البقرة/ ٢٠٦).

ونسمع كثيراً من الناس يقولون على الله غير الحق، يكذبون ويفترون ـ ويتفوهون بكلمات الشر، يلقيها الشيطان على ألسنتهم.

سمعناهم يقولون: هلك الناس فلا صلاح يرجى، ونَعِمَ الناس فلا جهاد يجدى، ويَئِسَ الناس فلا سعي ينفع، ولكن قول الله أبلغ وكلامه أصدق وهو أصدق القائلين. إن الله يقول: ﴿ لا تيأسوا من روح الله.. ﴾ (سورة يوسف/ ٨٧).

ويقول: ـ ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله.. ﴾ (سورة الزمر/ ٥٣).

والأثر الصاديق يقول: (الأمم تمرض ولا تموت).

ويقول: ـ (للباطل جولة ولا بدّ للحق أن ينتصر).

أيها الأخوة:

الأمم تحتضر ولا تموت.. والخير أقوى من الشر، والأمل أقوى من اليأس، والفضيلة لا بدّ وأن تفوز على الرذيلة.

والكويت دولة لها مكانتها المرموقة بين الدول، ولها صوتها المسموع ولها سمعتها النيرة.

والكويت وما زالت عزيزة عند أبنائها، معينة لجيرانها وإخوانها وأصدقائها.

وما زلنا ولن نزال نسمع ذكرها بذكر أبنائها بين القاصي والداني بين الغريب والقريب، بين الجار والبعيد، بين العربي وغير العربي.

فلنحمد الله، فإن هذا الذكر نعمه.. والذكر حياة، والذكر سعادة والذكر عزّ وشرف..

وفي كل يوم نسمع الأخبار: رسمية وغير رسمية، ونقرأ في الصحف أن الكويت أمدت يدها بالمعونة لأمة اجتاحها زلزال أو فيضان أو وباء. أو أن أحد الأفراد الكويتيين بنى مسجداً للعبادة في بلد شقيق، أو أشاد معهداً للعلم، أو أعان أو ساعد، ونسمع في الأخبار ما تتبرع به الحكومة من خير كثير للدول الشقيقة والصديقة، وكل هذا جميل.. وكله حسن.. وكله ذكر.. ولكنه في طاعة الله قليل.

أيها الأخوة:

إن الله أمرنا أن نشكره على نعمه، ونهانا أن نجعل هذه النعم وسيلة إلى معصيته أو كفران فضله.

إن الله أمرنا أن نكون أمة واحدة في ما بيننا، وصفاً واحداً ضد أعدائنا، ونهانا أن نتنازع، حتى لا نفشل أمام خصومنا.

إن الله جلّ شأنه يقول: ـ

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين، ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله، والله بما يعملون محيط ﴾ (سورة الأنفال/ ٤٥ ـ ٤٧).

غزوة الفتح الأعظم (أو فتح مكة)

نحن اليوم في العشرين من شهر رمضان المبارك ولنا فيه ذكرى. . تلك هي ذكرى الفتح الذي منّ الله به على المسلمين بإنزال سورة كاملة في كتابه العزيز هي سورة (الفتح).

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتمّ نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً، وينصرك الله نصر اً عزيزاً ﴾.

وفتح مكة معناها انتهاء دولة الشرك في جزيرة العرب. كان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة النبوية، وفي شهر رمضان. وكان رسول الله ﷺ يعلم أنه لا تنقاد العرب لدعوته حتى تذل قريش ولا تفتح البلاد حتى تفتح مكة. . وقد هيأ الله أسباب ذلك وأزال موانعه. . واستنفر من كان حول المدينة من الأعراب (ومعنى استنفر: أي أمر بالنفير وهو الاستعداد للحرب). وقال عليه الصلاة والسلام: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة. وكانت عدة الجيش عشرة آلاف مجاهد. خرج بهم إلى مكة بعد أن طوى عليه الصلاة والسلام الأخبار، حتى لا يشيع الأمر فتعلم قريش فتستعد للحرب. . وهو لا يريد حرباً بمكة بل يريد انقياد أهلها مع عدم المساس بحرمتها.

ودعا ربه جلّ جلاله قائلاً: (اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها). العيون: الجواسيس.

وخرج من المدينة بالجيش إلى مكة خلال الأسبوع الأول من شهر رمضان ووصلها صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من شهر رمضان.

وفي يوم ٢١ دخل مكة ودخل مبنى الكعبة وكبر في نواحيها الأربع، ثم طاف بالبيت ثم خرج إلى مقام إبراهيم وصلى فيه.. وشرب من ماء زمزم وجلس عند الكعبة والناس حوله والعيون شاخصة تنظر إليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش الذين آذوه وعذبوا أصحابه وأخرجوهم من بلادهم وقاتلوهم واغتصبوا أموالهم.

لكن ماذا ينتظرون ممن أنزل الله فيه قوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (سورة القلم/ ٤).. ماذا ينتظر الناس ممن جعله الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر..

ماذا ينتظر الناس ممن كان رضاه وغضبه لله لا لهوى في النفس ولا لحب انتقام..

قال عليه الصلاة والسلام: يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً.. أخ كريم، وابن أخ كريم.. قال عليه الصلاة والسلام: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وقد من الله على نبيه ﷺ وعلى أصحابه بهذه النعمة.. نعمة فتح مكة وانتهاء دولة الشرك والكفر في جزيرة العرب. فقال: ﴿وهو الذي كف أيدهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ (سورة الفتح/ ٢٤).

هذا وبعد أن تم الفتح ومكن الله لنبيه خطب في الناس خطبة بيّن فيها كثيراً من الأحكام الإسلامية ومنها قوله ﷺ: يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء: الناس من آدم وآدم من تراب وتلا قول الله عزّ وجلّ:

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل

لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير ﴾ (سورة الحجرات/ ١٣).

بعد أن أتم خطبته التي بيّن فيها كثيراً من الأحكام الإسلامية شرع الناس يبايعونه على الإسلام.

وجاء رجل يرتعد خوفاً فقال عليه الصلاة والسلام هون عليك فإني لست بملك، **إخوتي وأخواتي**.

للإسلام ذكريات هي كالنسائم الرخية تهب في النهار القائظ. لها روعة كروعة الإشراق بعد الظلام.. لها هدى يفيض على القلوب ولها ضياء يهتدي به من ظل ولها جرس على الأسماع يطيب له الإنصات ويقع حديثها في القلوب قبل أن يقع على الآذان. وسر ذلك هو دين الإسلام.. الدين الذي تطيب به الحياة والذي يقول لأمته: ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (سورة النحل/ ٩٧).

ودين يضمن للعامل به مستقبل ما بعد الحياة بقوله تعالى: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ﴾ (سورة العنكبوت/ ٩).

ونبي: هو الإنسان الكامل الذي جاء بهذا الدين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويخرج بني الإنسان من حيوانية إلى بشرية.

وأختم كلمتي بقول الله تعالى من سورة الجمعة: ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾.

نور وكتاب مبين

نعيش هذه الأيام ذكرى عزيزة على كل مسلم، هي ذكرى العشر الأوائل من ربيع الأول. . ذكرى مولد البشير النذير، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة.

سمعنا وما زلنا نسمع، وسنسمع في كل يوم من أيام هذه الذكرى ماضيها وحاضرها ومستقبلها، حكايات المولد ومعجزاته وصفات المولود عليه الصلاة والسلام، وكل ذلك يقوله القائلون، والقول إذا لم يؤيده العمل فلا خير فيه.

على من يقول أن يفعل، وعلى من ينصح أن ينتصح، قبل أن ينصح، ليخرج كلامه من قلبه إخلاص، والكلام إذا خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان، وحتى يكون الناصح قدوة لغيره، ولا يكون ممن ذمهم الله في قوله الكريم:

﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مَقْتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ (سورة الصف/ ٢).

والشاعر العربي يقول:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

. . ومحمد رسول الله ﷺ الذي نعيش ذكراه هذه الأيام هو/ محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم، الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

عرفنا عظمته من سيرته المطهرة، من خبره الثابت، من أخلاقه المطهرة، من آثاره الخالدة، من نفسيته الكبيرة. .

والناس في كل مكان وفي كل زمان يجتهدون ليتخذوا لهم من رجالهم مثلاً أعلى، وقدوة صالحة يترسمون طريقه في حياتهم.

ومحمد ﷺ هو المثل الأعلى، ضربه الله للإنسانية، فهو على خلق عظيم، كما وصفه ربه، والأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وهو النعمة المهداة، والرحمة المسداة. . وهو الهداية للضال في هدايته. وهو القدوة للمتعبد في عبادته. وهو المثل الأعلى للرجل في بيته، مع زوجته إن كان زوجاً، ومع أولاده إن كان أباً، ومع أبويه إن كان ولداً.

وهو المثل الصابر للعامل في عمله. . وللأمين المؤتمن في معاملته.

وهو المقتدي به للحاكم في حكمه. . وللزعيم في زعامته. . وللقاضي في قضائه وعدله.

وهو المثل الأعلى في الشكر، وفي الصبر، وفي الإخلاص، وفي الصدق، وفي العفو، وفي التواضع.

وأعظم نعم الله علينا نحن المسلمين نعمة الإسلام، التي بعث الله بها محمداً ﷺ رسولاً، فهدانا بها من الضلال، وعلمنا بها من الجهل، وأضاء بها بصائرنا من الغواية، وجمعنا بها بعد الفرقة. ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من نار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (سورة آل عمران/ ١٠٣).

نعم.. إنها النعمة الكبرى.. إنها رسالة محمد ﷺ، الذي جاءنا بالحق بشيراً ونذيراً، كما قال الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز:

﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ﴾ (سورة البقرة/ ١١٩).

﴿ وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ (سورة الفرقان/ ٥٦).

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ (سورة سبأ/ ٢٨).

﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾ (سورة الرعد/ ٧).

﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ (سورة الأحزاب/ ٤٥، ٤٦).

وقرأت هذه الآية من سورة المائدة:

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير. قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه. ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (سورة المائدة/ ١٥، ١٦).

إذن فمحمد ﷺ هو النور، ومعه الكتاب المبين الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه.

ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه هدى للمتقين، الذي أنزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ تبياناً لكل شيء، هدى ورحمة وبشرى للمسلمين، يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً، أنزله الله قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ماكثين فيه أبداً.

إن الله عزّ وجلّ وصف هذا القرآن بأنه كتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام.

وما أحسن ما كتبه المرحوم العلامة الشهيد السيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) في تفسير هذه الآية. قال رحمه الله:

«إنه السلام الذي يسكبه هذا الدين في الحياة كلها».

سلام الفرد. سلام الجماعة. سلام العالم. سلام الضمير.. سلام العقل. سلام الجوارح. سلام البيت والأسرة. سلام المجتمع والأمة. سلام البشر والإنسانية. السلام مع الحياة.. السلام مع الكون.. السلام مع الله رب الكون والحياة.. السلام الذي لا تجده البشرية ولن تجده يوماً إلا في هذا الدين. وإلا في منهجه ونظامه وشريعته.. وإلا في مجتمعه الذي يقوم على عقيدته وشريعته..

وحقاً إن الله يهدي بهذا الدين الذي رضيه.. من يتبع رضوان الله سبل السلام كلها.. في هذه الجوانب جميعها، ولا يدرك عمق هذه الحقيقة كما يدركها من ذاق سبل الحروب في الجاهلية القديمة أو الحديثة.. ولا يدرك عمق هذه الحقيقة كما يدركها من ذاق حروب القلق الناشىء من عقائد الجاهلية في أعماق الضمير.. وحروب القلق الناشئة من شرائع الجاهلية وأنظمتها التي تتخبط في أوضاع الحياة..

ونحن ما أحوجنا الآن إلى إدراك هذه الحقيقة.. ما أحوجنا إليها، والجاهلية من حولنا تذيقنا حروباً من الويلات..

حروباً في الضمائر، حروباً في العقائد، حروباً في التشريعات حروباً في التعليم، حروباً في الأخلاق، حروب تتبعها حروب، وما أكثرها من حروب.

وما أحوجنا نحن الذين عاش آباؤنا وأجدادنا فترة طويلة من التاريخ في هذا السلام. ثم خرجنا من السلام إلى حرب طويلة مشبوبة، حطمت أرواحنا وقلوبنا، وحطمت مجتمعاتنا وأخلاقنا، وجعلتنا نعاني من ويلات الجاهلية فرقة وذلة وضلالاً وجهلاً..

أيها الأخوة:

إنها والله خسارة أن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

إنها خسارة أن نتبع الضلالة دون الهدى.

علماً بأن كتاب الله بين أيدينا يخاطبنا بلسان عربي مبين، يدعونا للتي هي أحسن، يقول لنا: هلموا إليّ، واتبعوا هداي أهدكم سبل السلام وأخرجكم من الظلمات إلى النور.

أخرجكم من ظلمات الجاهلية، ومن ظلمات الخرافات.. ومن ظلمات الشهوات والحيرة والغواية.. ومن ظلمات الاضطراب والظلم، أخرجكم من كل هذه الظلمات إلى النور المشرق، الذي يمحو كل ظلام، فيشرق أمامه كل شيء، فينكشف للمبصر كل شيء.. ويستقيم العقل ويستنير، فلا حيرة ولا شرود..

إنه لا سلام إلا أن نعود إلى الله، وأن نعمل بكتاب الله وحينئذ لا خوف علينا.. وحينئذ نكون مؤمنين.. ومتى كنا مؤمنين كان الله معنا..

وإن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون.. وإن الله مع المؤمنين.. ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً..

ذكرى الهجرة
مطلع القرن الخامس عشر

أذكر أني كلمتكم من خلف هذه الشاشة في العام الماضي في يوم الخميس ٣ محرم ١٤٠٠ هـ الموافق ٧٩/١١/٢٢ م عن الهجرة النبوية وأهميتها في التاريخ الإسلامي، وأن ـ الله تعالى علم أن هجرة النبي محمد ﷺ من مكة إلى المدينة ستكون فتحاً مبيناً ونصراً مؤزراً، وأنزل الله في ذلك آية نتلوها في سورة التوبة، ونسمعها من كل من يتلوها.

وفي مطلع كل عام هجري نبدأ حفلات الذكرى بتلاوتها هي قوله تعالى: ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴾ (سورة التوبة/ ٤).

أيها الأخوة: بتلك الهجرة التي أخرج فيها رسول الله ﷺ من مكة مبعداً من وطنه جعل الله كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا.

وأذكر أني ذكرتكم في كلمتي تلك ببطولة الصابرين، وأن الله عزّ وجلّ مع الحق لأنه قال جلّ جلاله وقوله الحق المبين: ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ (سورة الأنبياء/ ١٨).

وقوله جلّ شأنه: ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ (سورة الإسراء/ ٨١).

وماذا فعل أولئك الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق؟.

إنهم لم يفعلوا شيئاً إلا أنهم قالوا ربنا الله.

عذبوا وأوذوا وخرج كثير منهم من ديارهم فراراً بدينهم، وكاد المشركون لرسول الله ﷺ: ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ (سورة الأنفال/ ٣٠).

وها نحن أيها الأخوة: بعد يومين نستقبل عاماً جديداً هو أول قرن جديد. إنه عام ١٤٠١ للهجرة مبدأ أو مطلع القرن الخامس عشر الهجري. معنى ذلك أننا عشنا بعد هجرة المصطفى ١٤٠٠ سنة وسنة، والهجرة جاءت بعد بعثة المصطفى بثلاثة عشرة سنة.

أيها الأخوة والأخوات:

وفي هذه القرون وفي هذه السنين مرت أحداث وأحداث سجل أكثرها التاريخ، فيها ذكرى لمن تذكر، وعبرة لمن اعتبر، فيها نصر مبين مشرف، وفيها هزائم مخزية. والنصر لا يأتي إلا بعد تعاون وتآلف. والهزيمة لا تأتي إلا بعد تنازع وتخالف، وللنصر لذة حتى لمن سمع أخباره فكيف بمن رآه وحضره وسر به ونعم بسعادته، والخذلان بؤس ونكد وكدر. والله جلّ شأنه حذرنا من أسباب الخذلان فقال: ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ (سورة الأنفال/ ٤٦) وأمرنا بالعدة للنصر وأهمها قوله تعالى:

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (سورة المائدة/ ٢) وذكرنا بأن الألفة خير لمن تمسك بها:

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ (سورة آل عمران/ ١٠٣).

وأخبرنا جلّ شأنه بأن الإنسان خاسر ما لم يتواصَ ويتعاون ﴿ والعصر

إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ سورة العصر كاملة).

والصحابة رضوان الله عليهم اعتبروا الهجرة مبدأ لنصر الإسلام فاتخذوا منها مبدأ لتاريخه.

هجرة المصطفى ﷺ لم تكن مجرد انتقال من مكان إلى مكان. إلا أنها صورة كريمة مجسمة رسمها تاريخ الإسلام لذلك الرجل العظيم الذي أخرج من بلده لا لشيء فعله إلا أنه أراد أن يجعل من الإنسان عبداً لربه لا عبداً لهواه. أراد أن يجعل من هذا المخلوق إنساناً يسمع ويبصر ويعقل، كريماً في نفسه، كريماً في حياته عزيزاً لا يذل إلا لله، حراً لا يعبد إلا الله.

بالهجرة اهتدت الإنسانية إلى ربها، فلم تخضع لغيره ولم تذل لسواه. علت على النقائض والمحقرات واتجهت إلى فضائل الأعمال ومعالي الأمور فسارت في حياتها على منهاج رشيد وأسلوب حكيم.

الهجرة بها فتحت الآذان فسمعت الحق، وفتحت البصائر فأبصرت السبيل المستقيم، وانجلت القلوب، وصقلت العقول.

وبالهجرة تحرر الإنسان من قيود التقاليد ومن ضلالات الجاهلية ومن الأوهام والخرافات، وعاش الناس في حضارة يسودها الحب والإخاء ويظللها الأمن والسلام.

هذه هي أيها الإخوة رسالة محمد ﷺ التي أوقف لها حياته، والتي تعرض من أجلها لأشد أذى يتعرض له كل داع إلى الله.

وهكذا مضى رسول الله ﷺ يبشر بدعوته وهو أقوى الدعاة، ويهدي لها وهو أرشد الهادين، وأهدى المرشدين. وما يزال محمد ﷺ فينا نذكر اسمه صباح مساء خمس مرات في اليوم، يذكره المؤذن نسمع صوته يقول: (أشهد أن محمداً رسول).

نذكره في صلاتنا وفي مجتمعاتنا ونصلي ونسلم عليه ونفتخر أننا من أمته ونسير في سبيل هدايته، فهل نحن صادقون؟

أيها الأخوة: انتهت قرون على الهجرة عددها (١٤) قرناً، وبعد غد يبدأ القرن الخامس عشر.

ولقد انتهت القرون: قرن الرسالة والذي تلاه، وانتهت بعدهما قرون. ولقي الإسلام من أعدائه في تلك القرون ما لقيه منهم في عهد إشراقه، والمسلمون عرفوا من هم الأعداء: اليهود، الملحدين، والكائدين الحاقدين، وعرفوا كيف يحيكون المكيدة بخبث. وقاوم الإسلام وظفر، وتلقى ضربات وجّهت إليه فكافح وصبر حتى انتصر، كافح بيسره، وبسهولته وبالقوة الكامنة فيه.

ولكن ماذا حل بنا اليوم حتى قست القلوب. وذلت الرقاب لقد طال الأمد، وانتشر الجهل. الجهل بأحكام الدين، الجهل بمعاني الدين، الجهل بكتاب الدين، الجهل بسنة نبيه.

نعم... جهل المسلمون أحكام دينهم وكتاب دينهم، وأعرضوا عن قول نبيهم وعن اتخاذه أسوة لهم، واستغل أعداء المسلمين هذا الجهل في المسلمين فهبوا في وجهه في كل مكان وكل زمان. وظنوا أن الإسلام قد مات، ولكن الإسلام لا يموت ولن يموت، جالدهم وهو أعزل، وانتصر عليهم بلا سلاح، لأن عنصر القوة كامن في طبيعته.

انتصر عليهم لأنهم عبيد. والإسلام حر أبي. انتصر عليهم لأنهم أذلة. والإسلام لا يرضى الذلة والعبودية إلا لله رب العالمين.

وأعداء الإسلام يحاربون الإسلام. لقد حاربوا نبيه من قبل، وحاربوا الخلفاء الراشدين. لأن الإسلام وقف لهم في الطريق يعوقهم عن الطغيان وعن التسلط وعن الاستغلال.

١ ـ قالوا: إن الإسلام دين قسوة، ونسوا أن ﴿ لا إكراه في الدين ﴾

(سورة البقرة)، ونسوا ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (سورة النحل/ ١٢٥)، وتغافلوا عن قول الله عزّ وجلّ لنبيه: ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ (سورة ق/ ٤٥).

٢ ـ أخذوا على الإسلام أنه دين قصاص، وأنه يضرب على يد كل مستكبر، ويقطع يد كل طامع، ويقمع رأس كل معاند، ويقضي على كل طاغية، ويقطع دابر كل من يسعى في الأرض فساداً، ونسوا أن هذا هو العدل، وتعاموا عن الحق وكأنهم لم يعلموا أن هذا هو السبيل الوحيد لنشر الأمن والسلام، لأن الفتنة أشد من القتل، والفساد في الأرض شر من الفتنة.

أيها الأخوة: كأني أطلت عليكم، وإن في ذكرانا للهجرة عبراً وذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين، والعبرة يتقبلها من كان له قلب. ولكني أختم كلمتي هذه معكم بتلاوة هذه الآيات الثلاث الكريمة من سورة الصف: ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين. يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (سورة الصف/ ٧، ٩).

وصدق الله العظيم وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

يوم عرفة

نستقبل بعد يومين يوم عرفة، يوم يقف الجميع متجردين من زينة الحياة الدنيا في صعيد واحد خاشعين لله ضارعين إليه، وقد تركوا ديارهم وأموالهم وأحبتهم وأهليهم، وافدين على ربهم، لا يريدون من هذا كله إلاَّ أن يتقبلهم ربهم، ويفي لهم وعده على لسان نبيه المصطفى ﷺ: - «من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

أيها المشاهدون وأنتم في أوطانكم، في بيوتكم تنعمون بالاستقرار والهناء شاركوا إخوانكم هناك بالدعاء والاستغفار، واستمعوا معي قول نبيكم ﷺ حين سئل عن صوم يوم عرفة. فقال ﷺ: (يكفر السنة الماضية والسنة الباقية).

انتهزوا أيها الأخوة هذه الفرصة فإن فضل الله كبير على عباده، ولا يتقاصر عن نيل هذا الفضل إلاَّ المحروم، ولكن من جد وجد، ومن سعى نال ومن عمل فاز: - ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ (سورة التوبة/ ١٠٥). ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون﴾ (سورة الأنبياء/ ٩٤).

أيها الأخوة المشاهدون:

إن لله نفحات، وله في يوم عرفة نفحات كبرى وقد ثبت ذلك في

السنة. أن الله عز وجل يباهي ملائكته بأهل عرفة. فيقول: انظروا إلى عبادي جاءوني شعثاً غبراً ضاحين[1]. جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي.

قال ﷺ: «فلم ير يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة»[2].

(١) حديث.

(٢) حديث.

مولد سيدنا عيسى عليه السلام

نحن الآن في اليوم السابع والعشرين من شهر ديسمبر الشهر ١٢ من السنة الشمسية وقبل يومين كان اليوم الخامس والعشرين والذي اتخذوه يوم ذكرى لميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.. ذكرى ميلاد سنة ٧٩ من القرن العشرين..

وأحببت أن أذكر طرفاً عن هذا المولد الكريم وقصَّته التي خلدها الذكر الحكيم ـ قرآننا الكريم ـ في سورتين من سوره الكريمة: سورة آل عمران، وسورة مريم.

وميلاد المسيح عيسى بن مريم، جاء على غير مألوف المواليد، من الأحياء في عالم البشر خاصة.. إنها صورة عجيبة، فريدة لا مثيل لها فيما تلد الأمهات.

جعل الله الخالق المبدع جلَّ شأنه، مريم المصطفاة المطهرة المباركة لتكون معرضاً من معارض قدرته، ومجْلَىٰ من مجالى صنعته وإبداعه فيما يصنع ويبدع، وجعلها شاهداً من شهود تلك القدرة التي أقامها فوق السنن وفوق الأسباب.

لا إله إلاَّ هو، القادر جلَّ شأنه، يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، خلق أصل الإنسان من غير ذكر وأنثى، خلق آدم من تراب، ثم قال له: كن بشراً سوياً فكان. هذا الخالق جلَّ شأنه خلق عيسى

من نفخة من روحه.. وجعله آية للناس ورحمة منه، فكان أمراً مقضياً.

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له: كن فيكون﴾ (سورة آل عمران/ ٥٩).

وأمه المطهرة مريم المصطفاة على نساء العالمين، حين أحست أمها امرأة عمران أنها حبلى بها، توجهت إلى الله جلَّ شأنه بكيانها، وبدعائها الخاشع، وبإيمانها تدعو:

﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني، إنك أنت السميع العليم﴾ (سورة آل عمران/ ٣٥).

نذرتها لله تعالى، ظناً منها أنها ستلد ذكراً، يصلح للخدمة في بيت الله، ﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى﴾ (سورة آل عمران/ ٣٦). والنذر للمعابد لم يكن معروفاً إلَّا للصبيان، ليخدموا في المعبد وليس الذكر كالأنثى.

لكن الله جلَّ شأنه رضي من امرأة عمران إخلاصها، وتقبل نذرها.

ونشأت مريم مباركة بكفالة زكريا رئيس المعبد، وشيخ سدنته، وزوج خالة مريم، وظلت مريم في بيت الله خادمة، تتعبد في محرابها، وتتلقى من المعبود جلَّ جلاله فيوض الرحمات وهواطل الخيرات.

وإذا بالملائكة المكرمين تنادي هذه السيدة البتول: ﴿يا مريم... إنَّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ (سورة آل عمران/ ٤٢ ـ ٤٣).

إنها البشارة الأولى..

إنها الاصطفاء.. والاختيار..

أجل.. إن الله اصطفى مريم، لأن تكون منها الآية، اختارها لتتلقى النفخة المباشرة، لتلد الكلمة، اصطفاها للأمر المفرد في تاريخ البشر،

فضلها على نساء العالمين، تفضيلاً مطلقاً، يرفعها إلى الآفاق العالية، والمكانة الخالدة الأبدية.

ثم بعد هذا النداء المبشر بالاصطفاء والاختيار والطهر، يأتي النداء الآخر المبشر بالكلمة.

﴿إذ قالت الملائكة يا مريم.. إن الله يبشرك بكلمة منه.. اسمه المسيح عيسى ابن مريم.. وجيهاً في الدنيا والآخرة، ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلاً، ومن الصالحين﴾ (سورة آل عمران/ ٤٥ ـ ٤٦).

بشارة كاملة صريحة، وإفصاح عن الأمر كله، بشارة بكلمة من الله اسمه المسيح.. واسمه عيسى ابن مريم.

واتجهت مريم إلى ربها، تناجيه.. وتتطلع إلى كشف هذه الغمة.. كيف.. كيف يكون ذلك؟ وهي فتاة طاهرة عذراء.. عرفت البشر وهي منهم، وعاشت بينهم، وعلمت مألوفهم.. إنه أمر يتيه فيه العقل ويحتار فيه القلب.

وقالت مريم تناجي ربها:

﴿رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾.

فجاءها الجواب:

﴿قال: كذلك الله يفعل ما يشاء، إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون﴾ (سورة آل عمران/ ٤٧).

﴿هو علي هين.. ولنجعله آية للناس.. ورحمة منا.. وكان أمراً مقضياً﴾ (٢١) مريم.

وهكذا، تزول الحيرة، ويطمئن القلب، وتقول مريم لنفسها: كيف عجبت من هذا الأمر، وأنا أعلم أن الله على كل شيء قدير؟

﴿فحملته، فانتبذت به مكاناً قصياً، فاجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت: يا ليتني مت قبل هذا.. وكنت نسياً منسياً﴾.

﴿فناداها من تحتها ألَّا تحزني. قد جعل ربك تحتك سرياً. وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً. فكلي، واشربي، وقري عيناً.. فإما ترين من البشر أحداً فقولي: إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً، فأتت به قومها تحمله قالوا: يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً. يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سَوْء وما كانت أمك بغياً﴾ ـ الآيات ٢٨/٢٢ من سورة مريم.

كيف تلد امرأة من غير زوج؟ أمر لم تأت به امرأة، وشيء لم يعرف في سابق الأمر.

﴿فأشارت إليه قالوا: كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾ الآية (٢٩) سورة مريم.

وجاء المعجزة، معجزة البراءة.. المعجزة الشاهدة لمريم البتول بالاصطفاء والطهر والعفاف.

﴿قال: إني عبدالله﴾.

كلمهم وهو في المهد، في أول ساعة من ساعات حياته، كلمهم كلاماً واضحاً فصيحاً ككلام الكهول والشباب، كلمهم بلسان فصيح واضح مفهوم باللغة التي ينطق بها السامعون. قال لهم: إني عبدالله.

كلمهم ليكون شاهداً على طهر أمه وعفافها، وليبرىء ساحة عرضها من أن يعلق بها شيء مما تلوكه الألسن، وتوسوس به الظنون في حال كحالها.

والنطق في المهد أمر غير مألوف، أمر خارج عن طبيعة البشر، ولكن هذا الوليد المختار الذي جعله الله آية للناس، بدأ حياته ناطقاً منذ مولده، إذن فهو سيسلك في الحياة مسلكاً غير مسلكهم. ويسير في سبيل غير سبيلهم.

صحت البشارة، بشارة الملائكة لمريم، حين بشرتها بكلمة من الله اسمه المسيح عيسى بن مريم، وجيهاً في الدنيا والآخرة، ومن المقربين، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين.

وعلمت مريم بإلهام من الله أن هذا الوليد الذي تكلم في المهد لا يخرج به كلامه هذا أن يكون من البشر، ولا تخرجه آية مولده عن طبيعة البشر ما دام هو عبدالله.

وسيكون مختاراً من لدن خالقه رب العالمين، وما كان هذا الكلام الذي نطق به في المهد، إلَّا دفاعاً عن التهمة التي رميت بها أمه من لدن قومها، حين قالوا لها: ﴿يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً. يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً﴾ (٢٨) مريم.

بعد ذلك أخذ المسيح عليه الصلاة والسلام حياته على مألوف المواليد من سائر البشر.

والقرآن الكريم لم يذكر لنا ـ فيما قصه لنا عن مولد عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ـ عن صمته أو كلامه بعد تلك الوقفة التي وقفها في المهد، دفاعاً عن شرف مولده، وطهر أمه، وعفافها..

ونحن مع ذلك نحترم موقف القرآن، ونقف من هذه القصة حيث وقف ونقول: إن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام تكلم في المهد، تلك الكلمات الواضحة المحدودة، فأرى قومه معجزة من الله، مثل المعجزة التي ولد بها..

والمسيح عليه الصلاة والسلام، أخبر قومه بما تكلمه في المهد، بأن الله قدر في الأزل، فجعله نبياً، وجعله مباركاً أين ما كان..

وأوصاه بالصلاة والزكاة ما دام حياً، وأوصاه براً بوالدته، ولم يجعله جباراً شقياً، وجعله مباركاً أينما كان، ينفع الناس، ويشفي مرضاهم

ويباركهم، ويبرىء الأكمة والأبرص بإذن الله، وأنه سيعيش في سلام يوم مولده، وحتى يوم موته، ويوم يبعث حياً..

﴿قال إني عبدالله، آتاني الكتاب وجعلني نبياً.. وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً، والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾. (الآيتان ٣٠، ٣١ من سورة مريم)

وهنا نطرح سؤالاً: هل كان مولد المسيح في الشتاء؟ وفي يوم ٢٥ ديسمبر من السنة الشمسية؟

الجواب: مختلف فيه..

يقول الأرثودكس إنّ مولده كان في ٦ جنوري، ويقول غيرهم: إنه كان في الصيف.

وهذا الاختلاف لا يهم.. إنما المهم المولود الذي جعله الله آية للناس ورحمة منه..

واختاره ليكون مصدقاً لما بين يديه من رسالة موسى ومبشراً برسالة محمد رسول يأتي من بعده اسمه أحمد.

وعاش المسيح عيسى بن مريم حياته مع أشقى شعب عرفه التاريخ.. شعب اليهود ـ

عاش فيهم نحواً من (٣٣) سنة، حتى رفعه الله إليه طاهراً مطهراً سليماً.

﴿ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له: كن فيكون وأنَّ الله ربي وربكم واعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ (سورة مريم/ ٣٤ ـ ٣٦).

شهر رمضان

اليوم هذا يصادف ثالث أيام رمضان.. الشهر المبارك للأمة الإسلامية.. الشهر الذي تؤدى فيه فريضة الصيام، والذي اختصه الله لنفسه فقال الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ: ـ

«كل عمل ابن آدم له: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال الله تعالى: إلاَّ الصوم، فإنَّه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»[1].

ولنبدأ حديثنا هذه الليلة بالكلام قليلاً عن الصوم وفضائله، ولا شك أن الجميع يعرف أن الصوم هو الركن الرابع من أركان الإسلام الخمسة، أو السهم الرابع من أسهم الإسلام الثمانية.

فقد جاء في الحديث الشريف قول الرسول ﷺ:

«بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله. وإقام الصلاة. وإيتاء الزكاة. وصوم رمضان. وحج بيت الله الحرام»[2].

وجاء أيضاً في الحديث الشريف أن الإسلام ثمانية أسهم.. الإسلام «ومعناه شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله» سهم. والصلاة سهم،

---

(١) حديث.

(٢) حديث.

والزكاة سهم، وصوم رمضان سهم، والحج سهم، والجهاد سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم.

والصيام جهاد ولكنه جهاد مع النفس ـ وصراع معها، يشترك فيه كل مسلم، لا فرق بين ذكر وأنثى ولا بين كبير وصغير.. ولا يخفى أن جهاد النفس أقوى أنواع الجهاد، فإنه صراع داخلي ليس كصراع الأعداء وجهاً لوجه.. وأبسط ألوان هذا الجهاد أن الحياة لا تسير مع كل إنسان كما يشتهي. فهي يومان (يوم يسر، ويوم عسر). والحياة أيضاً سعادة وشقاء، والنفس البشرية طماعة لا تقنع بما تجد.. هكذا خلق الله البشر وفطرهم على هذه الطبيعة.. ولكن الصوم يعلمنا أن نقنع بالموجود. وأن لا نطمع في غير الموجود.

..إذن لا بد من تدريب. وخير تدريب لنا نحن المسلمين هو أن نمنع أنفسنا حتى عن الموجود امتناعاً اختيارياً في فترة من الوقت.. حتى نعطي أنفسنا القدرة على تحمل الامتناع إذا تحكمت فينا ظروف الحياة، فمنعتنا مما نشتهي إذا لم يوجد.

إن الحياة كلها صراع والعمر يوم لك، ويوم عليك.

والحمد لله الذي أكرمنا بأن منحنا من الفرائض التعبدية ما يصلح به حالنا في هذه الحياة، ثم يجزينا به فيما بعدها الثواب والمغفرة.

وللإسلام في شهر رمضان.. ذكريات.. ذكريات حبيبة إلى نفس كل مسلم.. لا يزال المسلم يذكرها كلما أهل عليه رمضان..

ففي رمضان بعث المصطفى عليه الصلاة والسلام.
وفيه أنزل عليه القرآن.
وفيه جاء نصر الله لرسوله يوم بدر.
وفيه جاء فتح مكة.
وفيه دالت دولة الشرك وحطمت الأصنام.

من هذه الذكريات.

بعثة المصطفى الهادي محمد ﷺ بالدعوة العالمية بالنور الوهاج بالكتاب المبين بعثته بأول آيات نزلت عليه.

﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علَّم بالقلم علَّم الإنسان ما لم يعلم﴾.

نعم لقد كانت بعثة محمد ﷺ بالقلم والعلم للعالم كله لا تختص به أمة دون أمة، والعلم قراءة وكتابة بقلم.

وتبدأ هذه الكلمات باسم الله الرحمن الرحيم

ورحمة الله وسعت كل شيء.

وفاتحة الكتاب حمد لله وثناء على الله وطلب معونة من الله ثم طلب الهداية إلى الصراط المستقيم.

والصلاة تنظيم اجتماعي ومساواة وعدم تفرقة وتسوية صفوف والنداء للصلاة كلمة حلوة على الأسماع نسمعها خمس مرات في اليوم حي على الفلاح والفلاح ربح ونجاح وتوفيق وصحة وأمن وعدل بها كلها تسعد الأمم ولا تختص بها أمة دون أمة.

وبالزكاة تذوب الفوارق لأنها حق معلوم واجب عند من أيسر للسائل والمحروم تبذل بوجوبها المعونة من الموسر إلى المعسر والبذل محبة والإحسان وسيلة ألفة ووفاق وشريعة الإسلام لا تتعصب لجنس دون جنس ولا تتعنصر لأمة ضد أمة بل جمعتها كلمة الإسلام وجعلت منها أمة شعارها إنما المؤمنون أخوة وغايتها أن هذه أمتكم أمة واحدة وتعارفها بكلمة السلام عليكم وبعد يوم عرفة يأتي يوم العيد.

والعيد يعود في العام مرة بفرح مجدد وذكرى مفضلة وللإسلام عيدان.

عيد الفطر بعد أداء الركن الرابع ركن الصيام.

وعيد الأضحى بعد أداء الركن الخامس ركن الحج.

والأعياد تهاني وزيارات أراد بها الإسلام نشر المحبة والتآلف والسلام بين المسلمين.

والإسلام لم يكن يوماً من الأيام جافاً جامداً ولا كان نبيه متشدداً.

بل كان وما يزال يريد بأمته اليسر ولا يريد بهم العسر وكان ﷺ يأمر أصحابه بقوله يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا.

لكنه كان يقف عند الحدود فلا يتعداها وعند المكارم فلا يحيد عنها وعند الخلق الحسن فلا يرضى به بديلاً.

أخوتي وأخواتي حفظ الله تعالى علي وعليكم ديننا وهدانا إلى كتابه الكريم وصراطه المستقيم ووفقنا جميعاً إلى ما يكسبنا رضاه إنه سميع قريب مجيب.

والفجر وليال عشر

نعيش هذه الأيام الليال العشر التي أقسم الله عز وجل في كتابه الكريم بها بقوله والفجر وليالٍ عشر.

وفي تاسعها يوم عرفة «والحج عرفة».

والحج ركن من أركان الإسلام وشعيرة من شعائره يتطلب القيام بها بذل من المال وبذل من النفس.

والحج المبرور لا جزاء له إلاَّ الجنة.

والحج إقبال على الله وسمو بالروح وتجرد من الدنيا وبعد عن زينتها وطيباتها ومشاغلها.

وفي عرفات مساواة تراها ظاهرة بين عبيدالله المؤمنين باللباس الواحد بالوقوف في صعيد واحد لغاية واحدة بإخلاص نية لا يخالطها رياء ولا سمعة.

وحج عرفة وماذا في عرفة طوائف من البشر ليست بينهم أرحام ولا أنساب تعددت لغاتهم واختلفت ألوانهم وتباعدت ديارهم جمعتهم كلمة الإسلام في ذلك الموقف موقف عرفة تركوا دنياهم وأعمالهم وتركوا أهلهم وأولادهم ومالهم ونسوا الأحقاد والنزوات والأضغان والشهوات وجاءوا كما

قال جلَّ شأنه من كل فج عميق ممتثلين أمر الله يهتفون باسم الله ويذكرونه بالتقديس والتسبيح والتهليل والتكبير ويلهجون بقولهم لبيك اللَّهم لبيك إلخ.

والحج يعطينا ذكريات ماثلة أبداً في أذهاننا ذكريات دينية تحن نفوسنا لها ونتخذ منها حافزفا يدفعنا إن شاء الله إلى مستقبل أزكى وأهدى.

هل تنفع الذكريات؟

أيها الأخوة المستمعون

أحدثكم من وراء هذا المذياع ونحن في السابع من عشر الأيام ذي الحجة التي أقسم الله بها في كتابه العزيز. وأتحدث إليكم الآن وحجاج بيت الله الحرام في مكة يستعدون للتوجه إلى منى وعرفات.

غداً يوم الترويه.. يوم التجرد للإحرام بالحج، لمن تمتع بالعمرة إلى الحج، أو لمن كان مقيماً في مكة قبل أشهر الحج.

غداً ينتقل جميع الحجاج إلى منى، وبعد غد سيذهبون إلى عرفات للوقوف هناك طاعة لله ووفوداً على الله..

قال ذلك رسول الله ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم»(١).

فهنيئاً لمن فاز بما أمل.. وهنيئاً لمن تحقق له ما طلب.. نقول هنيئاً ونأمل أن يحقق المولى لهم هذا الدعاء: اللهمَّ تقبل منا ومنهم، وأصلح مستقبلنا ومستقبلهم، واجعلهم ممن قال فيهم عبدك ورسولك محمد ﷺ.

«من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»(٢).

---

(١) حديث.

(٢) حديث.

واجعلهم ممن تباهي بهم ملائكتك في أمسية يوم عرفة. فقد أخبرنا هذا النبي الكريم ﷺ فقال: «ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، يباهي الله بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادي جاءوني شعثاً غبراً ضاحين، جاءوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، أشهدكم أني قد غفرت لهم»[1].

أيها المسلمون في كل مكان من الأرض:

ها نحن نحتفل بذكرى الهجرة كما احتفلنا قبل بذكرى المعراج وذكرى المولد وذكريات كثيرة غيرها.

نحتفل احتفال ذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين كما قال ذلك رب العزة.

احتفلنا بذكريات فهل تذكرنا؟ هل تعلمنا؟ هل تيقظنا؟ هل انتبهنا لما نحن فيه من ضلال وانحلال؟ هل اقتدينا بصاحب الذكرى وتأسينا به؟ هل دعونا الله أن يجعلنا ممن اهتدى بهديه واتبع سنته؟

وهذا المسجد الأقصى القبلة الأولى لنا ومسرى نبينا اغتصبه أعداء الله وأعداء الإنسانية منا.

اغتصبه من ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله.

اغتصبوه لا بعددهم فعددنا مآة أضعاف عددهم.

واغتصبوه لا بعدتهم فعندنا من الأموال الأكثر الأكثر ولكن استغلوا تفرقتنا وتشتتنا واختلافنا واستعبدونا بجهلنا وضلالنا وغرورنا.

صفات شائنة لا يرضاها إلاَّ من ختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم.

صفات أذلتنا أمام عدونا، ولو أننا آمنا كما أراد الله لنا، وعلمنا كما

(١) حديث.

فرض الله علينا وتآلفنا كما أمرنا ربنا.. كنا أعزه، والعـزة لله ولرسـوله وللمؤمنين.. عزة لا تذل، وقوة لا تندحر..

أيها الأخوة: المسجد الأقصى ينادي هلموا إليَّ يا مسلمون فقد أذلني الكفر بعد العزة، وأهانني بعد الكرامة، ودنسني بعد الطهارة، وأخافني بعد الأمن..

أخوتي: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلَّا وأنتم واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين..

ميلاد عام جديد

كنا قبل يومين في عطلة رسمية، هي بداية السنة الشمسية لعام ٧٩ للميلاد.

تاريخ اتفق سكان هذا الكوكب الأرضي شرقيه وغربيه على مبدئه ومنتهاه.

يحسب التجار فيه حساب أرباحهم وخسائرهم، ومالهم وما عليهم.. ليفتحوها مرة أخرى في اليوم الذي يليه.

ويحسب الموظف فيه أيام شهره ليقبض راتبه.

ويحسب الناس فيه أعمارهم وأعمار مواليدهم وليحيوا لها الذكرى في أيامه.

وبأيامه وأشهره نؤرخ حوادثنا وكل ما يجري لنا فيها من خير أو شر.

والحكومات تهتم به أكثر من الشعوب. فللحكومات شأن في التاريخ أهم من شأن الأمم.

وسمينا هذا اليوم في الماضي (عطلة)، ثم سميناه رأس السنة، وأخيراً سماه بعضنا عطلة رأس السنة أو عيد رأس السنة.

وليسمه من يشاء بما يشاء من الأسماء. والأسماء لا تباع ولا تبتاع، ولكن الذي يعنيني في الأمر أعوام تنقضي لتأتي بعدها أعوام.. نفرح بالعام الجديد، ونحتفل احتفال فرح بمروره لذكرى ولادة، أو لذكرى زواج.. نفرح

بالعام الجديد، ونحتفل احتفال فرح بمروره لذكرى ولادة أو لذكرى زواج نفرح لهذه ولتلك.. ونفرح بمرور العام لذكريات هي بالنسبة لنا كبيرة، فهل نحن فرحون حقيقة كما نقول؟.

إن الفرحة لا تكون إلاَّ للأبي العزيز.. والحر الكريم..

ولقد مرت إحدى وثلاثون سنة على النكبة.. نكبة وجود الكيان الصهيوني في بلادنا..

ولقد مرت اثنتا عشرة سنة على سقوط المسجد الأقصى ـ قبلتنا الأولى ومسى نبينا ـ بيد الصهيونية أشد الناس عداوة للإنسانية. وما زالت الاعتداءات تترى على إخوان لنا في الدين هناك، نفوس تقتل وممتلكات تغتصب، وأعراض تنتهك، ومقدسات تدنس، وكرامات تذل وتهان..

إننا ننتظر أيها الأخوة المستمعون عيداً يحقق الله فيه وعده لعباده المؤمنين: ـ

﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين..﴾ (سورة المنافقون/ ٨).

وليس ذلك ببعيد على ذوي الهمم العالية، وذوي النوايا الصافية الذين يقولون ويفعلون..

وإنه العيد السعيد الذي ننتظر، على أنه عيد المؤمنين بربهم المؤمنين بحقهم، المؤمنين بعزتهم التي أرادها الله لهم..

إنه عيد وحدة النيات، ووحدة الجهود، ووحدة القصد..

ولعلَّ سائلاً يقول: ومتى يا ترى يكون هذا العيد؟

فأقول له: إنه آت ما دام للحق طالب، وكل آت قريب. وإنه اليوم الذي وعدنا الله به يوم نكون كذلك.

﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده﴾ (سورة الروم/ ٤ ـ ٦).

مع رمضان في ذكرياته

أقبل شهر رمضان الكريم: (وكل عام وأنتم بخير) والحمد لله على طول الأعمار وتردد في الآثار.. ونسأل الله جلَّ جلاله أن يعيننا على طاعته، ويجعلنا ممن ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ (سورة المجادلة/ ٢٢).

ولا بد لنا في هذه المناسبة أن نتكلم قليلاً عن الصيام.

فرض الله الصيام في السنة الثانية من الهجرة في شعبان ونزلت بفريضته الآيات الكريمة: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن..﴾ (سورة البقرة/ ١٨٣ ـ ١٨٥).

فالصيام فرض، وهو ركن من أركان الإسلام الخمسة التي بني عليها، والتي لا مناص من أدائها، ولا عذر لأحد في تركها إلاَّ لأولئك الذين يطيقونه وهم الذين يشق عليهم ويكلفهم ما لا طاقة لهم به.. كالشيخ الفاني، أو العاجز من كبر وهرم، أو مريض بمرض لا يرجى برؤه كالسرطان أو السل (نسأل الله العافية) أو مرض يتفاعل مع الصوم فيزيد صاحبه سوءاً، كقرحة المعدة. أو قرحة الأمعاء.. فهؤلاء وأمثالهم يفطرون ويطعمون عن كل يوم مسكيناً.

واختار الله للصوم (شهر رمضان) من جميع أشهر السنة. فهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. فجعل لنا صوم رمضان تذكيراً لنا بنعمة إنزال هذا القرآن، دستوره لعباده في الأرض، فنشكره على هذه النعمة الكبرى.

ولرمضان في الإسلام ذكريات، وذكريات الإسلام كلها ذكريات عذبة تطيب بذكرها المجالس.. وترتاح لسماعها الآذان.

وأول هذه الذكريات، ذكرى بعثة محمد ﷺ ونزول أول آيات من القرآن. فقد بعث الله رسوله محمداً ﷺ في ليلة من ليالي رمضان. وصفها جلَّ جلاله بأنها ليلة القدر وذلك في سورة القدر. ووصفها بأنها الليلة المباركة التي فيها يفرق كل أمر حكيم وذلك في أول سورة الدخان.

نزل القرآن في هذا الشهر هدى للناس ﴿يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً﴾ (سورة الإسراء/ ٩).

كتاب لا عوج فيه.. أنزله الله قيماً ينذر الكافرين ويبشر المؤمنين.. أتى به رسول كريم.. كان على خلق عظيم.. بعثه الله رحمة للعالمين.. بشراً ونذيراً.. وداعياً إلى الخير وإلى الحياة الطيبة وإلى التآلف والتحابب.. والتعاون على البر والتقوى.. والتواصي بالحق وبالصبر..

ومن ذكريات هذا الشهر غزوة بدر.. ففي هذه الغزوة المجيدة نصر الله أهل الإيمان على أهل الكفر والطغيان.. تدرع المسلمون في هذه الغزوة بالإيمان والصبر والتقوى.. فنصرهم على أعدائهم وصدق وعده لهم ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ (سورة النحل/ ١٢٨).

ومن ذكريات هذا الشهر فتح مكة.. ففي رمضان فتح الله على نبيه محمد ﷺ مكة أم القرى ومسقط رأس رسول الله ﷺ ومهبط وحي الله عليه.

وقد كان ﷺ يتشوق لفتحها ويعلم أنه إذا فتحت مكة انقادت العرب

لدعوته، لأن مكة البلد المقدس عند جميع العرب، وأهل مكة هم الناس في نظر جميع العرب.

وكان في مكة أصنام العرب كلها، فكان حول الكعبة وحدها (٣٦٠) صنماً غير ما كان منها في حرم مكة المحيط بالكعبة.

خرج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة متجهاً إلى مكة لفتحها، فكان أمامه نصر الله، حتى فتح مكة وانقاد له أهلها طاعة وإسلاماً.. وطهرها مما كان فيها من أصنام.

وبهذا الفتح الذي سماه المؤرخون الفتح الأعظم جاء نصر الله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، يفدون إلى المدينة وفداً بعد وفد، طائعين لله مخلصين له.. لا يبتغون غير الإسلام ديناً.. لأنهم علموا يقيناً ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (سورة آل عمران/ ١٩). ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (سورة آل عمران/ ٨٥).

حديث رمضان

الإنسان مؤمن بطبيعته.. عاقل.. عالم.. لأنه ولد ليتعلم.. فأبواه يعلمانه الحركة والحبو والمشي والنطق يعلمانه كل شيء.. ولكنه متى جهل أصبح ضالاً.. كما قال الله عز وجل: ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾.

ولقد جهل المسلمون الكثير الكثير من علوم الدنيا والآخرة.. بعد أن جهلوا دينهم.. وتعاليم دينهم وبذلك أصبح المسلمون عرضة للتيارات الفكرية المعاكسة.. فبينما هو يأخذ بسبيله إلى الخير إذا بالشهوات تزين له سلوك سبيل الشر..

والإيمان كامن في الكثير الكثير من هؤلاء الناس، وقد يران على القلب المؤمن فلا تضيء ومضته. وكم سمعت من أصوات تكلمني أنه حصل منه ما يخالف أمر الدين وأنه في قلق مما حصل ولا يأمن عقوبة الله!. نفحة إيمان هبت في قلبه أو ومضة إيمان استيقظت في ضميره بعد أن زين له الشيطان عمل الشر استيقظت تلك الشعلة لتقول لصاحبها: ويلك، آمن.. اهتد بعد ضلال.. استيقظ بعد غفلة..

صراع مستمر في كل نفس في قلب صاحبها ذرة من الإيمان.. تقول له: افعل الخير وعليك بالفضيلة.. أما الجهل بتعاليم الإسلام فيقول له: افعل الشر، وانتهز اللذة (والجهل لا يأمر بخير) أيها الإخوة:

إننا بين كر وفر.. إننا في حرب بين النفس وبين الضمير.. ولا سلاح لنا إلاَّ الإيمان.. النفس أمَّارة بالسوء تدعونا إلى الإثم والشر، والضمير طبيعة الخير في الإنسان يدعونا إلى الخير.. ولكي نتحاشى الإثم والسوء فلا نستطيع إلاَّ بالإيمان..

وإن للإيمان لذة كما قلت لكم في حديث سابق لا يحسها إلاَّ المؤمن.. ومن هو المؤمن؟ إن المؤمن من هو في صلاته خاشع.. والذي هو عن اللغو معرض.. والذي هو للزكاة فاعل.. وعلى الجماعة محافظ.. وبشعائر الإسلام قائم.. ولواجباته مؤدٍ.. لا يشغله عنها شاغل.. وبالحقوق كلها قائم، وبتعاليم دينه عالم.. إخوتي أخواتي:

إن جهلنا بديننا جعلنا نخرب دنيانا بأيدينا وبأيدي أعدائنا.. نعم.. خربنا دنيانا التي لا تصلح إلاَّ بتطبيق قواعد ديننا على كل شأن من شؤوننا.. على حركاتنا... وسكناتنا في أحكامنا.. ومعاملاتنا في مساجدنا وأسواقنا.. في مدارسنا وبيوتنا..

إن ديننا لا يعجز عن أن يحل كل مشكلة تمر في حياتنا.. حياة الفرد وحياة المجتمع.. إنه ليستطيع أن يشمل كل تصاريف دنيانا بالفعل والعدل والفصل.. إن ديننا دين عمل وعلم، ولم يزل ولن يزال يعانق العلم.. ولو علمنا ما في الإسلام من معالٍ وعملنا بها كما وجبت لاستطعنا أن نجذب إلينا كل عاقل من الناس وكل منصف.. وكل عالم.. ولاستطعنا أيضاً أن نناقش بكل هوادة وبكل لين وصراحة، ولاستطعنا أن نذلل كل عقبة في سبيل من يريد الخير لنفسه..

إن علينا أن نوضح للناس جوانب اللين والخير في الإسلام فهي أجدر أن تحقق لنا ما نريد وما يريده الله منا، ولكن متى نستطيع ذلك إننا لا نستطيع حتى نعلم فالعلم أساس كل خير.

العيد

اليوم ينتهي رمضان ولنا في هذا اليوم بشرى.. بشرنا بها نبي الإسلام محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام تلك البشرى معناها أنه إذا كان آخر يوم في رمضان ينظر الله إلى عباده فيمنحهم الرضا والمغفرة وإجابة السؤال للدنيا والآخرة وذلك كجزاء العامل إذا عمل عمله..

وغداً عيد الفطر.. وللمسلمين في العام عيدان لا ثالث لهما.. عيد الفطر وعيد الأضحى.. وما سوى هذه الأعياد مما سماها الناس أعياداً لا أساس لها من الصحة.. فهي ذكريات لا أعياد وهي أيام لا أعياد.. وفي تسميتها أعياد بدعة..

قالوا: عيد العلم، وللإسلام في كل يوم من أيامه عيد علم، ويكفينا شاهد على ذلك أمر الله عز وجل على نبيه ﷺ: «قل رب زدني علماً» وقول نبيه ﷺ: إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله فلا بورك له في طلوع شمس ذلك اليوم.

وقالوا: عيد الأم وكل أيام الأم عيد، وكل صباح يستقبل المسلم فيه أمه عيد، ومفتاح باب الجنة للولد ابتسامته في وجه أمه وقالوا: عن أعياد هي لا شك ذكريات كان أولى بها أن نسميها بأسمائها ذكريات.. فالأعياد في الإسلام عيدان لا ثالث لهما..

والعيد يوم يعود، وسمي عيداً لأنه يعود، والإنسان خلق ليشقى هكذا

قال الله، فكان يتلمس دائماً أسباب السرور ليسعد بعد هذا الشقاء وليستريح.. وأعياد الإسلام جميلة.. إنَّها أعياد عواطف وإنسانية.. أعياد حب ورحمة.. أعياد نفع.. أعياد صدقات.. وتفريج كروب.. وكل مؤمن يهنأ بمساعدة منكوب.. وإعانة بائس.. ورعاية يتيم.

وعيد المسلم جميل في معناه.. رائع في مغزاه.. يحبه الكبار كما يحبه الصغار لأن العيد تحية عذبة يتبادلها الجميع لها جلالها وبهجتها..

وليوم العيد إشراقة ونضارة.. والناس بعد إشراقة الشمس في خلق جديد، ويوم سعيد، تغمرهم السعادة، وتعمهم الفرحة. لماذا؟ لا يدرون إلاَّ أنهم في يوم عيد..

بالعيد تلتقي الأرواح والأشباح.. بالعيد يحيا الأمل.. بالعيد تصفو القلوب.. تمحي الضغائن.. تتعارف النفوس.. ويذهب العبوس..

من أجل ذلك كان العيد عند المسلم تعارفاً وتآلفاً وتزاوراً وتواصلاً..

وغداً عيد الفطر، جاء بعد انتهاء شهر رمضان، شهر الصوم. الركن الرابع من أركان الإسلام.. أتممنا فيه فرض الصوم، فعيدنا أن نكون حامدين الله على أداء ما أوجبه علينا.. سائلين منه أن يمن علينا بالقبول والعودة إلى أمثاله موفقين إلى طاعة تؤدي وقبول يمنح..

وغداً أيها الأخوة والأخوات صلاة.. ثم تهاني وزيارات بها تنتشر المحبة بين المواطنين.. بها تتآلف القلوب.. وتغسل العداوات لأن المحبة والولاء تعاون.. والتعاون قوة..

غداً تصافح وقبلات بين الأخوة والأصدقاء.. فلا حسد ولا عداء ولا حقد ولا بغضاء..

غداً تتواصل القلوب بكلمة الإسلام (السلام عليكم) كلمة حلوة خفيفة على اللسان لها إيقاع في الآذان..

غداً لنا مجتمع كبير، في مساجدنا، وفي مجالسنا، والكل يبتسم والكل يحمد الله على هذه الرابطة رابطة الأخوة الإسلامية، رابطة لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله..

الإسلام يسر يساير العقل.. يجمع بين المصالح كلها.. صلاح الفرد وصلاح الأمة.. صلاح البدن وصلاح الوطن.. صلاح الدنيا وصلاح الآخرة.. صلاح شامل يربط بين الناس..

الدين الإسلامي ربط بين الناس جميعاً بحسن المعاملة وقال: «الدين معاملة».

الدين الإسلامي أصلح الأخلاق كلها فحرم الرذائل وأوجب الفضائل وقال: «الدين حسن خلق». وأصلح الجسم وأمر المسلم أن يحافظ على نفسه وصحته لأن العقل السليم لا يكون إلاَّ بالجسم السليم.

عيد النحر سنة ١٣٩٨ هـ (١)

الله أكبر تسعاً نسقاً..

الله أكبر كبيراً.. والحمد لله كثيراً.. وسبحان الله بكرة وأصيلاً..

الحمد لله جعل الأعياد بعد أداء العبادة مواسم إكرام وإحسان.

جعل عيد الفطر موسم رحمة وقبول.. لمن صام رمضان. وجعل عيد الأضحى لمن حج البيت موسم عفو وغفران..

الحمد لله نحمده كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه.. ونسأله أن يمن علينا بعظيم فضله وإحسانه، وأن يشملنا بواسع رحمته وغفرانه.

ونشهد أن لا إلّه إلاَّ الله وحده لا شريك له، نسأله الحماية من الزلل، والتوفيق لصالح العمل.

نسأله أن يعيننا على مكافحة الظلم والظالمين، الكفرة المفسدين ومقاومة الإلحاد والملحدين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الإسلام بباطل أقوالهم، وسموم أقلامهم، يريدون أن يشوهوا أحكام الإسلام، ويعيبون على من تمسك بأوامره وانتهى عن نواهيه، بزيف حججهم.

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاَّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (سورة التوبة/ ٣٢).

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك النبي الكريم سيدنا محمد الذي

بعثته بالحق ليخرج الناس من الباطل وأرسلته بالنور ليخرجهم من الظلمات ويهديهم إلى صراط مستقيم، وعلى آله وصحابته والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اتقوا الله عباد الله.. اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلَّا وأنتم مسلمون.. اتقوا الله وآمنوا برسوله القائل: «لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا»[1].

إذاً.. فالمحبة شرط لدخول الجنة، ولما لها من ثمار ـ يانعة، وفوائد عظيمة نافعة، قرر الإسلام تنميتها، وأوجب على المسلمين اتباعها وتربيتها. فبنى أركان الإسلام على الصلاة، والصلاة جماعة جامعة. وعلى الزكاة، والزكاة إحسان ومحبة. وعلى الصيام، والصيام رقة ورحمة، وعلى الحج، والحج رابطة بين المسلمين في سائر أقطارهم، يفدون من تلك الأقطار ليجتمعوا في مكان واحد، أعده الله لهذا الأمر، فيرشدون ويسترشدون، ويفيدون ويستفيدون، ويتآلفون ويتناصرون، وليشهدوا منافع لهم.

أيها المسلمون:

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (سورة آل عمران/ ١٩) ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (سورة آل عمران/ ٨٥).

وقد زعم بعض الناس ـ الذين، إذا سمعوا الحق أعرضوا عنه ـ أن الإسلام دين معقد شديد، دين لا يرضى بتقدم البشرية. يريدون بكلامهم هذا أن يطفئوا نور الله بأفواههم. والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وليس في الإسلام تعقيد، وليس فيه تشديد، وليس فيه تعارض للمدنية.

إن الإسلام مبسط، وبساطته بارتكازه على التوحيد، والتوحيد مثبت

(١) حديث.

بكلمة لا إله إلاَّ الله، ولا إله إلاَّ الله. . كلمة سهلة تنفي الألوهية عن كل أحد حين تثبتها لله وحده. والله واحد ولا إله غيره. . ثم بعد ذلك نفهم من هذه الكلمة أن ليس كمثل الله شيء، وكل ما يخطر ببال إنسان فالله أعظم وأجل منه، وعقل الإنسان لا يحيط به ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[1] فالخالق خلاف المخلوقين، والعقل المخلوق لا يدرك غير المخلوق، لهذا أمر الإسلام أمته أن يتفكروا في آلاء الله، وأن لا يتفكروا في ذات الله، وجعل هذا التفكير عبادة وذكراً يتقرب به الإنسان لله. بينما كان هذا التفكير علماً فتح الآفاق للإنسان ليصل إلى ما لم يصل إليه مخلوق غيره، وليحقق وعد الله لهذا المخلوق، ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه﴾[2].

والله عز وجل وصف المؤمنين بأنهم ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليه آياته زادتهم إيماناً، وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾[3].

والرسول عليه الصلاة والسلام وصف أخلاق المؤمن بأنها قوة في دين وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وأن المؤمن لا يأثم في من يحب، ولا يعتدي على من يبغض، ولا يطعن، ولا يلعن، وأنه يخالط الناس كي يعلم، ويناطق الناس كي يفهم.

وإنسان هذه صفاته، وهذا سلوكه، جدير بأن يكون الله معه، وحقيق بأن يسود، وأن تفتح له الصدور محبة به وشوقاً إلى لقائه.

أيها المسلمون:

والإيمان بالله وبرسالة محمد بن عبدالله إذا تحرك في النفس تحول إلى صورة حقيقية وشمل حياة المؤمن كلها، وانحلت أمامه كل عقدة وتفتح له به كل قفل. ألم تسمعوا قول النبي ﷺ: «ونصرت بالرعب»[1] ذلك أن ـ المؤمن

(١) حديث.

مهاب لأنه صادق. ونحن اليوم أيها المسلمون في حاجة إلى بعث جديد في العقيدة، لأن التشكيك الذي حاربنا به عدونا هز شبابنا، وزعزعه، وبلبل أفكاره وأفسده.

إننا في حاجة إلى إسلام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

إننا في حاجة إلى بعث في الهمة، ترفع عنا هذه الميوعة التي بها أصبحنا نقول ولا نفعل، ونعد ولا نفي. ونهم ولا ننفذ.

الإسلام هو كتاب الله الخالد، إنه العقيدة الخالدة، والحقيقة الخالدة، والرسالة الخالدة، وجدير بأمة ارتضاها الله للإسلام أن تعود إلى الإسلام، إيماناً بكتابه وبرسالة نبيه، فتعمل بما أمر به الإسلام، وتنهي عما نهى عنه الإسلام وصدق الله العظيم:

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران/ ١١٠).

يا أيها الأخوة المسلمون:

جدير بنا أن نسير في هذا السبيل وأن نسلك هذا المسلك، ففيه النجاة لمن خاف سوء العاقبة، وفيه البرهان لمن أراد الذكر الحسن.

﴿ومن أحسن قولاً مما دعا الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ (سورة فصلت/ ٣٣).

عيد النحر ١٣٩٨ هـ[٢]

الله أكبر سبعاً نسقاً..

ولا إلّه إلاَّ الله، والله أكبر، ولله الحمد.

الله أكبر كبيراً.. والحمد لله كثيراً.. وسبحان الله بكرة وأصيلاً..

الحمد لله على آلائه ونعمه.. والحمد لله نحمده ونسأله المزيد من فضله، ونشهد أن لا إلّه إلاَّ الله وحده لا شريك له القائل: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (سورة فصلت/ ٤٧).

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بشر عباد الله بأن النصر مع الصبر، وأن العاقبة للمتقين.

اتقوا الله أيها الأخوة المسلمون.. اتقوا الله ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ (سورة النحل/ ١٢٨).

وبعد:

فإن هذا اليوم هو للمسلمين في جميع أوطانهم عيد.. وهو يوم مغفرة شاملة لمن حج، فلم يرفث ولم يفسق، كما بشر بها رسول الله ﷺ.

فما أهنأه عيداً لمن حطت عن ظهورهم أوزار السيئات، وقصدوا الله بحسن النيات وصفاء الطويات.

ما أهنأه عيداً لمن هبوا لنصرة دينهم، وعملوا بما يرفع شأن أمتهم، وامتثلوا أمر ربهم: ﴿ولا تموتن إلاَّ وأنتم مسلمون﴾ (سورة آل عمران/ ١٠٢). ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ (سورة آل عمران/ ١٠٣).

ما أهنأه عيداً لمن اعتزوا بدينهم فعزوا.. ونصروا الله فنصروا.. ورفعوا من شأن الإسلام فرفع الله شأنهم.

فهل يا ترى يعود علينا ذلك العيد ويبتسم لنا ذلك اليوم السعيد، فنرى للمسلمين الكلمة العليا التي بها يفتخر المسلم.. وتلك المكانة السامية التي بها يعتز المسلم، ويحقق الله وعده لمن آمن بالله ورسوله ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ (سورة المنافقون/ ٨).

أيها المسلمون:

وما ذلك على الله ببعيد.. فقد قال الله عز وجل في كتابه العزيز في سورة النور: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (سورة النور/ ٥٥).

عباد الله:

وتقربوا إلى الله في هذا اليوم، والأيام التي بعده، بنحر الأضاحي، فإنَّها سنة أبيكم إبراهيم ونبيكم محمد ﷺ. فقد قال ﷺ في يوم أضحى «ما عمل آدمي في هذا اليوم أفضل من دم يراق إلاَّ أن يكون رحماً توصل»[1]. والأضحية للحي أفضل منها للميت لأنها فدية وأضحية.. وأبونا إبراهيم عليه السلام ضحى بها عن ولده إسماعيل وهو حي.

(١) حديث.

والمضحي يقول: اللهم هذا منك ولك، اللهم تقبل مني كما تقبلت من إبراهيم خليلك ومن محمد نبيك.

وللمضحي أن يشرك معه من يشاء من أقاربه وأحبابه الأحياء والأموات. وليحتسب أضحيته لله عز وجل فإن الله يقول وقوله الحق:

﴿لن ينال الله لحومُها ولا دماؤُها ولكن يناله التقوى منكم، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين﴾ (سورة الحج/ ٣٧). عباد الله:

اسألوا ربكم وأنتم موقنون بالإجابة:

اللهم إنَّا نسألك من أنفسنا ما لا نملكه إلَّا بك.. اللهمَّ فأعطنا منها ما يرضيك عنا..

اللهم أصلح ذات بيننا بإصلاح ولي أمرنا..

اللهم أره الحق ووفقه لاتباعه.. وأره الباطل ووفقه لاجتنابه..

اللهم واحفظه بالإسلام قائماً وقاعداً، وأحسن عاقبته في الأمور كلها..

اللَّهم إنا نسألك رحمة من عندك، تهدي بها شبابنا، وتؤلف بها بين قلوبنا، وتجمع بها أمرنا، وتلم بها فرقتنا، وتزكي بها أعمالنا، وتعصمنا بها من كل سوء.

اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا، واهدنا سبيل السلام، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللهمَّ وانصر دينك، وانصرنا به على القوم الكافرين..

﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾ (سورة الإسراء/ ١١١).

عيد الفطر (١)

الله أكبر تسعاً.
الله أكبر مانتبه المسلمون في جميع أوطانهم لكيد الكائدين.
الله أكبر ما تناصروا ضد المعتدين.
الله أكبر ما جاهد مسلم بنفسه وماله لنصرة هذا الدين.
الله أكبر ما ذكر مجد المسلمين في التاريخ.. وذكرت عزتهم.
الله أكبر ما تآلفت قلوبهم.. واجتمعت كلمتهم.
الله أكبر أعان من تعاونوا على البر والتقوى.. وتواصوا بالإحسان.
سبحان الله وبحمده. ينصر من نصر دينه. ويمده بتوالي نعمته.
سبحان الله وبحمده. يذل من أذل دينه. وينزل به عظيم نقمته.
سبحان الله. والحمد لله. ولا إله إلاَّ الله. والله أكبر.

الحمد لله مالك الملك.. يؤتي الملك من يشاء.. وينزع الملك ممن يشاء.. ويعز من يشاء.. ويذل من يشاء.. بيده الخير.. وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله.. وحده لا شريك له.. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. بعثه رحمة للعالمين كافة بين القلوب فكانت أمته قوة في هذه الأرض.. نصرهم الله لأنهم نصروه.. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد الذي كشف الله

به الغمة عن هذه الأمة.. وجعله للبشر رحمة.. وعلى الإنسانية نعمة.. وعلى آله وصحبه أفضل أئمة.

أما بعد ـ

فبالأمس كنا صائمين لله تعالى في وقت يحرم علينا فيه الإفطار واليوم وقد أفطرنا في حال يحرم علينا فيه الصوم.. فالحمد لله الواحد الأحد الذي أحل الحلال وحرم الحرام... وله الشكر جل جلاله على كل حال. وفي كل حال. ونستنجزه وعده.. ﴿ومن أوفى بعهده من الله؟﴾ (سورة التوبة/ ١١).. أن يزيدنا من فضله وهو القائل ﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم فإن عذابي لشديد﴾ (سورة إبراهيم/ ٧).

أيها المسلمون...

انتهى رمضان.. وما رمضان إلَّا أيام معدودة.. كتب الله علينا صيامها وجعله ركناً من الأركان التي أسس عليها الإسلام... واختص هذا الركن لنفسه.. فكان شهر رمضان شهر الله من بين شهور السنة.. وكان الصوم في رمضان لله وحده وهو يجزي به.. وكان جزاؤه للصائمين بغير حساب.. وجعل للصائمين فرحتين.. فرحة عند الفطر.. وفرحة عند لقائه يوم الجزاء. نسأل الله تعالى لهذه الفرحة حسن الخاتمة حتى نفوز مع الفائزين بها يوم نلقاه...

أيها الأخوة....

وإن الدين عند الله الإسلام.. ومن اعتز به عز.. ومن أعرض عنه ضل وذل.. ومن استضاء بنوره هدي إلى صراط مستقيم دين عمل به أسلافنا فعاشوا حياتهم طيبة.. عزوا في الدنيا فكانوا أئمة مصلحين صالحين . هداة مهتدين.. مرشدين راشدين وخلف من بعدهم خلف طال عليهم الأمد فضاعوا وأضاعوا الدنيا والدين وعكفوا على كل ما يشين.. تركوا فعل الحسنات واتبعوا الشهوات وتفاخروا بالأعمال

السيئات.. وخسروا كل شيء في هذه الحياة ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (سورة الأعراف/ ٩٦).. ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ (سورة هود/ ١١٧). ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة أن أخذه أليم شديد﴾ (سورة هود/ ١٠٢). أيها الأخوة المسلمون...

ما أسعد هذا العيد لو أننا اتقينا الله.. ما أسعده لو أننا تآلفنا كما أمرنا الله... ما أسعده لو أننا أقمنا الصلاة.. وآتينا الزكاة.. وتجنبنا الشبهات.. وابتعدنا عن الشهوات...

لكنا وأسفاه لم نكن كذلك.. بل كنا كما أراد لنا عدونا أعرضنا عن ديننا.. أهين ديننا أمامنا فلم نغضب.. وهتكت حرماتنا فلم ننكر.. وديست مقدساتنا فلم نثر ولم نتأثر ولنا إخوان مشردون عن بلادهم هلك أكثرهم جوعاً وعرياً.. يقاسون من البرد أضره.. ومن الصيف أحره.. وفي كل أرض من بلاد الإسلام تنكيل.. وفي كل شعب من شعوبه تقتيل.. وفي بعض أوطانه عداء تسفك بسببه الدماء وتزهق الأرواح.... وتهتك الأعراض.. وفي بلاد أخرى مسلمة يهان الإسلام ويقتل المسلمون.. وهذا ما يجري في الفلبين. وفي أرتريا.. وفي مالي وفي بورما وفي أواسط إفريقيا وفي غيرها من بلاد الإسلام شرقاً وغرباً؟!!!...

فكيف نفرح بالعيد أيها المسلمون؟.. كيف نفرح وهذه حال إخواننا في جميع أوطاننا.

أيها الأخوة المسلمون...

نقول إننا فرحون بالعيد لأن العيد قد عاد.. ولكن بأية حال عاد؟

لقد قلنا أن العيد أفراح وتهانٍ.. وبهجة وزيارات.. وهل العيد

لبيت من المسلمين دون بيت؟.. أو لبلد دون بلد؟ وهل العيد لقطر دون قطر؟...

لا أيها الإخوة المسلمون.. العيد عيد الأمة الإسلامية كلها.. فهل أمتنا أيها المسلمون صادقة في فرحتها بالعيد؟... هل فرحت بأعياد مضت وهل ستفرح بعد بالأعياد؟.

أيها المسلمون..

إن الله أراد لهذه الأمة أن تكون أمة واحدة.. فهل كنا كما أراد الله لنا أن نكون؟

إن الله أمر هذه الأمة أن تتعاون على البر والتقوى... فهل فعلت ما أمرها الله به؟

ونهاها أن تتخاذل وأن تتنازع.. فهل انتهت عما نهاها عنه؟

إن الله قال لنا أيها المسلمون: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (سورة الصف/ ٢، ٣).

وقد أكثرنا الكلام.. ولم نفعل.. ووعدنا ولم نفِ.. وعاهدنا ولم ننفذ وصدق فينا قول الله عز وجل ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

وما زلنا نذكر الأقصى.. وأسر الأقصى.. وبعد الأقصى عن الحرمة التي أرادها الله له.. والأقصى من مقدساتنا وانتزع منا.. وأهين على علم منا.. ومن انتزعه؟.. ومن الذي أهانه؟

إنهم الذين كفروا ولعنوا بما قالوا.. لعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم انتزعه منا أشد الناس عداوة لديننا ولنا.. أعانتهم القوى الاستعمارية وناصرتهم قرى الكفر.. لا حباً لهم ولكن كرهاً للإسلام وكيداً للمسلمين.

وقد يسأل سائل نفسه فيقول: وعد الله ووعده الحق أنه لن يجعل

للكافرين على المؤمنين سبيلاً.. فكيف انتصر الكافر على المسلم؟ والمسلم هو المتوفى.

وإني أسأل هذا السائل: أنحن مؤمنون حقاً؟.. الإيمان كما قلنا في مواقف سابقة أنه عقيدة وعمل ومعاملة.. فهل كنا كما أراد الله لنا أن نكون؟... قال لنا الله عز وجل: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران/ ١١٠).

فهل تآمرنا بالمعروف؟ وتناهينا عن المنكر؟..

وقال لنا: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (سورة الأنفال/ ٤٦).

هل انتهينا عما نهانا الله عنه؟...

وقال لنا رسول الهدى ﷺ: ﴿كونوا عباد الله كما أمركم﴾.

فهل كنا كما أراد لنا هذا النبي الكريم؟

وقال الله جل شأنه لنا: ﴿وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة الأنفال/ ١).

فهل أطعناهما حتى نكون مؤمنين ونظفر بالعزة التي كتبها الله له ولرسوله وللمؤمنين؟

لو كنا كما أراد الله لنا فلن يكون للكافرين علينا سبيل.

فيا أمة محمد.. لقد قال لنا محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرناً وما زال قوله يرن في آذان المسلمين من المصلحين: لن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها.

ولقد صلح أولها بالدين.. ألف الدين بين قلوبهم.. وأصلح به ذات بينهم وجمع عليه شملهم.. فكثروا بعد قلّة وعزوا به بعد ذلة..

وأثروا به بعد فاقة. . . وسادوا به على سائر الأمم. . فغلبت قلتهم كثرة أعدائهم وطلبوا الموت فوهب الله لهم الحياة. . وكانوا به مع الله. . فكان الله معهم. . . ﴿وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ (سورة النحل/ ١٢٨).

عيد الفطر (٢)

الله أكبر سبعاً.

الحمد لله. وأشهد أن لا إله إلاَّ الله. وأشهد أن سيدنا محمداً عبدالله ورسوله. اللهم صل وسلم على محمد عبدك ورسولك وارض اللهم عن آله وصحابته... إلخ.

يا عباد الله..

خلق الله الإنسان وكرمه. ووهبه العقل والقوة. وأعطاه الحياة ليقف منها وجهاً لوجه. مؤمناً بالله الذي خلقه ومؤمناً بنفسه وقوته وعقله.

فكل أمة تقف أمام الحياة واعية قوية عزيزة النفس، تعاون أفرادها على بناء مجتمعها كل حسب طاقته هي أمة عزيزة الجانب. ومجتمعها قوي. ولها مكانتها بين الأمم. ولا يداس لها كيان ولا يهتك لها حمى.

وكل أمة تضعف أمام الحياة هي أمة ضعيفة خسرت حياتها. وخسرت مستقبلها وطمع بها عدوها. وامتلك حريتها وذلك هو الخسران المبين.

وإننا في زمن الغلبة فيه للقوة، والنصر فيه للأقوياء المجاهدين من الرجال والنساء. إننا في زمن لا يجيز لنا الفرار من معركة الحياة، وديننا يأمرنا بذلك ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة آل عمران/ ١٣٩).

أيها المسلمون...

ونحن نعلم يقيناً وكلنا نعرف أنه (لن يصلح آخر هذه الأمة إلاَّ بما صلح به أولها) هكذا أخبرنا نبينا ﷺ. وهكذا علمنا. وبهذا ندين ولقد صلح سلفنا بالدين. جمع الله به شملهم. وألف بين قلوبهم. وأمدهم بالإيمان. آمنوا بالله. وآمنوا بوعد الله وبنصر الله. فغلبت قلتهم كثرة أعدائهم. وكان سلاحهم الإيمان بأن الله معهم. ومن كان مع الله كان الله معه.

وأما اليوم فلا دين ولا دعوة إلى دين. ولا ندري كيف نعيش بلا دين. وأي فائدة تأتينا من حياة مجردة من دين.

يا عباد الله...

﴿إن الإنسان لفي خسر إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ (سورة العصر/ ٢، ٣). وخير الأعمال الصالحات ما عم نفعه الأمة. وعاد خيره على المجتمع. وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ثرواتكم ولا إلى مظاهركم وظواهركم ولا إلى أقوالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم. أصلحوا ذلك مع الله يصلح الله لكم أحوالكم. انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم كونوا مع الله يكن الله معكم. واعتصموا بحبل الله يعصمكم من كيد الكائدين. ومكر الماكرين.

عباد الله...

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان﴾ (سورة البقرة/ ١٨٦).

عباد الله...

اسألوا الله ربكم وأنتم موقنون بالإجابة.

اللهمَّ إنا نسألك من أنفسنا ما لا نملكه إلاَّ بك... اللهم فاعطنا منها ما يرضيك عنا.

اللهمَّ أصلح ذات بيننا بإصلاح ولي أمرنا.

اللهمَّ أره الحق ووفقه لاتباعه. وأره الباطل ووفقه لاجتنابه.

اللهمَّ واحفظه بالإسلام قائماً وقاعداً وأحسن عاقبته في الأمور كلها.

اللهمَّ إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها شبابنا.

وتؤلف بها بين قلوبنا وتجمع بها أمرنا وتلم بها فرقتنا وتزكي بها أعمالنا وتعصمنا بها من كل سوء.

اللهمَّ اغفر ذنوبنا واهدنا سبيل السلام واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللهمَّ وانصر دينك وانصرنا به على القوم الكافرين.

﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذي وكبره تكبيراً﴾ (سورة الإسراء/١١١).

غداً (العيد الوطني)

والعيد الوطني أو ٢٥ فبراير: عيد سنوي شعبي يعود في كل سنة شمسية في ٢٥ فبراير. كان أصله ذكرى إعلان استقلال الكويت عن الحماية الأجنبية الخارجية.

وكان ذلك في ١٩ جون سنة ١٩٦١ م.

ولما كان هذا اليوم يأتي بالصيف الشديد حره في الكويت أمر الأمير السابق رحمه الله بإبداله رسمياً بهذا اليوم ٢/٢٥ لكونه في فصل ربيعي لطيف، والربيع في الكويت لطيف كاسمها، فلا يتثاقل الجميع من إظهار فرحتهم فيه..

في هذا اليوم، والليل الذي يسبقه، والليل الذي يليه، نرى الزينات تكسو جميع الوزارات وجميع المؤسسات الكبرى، ونرى في النهاية المهرجانات الشعبية على اختلاف أجناسها وجنسياتها.

كما نرى المدارس بقطاعيها الحكومي والأهلي، وعلى اختلاف درجاتها، تخرج لتظهر فرحتها بيومها الوطني، ولأنه عيد يعود في كل عام.

نعم.. إنه عيد وطني.. أراده الشعب وولي الشعب أن يكون عيداً وطنياً، لأن الوطن هو تركة السلف للخلف. تركة السلف عند الخلف أمانة، ووجب على هذا الخلف أن يحفظه أمانة، ليؤديها لمن بعده أمانة.. فالأجيال

كلها خلف لسلف. فسلفنا خلف من كان قبله، ونحن سلف لمن يأتي بعدنا ـ وكلنا راحل ـ ولكن الوطن باقٍ حتى يأتي أمر الله.

وإن سلفنا وسلفه والأسلاف التي قبله دافعوا عن هذا الوطن.. دافعوا بالأرواح والأموال، وجاهدوا في سبيل الله عنه بأموالهم وأرواحهم، حتى حفظوه وسلموه لنا عزيزاً كريماً.. وعلمونا كيف دافعوا عنه، وكيف يجب أن ندافع حتى نحفظه ونحفظ عزّته وكرامته، ونحفظ استقلاله.

ووجب علينا نحن أن نربي الأجيال من بعدنا على حب هذا الوطن، وحب الدفاع عنه بالمال والنفس، ليذكرنا الخلف كما ذكرنا نحن السلف.

إخوتي وأخواتي: لا أستطيع أن أنتقد هذه الزينات، فإنها من دافع الفرحة ومن وحي السرور، لكني أود أن أقول كما قلت من قبل: إن الزينة الحقيقية هي حسن الخلق، هي مكارم الصفات، هي المعاملة الكريمة فيما بين المواطنين. هي أن نقول الحسن ونفعله، هي أن نعزم على فعل الخير، ونتوكل على الله، هي أن نربي أولادنا على تكريم أسلافنا وذكر محاسنهم في مجالسنا، هي أن نعلم أولادنا معنى الوطنية حتى يفهموها حقيقة لا لفظاً..

إن تاريخنا أيها الأخوة والأخوات مجهول، وإن لنا رجالاً أغفلهم التاريخ ذهبوا شهداء دفاعاً عن هذا الوطن، وفداءً عن مستقبله الغالي.. يجب علينا أن نخلد تاريخهم، وأن نعلمه لجيل المستقبل في مدارسنا، نعلمه أولادنا، ليكونوا قدوة لهذا الجيل الذي هو رصيدنا، رصيد كويتنا، رصيد هذه البقعة العزيزة علينا، رصيد هذا الشعب الذي نتمنى له حسن الحال وحفظ المستقبل.

إخوتي وأخواتي:

رصيد الوطن ليس في ذهب يخزن، ولا في معادن تستخرج، ولا في أبنية تشاد، ولا في مظاهر تظهر، ولا في دراهم ودنانير تكدس.

إن رصيد الأمة في ناشئته.. في آباء غده وأمهاته ومحط آماله، في شباب المستقبل.

قبل أن أختم كلمتي هذه أسأل الله الذي إذا سئل أعطى، وذا دعي أجاب، أن يعيد أمثال هذه الذكرى على كويتنا الحبيبة محفوظة من كل سوء، والكل قد علم الحق وفتح له بصيرته.

وختاماً أسأله تعالى لأميرنا المحبوب أن يدفع عنه السوء، وأن يعيده إلينا سالماً غانماً رافلاً بحلل الصحة والعافية.

وأقدم لنائب الأمير وولي عهده صاحب السمو الشيخ/ جابر الأحمد التهاني والتبريكات بهذه الذكرى الحبيبة. ولنائب رئيس مجلس الوزراء ولأعضاء الحكومة الرشيدة ولشعب الكويت ولكل من حل في الكويت التهاني والتبريكات بهذه الذكرى، وأسأل الله أن يجعل التوفيق للجميع حليفاً في كل عمل مثمر.

يوم الحج الأكبر

غداً الجمعة يوم الحج. والحج عرفة. ولأبدأ حديثي هذا بشيء يفيد السامع المسلم...

يا أخي المسلم.. الإسلام دينك جاء يحمل دعوة عالمية.

فأول آية نزلت من كتاب الله: ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ (سورة العلق/ ١) والعلم للعالم كله لا تختص به أمة دون أمة.

ويبدأ كتابه: (بسم الله الرحمن الرحيم) ورحمة الله وسعت كل شيء.

وفاتحة الكتاب: (الحمد لله رب العالمين) وكلمة العالمين تشمل جميع العالم.

ونداؤه حيّ على الفلاح. والفلاح لا يختص به أحد دون أحد.

والصلاة تنظيم جماعي ومساواة وعدم تفرقة. وتسوية في الصفوف لا فرق بين إنسان وإنسان.

والزكاة حق معلوم. لكل محروم. تذوب بها الفوارق. وتبذل بوجوبها المعونة من الموسر للمعسر. والبذل محبة، والإحسان وسيلة ألفة ووفاق.

والحج مؤتمر يأتي إليه المؤمنون من شتى أنحاء العالم. ومن كل فج عميق.

وشريعة الإسلام لا تتعصب لجنس دون جنس. ولا لأمة ضد أمة. ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ (سورة الحجرات/ ١٠) ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ (سورة الحجرات/ ١٣).

وهكذا كان الإسلام.. دعوة عالمية في شريعتها.. يسر في شعائرها. إنسانية في نظامها سليمة في عقيدتها، وفي واقعها، وشكلها، وموضوعها.

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ (سورة الأنبياء/ ١٠٧).

والحج ركن من أركان الإسلام وشعيرة من شعائره. يتطلب القيام بها بذل من المال، ومن النفس، (والحج المبرور ليس له جزاء إلّا الجنة) و(من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) رواهما البخاري ومسلم.

والحج إقبال على الله، وسمو بالروح، وبعد عن الدنيا ومشاغلها وزينتها وطيباتها، ومساواة بين عبيد الله المؤمنين باللباس وبالامتناع عن المحظورات وبالوقوف في صعيد واحد لغاية واحدة، واحتساب لله، وإخلاص نيّة لا يخالطها رياء ولا سمعة.

وأي مظهر أجل وأروع من تجمع طوائف من البشر ليست بينهم أرحام ولا أنساب، اختلفت ألوانهم وتعددت لغاتهم، اجتمعوا على صعيد واحد، وقد تركوا دنياهم وأعمالهم، وفارقوا الأهل والمال والولد، ونسوا أحقادهم وأضغانهم ونزواتهم وشهواتهم، كلهم جاء ممتثلاً أمر الله جلّ شأنه، مقراً بوحدانيته، يتضرع إليه، ويهتف باسمه ويذكره بالتقديس والتسبيح والإكبار والإجلال، ويلهج بالثناء عليه قائلاً: (لبيك اللهم لبيك).

هذا الصعيد الجامع هو عرفة. والوقوف فيه عمدة أفعال الحج لقول النبي ﷺ (الحج عرفة) والوقوف فيه يوم يقف الناس إجماعاً.

وهنا أحب أن أقول كلمة اختلف فيها الناس هي يوم الحج الأكبر.

وقالوا إن الوقوف بعرفة إذا كان في يوم جمعة كان هو الحج الأكبر، ذلك أن النبي ﷺ كان حجة يوم جمعة. وأقول: نعم.. كان حجه ﷺ يوم جمعة.

لكن يوم عرفة هو يوم الحج الأكبر في أي يوم من أيام الأسبوع.

ذلك أن رسول الله ﷺ حين بعث علياً كرم الله وجهه ببراءة ليعلن بها الناس يوم الحج الأكبر كان الوقوف بعرفة يوم الاثنين وليس يوم الجمعة.

والحج كما قالوا هو مؤتمر المسلمين الجامع الذي يتلاقون فيه مجردين من كل آصرة سوى آصرة الإسلام، متجردين من كل سمة إلا سمة الإسلام، عرايا من كل شيء إلا من ثوب غير مخيط يستر العورة. وهذا الثوب لا يميز فرداً على فرد ولا قبيلة على قبيلة، ولا جنساً على جنس.

إن قرابة الإسلام هي القرابة وحدها.. وإن نسب الإسلام هو النسب وحده، وإن صبغة الإسلام هي وحدها الصبغة.

ذابت الفوارق في هذا الموقف وذابت الامتيازات..

إنها مساواة أرادها الإسلام لتلغى بها الفوارق المصطنعة بين الناس.. ليحقق بها قوله جلّ شأنه: ـ

﴿ يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم.. ﴾ (سورة الحجرات/ ١٠٣).

﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ (سورة البقرة/ ١٩٨).. ذكر هداية، وذكر شكر لله تعالى على هذه الهداية.

﴿ واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ﴾ (سورة البقرة/ ١٩٨).

وفي الحج زيارة البيت العتيق، الذي شرفه الله بأن أضافه إلى نفسه،

فهو بيت الله الذي جعله مثابة للناس وأمناً وطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود.

وفي الطواف بالبيت صفاء للنفس وإعداد لها لأن تكون أهلاً للسعادة القصوى في الدنيا والآخرة. على أن شعائر الحج تثير في النفس ذكريات حلوة ترتبط بتاريخنا الإسلامي.

والحج يعطي هذه الذكريات ظلالاً تجعلها شاخصة في العيون ماثلة في الأذهان.

والمسلم يهفو دائماً إلى ذكريات دينية، وتحن نفسه إليها. ويتخذ من هذه الذكريات حافزاً قوياً يسمو به، ويدفعه إلى مستقبل هو أزكى، وأهدى من حاضره.

أسأل الله أن يوفق المسلمين جميعاً ألى ألفة تجمعهم وكلمة توحدهم، وهداية ترشدهم إلى الصراط المستقيم..

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس

تقديم ٥
أحاديث ٧
أولاً: تفسير معاني الآيات ٩
قرآن الفجر (١) ١١
قرآن الفجر (٢) ١٤
قرآن الفجر (٣) ١٧
قرآن الفجر (٤) ٢٠
قرآن الفجر (٥) ٢٣
قرآن الفجر (٦) ٢٦
قرآن الفجر (٧) ٣٠
قرآن الفجر (٨) ٣٣
قرآن الفجر (٩) ٣٧
قرآن الفجر (١٠) ٤٠
قرآن الفجر (١١) ٤٣
قرآن الفجر (١٢) ٤٦
قرآن الفجر (١٣) ٤٩
قرآن الفجر (١٤) ٥٢
قرآن الفجر (١٥) ٥٥

قرآن الفجر (١٦) ٥٨
قرآن الفجر (١٧) ٦١
قرآن الفجر (١٨) ٦٤
قرآن الفجر (١٩) ٦٨
قرآن الفجر (٢٠) ٧٢
قرآن الفجر (٢١) ٧٥
قرآن الفجر (٢٢) ٧٨
قرآن الفجر (٢٣) ٨٢
قرآن الفجر (٢٤) ٨٥
قرآن الفجر (٢٥) ٨٩
قرآن الفجر (٢٦) ٩٢
قرآن الفجر (٢٧) ٩٥
قرآن الفجر (٢٨) ٩٨
قرآن الفجر (٢٩) ١٠١
قرآن الفجر (٣٠) ١٠٤
قرآن الفجر (٣١) ١٠٧
قوة الإيمان (٣٢) ١٠٩
شروح الصدور (٣٣) ١١١
الطيبات (٣٤) ١١٤
الصلاة الإسلامية (٣٥) ١١٧
صلاح القلوب (٣٦) ١٢٠
ثانياً: أحاديث في المناسبات الإسلامية ١٢٣
الإيمان اطمئنان لذا يجب أن نربي أولادنا على الإيمان ١٣٣
الدين الخلق ١٤٠
كتاب الله ١٥١
الإسلام والسيف ١٥٥

الكبر والتكبر ١٦٦
الداعية والدعوة ١٧٠
بالعمل الصالح تطيب الحياة ١٧٤
الاقتصاد في الإسلام ١٧٧
إصلاح ذات البين ١٨٢
الإسلام دين العدل ١٨٧
الإخلاص لله فوز ١٩٣
القتال دفاع ورد للأذى ١٩٦
أهمية المسجد في الإسلام ٢٠٠
الفتوى في الكويت ٢٠٣
الذكر نعمة والحمد لله ٢٠٨
غزة الفتح الأعظم (أو فتح مكة) ٢١١
نور وكتاب مبين ٢١٤
ذكرى الهجرة مطلع القرن الخامس عشر ٢١٩
يوم عرفة ٢٢٤
مولد سيدنا عيسى عليه السلام ٢٢٦
شهر رمضان ٢٣٢
والفجر وليال عشر ٢٣٦
هل تنفع الذكريات؟ ٢٣٨
ميلاد عام جديد ٢٤١
مع رمضان في ذكرياته ٢٤٣
حديث رمضان ٢٤٦
العيد ٢٤٨
عيد النحر سنة ١٣٩٨ هـ ٢٥١
عيد النحر ١٣٩٨ هـ ٢٥٥
عيد الفطر ٢٥٨

عيد الفطر ٢٦٤
غداً (العيد الوطني) ٢٦٧
يوم الحج الأكبر ٢٧٠

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المؤلف والكتاب

المؤلف: عبد الله النوري

من مواليد الزبير في العراق مايو سنة ١٩٠٥م.
بدأ تعليمه في المدارس التركية حتى سنة ١٩١٤ م.
ثم في مدارس الاحتلال البريطاني في العراق.
تخرج من دار المعلمين في بغداد صيف ١٩٢٢ م.
هاجر مع أبيه والعائلة إلى الكويت في إبريل ١٩٢٣ م.
واصل تعليمه على علماء الدين في الكويت.
اشتغل بالتدريس في المدرستين: المباركية والأحمدية سنة ١٩٣٤ م.
ثم في المحاكم حتى سنة ١٩٥٦ م.
ثم في المحاماة حتى سنة ١٩٧٧ م.
رشح ليكون عضواً في لجنة الفتوى سنة ١٩٦٤ م.
وبعد تركه المحاماة عكف على خدمة مواطنيه في كل مجال من مجالات الخدمة الدينية.

الكتاب:

هذا الكتاب هو مجموعة أحاديث ومقالات حول تفسير معاني الآيات وحول بعض المناسبات الإسلامية، وقد جمع فيه مؤلفه من علمه الذي أعطاه الله ما ينفع الناس وينير سبيلهم بما يوضح أمور عقيدتهم وإسلامهم.